

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولى

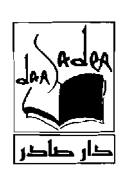
1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[197] ـ أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره[1]

[كان الأعشى مثبتاً ولبيد مجبراً]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرْب عن يونس بن مَتّى راوية الأعشى قال: كان لبيد مُجَبِّراً[2] حيث يقول: [من الرمل]

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى ناعِمَ البالِ ومَنْ شاء أضَلّ

وكان الأعشى مثبتاً[3] حيث يقول: [من المنسرح]

استأثرَ اللهُ بالوَفاءِ وبالْـ ـعَدْلِ ووَلّى المَلامةَ الرَّجُلا

فقلت له: من أين [أخذ] هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نَجْران. وكان يعود[4] في كلّ سنةٍ إلى بني عبد المَدانِ، فيمدحهم ويُقيم عندهم يشرب الخمرَ معهم وينادمهم، ويسمَع من أساقفة نَجْرانَ قولَهم؛ فكلُّ شيءٍ في شعره منه هذا فمنهم أخذه.

خبر أساقفة نجران مع النبيّ ﷺ

فأمّا خبر مباهلتهم[5] النبيّ ﷺ، فأخبرني به عليّ بن العبّاس بن الوليد البَجَليُّ المعروف بالمَقانِعِيّ الكوفيّ قال: أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليَسَع الهَمْدانيّ قال حدَّثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب. قال بكّار وحدَّثنا إسماعيل بن أبانٍ العامِريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبيه عن جدِّه عن عليٍّ عليه السلام، وحديثه أتمّ الأحاديث. وحدَّثني [به] جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص: فممّن حدَّثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدَّثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدَّثنا حسن بن حسين عن

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/257–266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401–402 والمؤتلف 12 واللآلي 83 والخزانة 1 : 83–86 وشعراء الجاهلية 357–399 والتذكرة الحمدونيّة 8 : 356–360 .

2 المجبر : الذي يقول بالجبر . وتقول الجبرية : إنّه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

3 مثبتاً : من يثبت القدر .

4 ل : يفد .

5 المباهلة : الملاعنة .

حيّان بن عليّ [عن] الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن عليّ بن أبي رافعٍ عن أبيه عن جَدِّه عن أبي رافع . وأخبرني عليّ بن موسى الحِمْيَريُّ في كتابه قال حدَّثنا جَنْدَلُ بن والِقٍ قال حدَّثنا محمد بن عمر عن عَبّاد الكُلَيْبِيّ عن كامل] أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عبّاس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدَّثنا أبي قال حدَّثنا حُصَيْن بن مُخارِقٍ عن عبد الصَّمد بن عليّ عن أبيه عن ابن عبّاسٍ . قال الحصين وحدَّثني أبو الجارود وأبو حمزة الثّماليّ عن أبي جعفر ، قال : وحدَّثني حَمْد بن سالم وخليفةُ بن حسّان عن زيد بن عليّ عليه السلام . قال حصين وحدَّثني سعيد بن طَرِيفٍ عن عِكْرِمةَ عن ابن عبّاس . وممّن حدَّثني [أيضاً] بهذا الحديث عليّ بن العبّاس عن بكّار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أُوَيْس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممّن حدَّثني به أيضاً محمد بن الحسين الأُشْنانيُّ قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشِديّ قال حدَّثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممّن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيّوب الكوفيّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ ، واللفظ للحديث الأوّل . قالوا : قَدِمَ وَفْدُ نصارى نَجْران وفيهم الأُسْقُفُ ، والعاقِب وأبو حَبَشٍ ، والسَّيِّدُ ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حَوْشَب في حديثه : وهم أربعون حِبْراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدْراس ، فصاحوا بهم : يا ابنَ صُورِيّا يا كَعْبُ بن الأشراف ، انزِلُوا يا إخوة القُرود والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً [قد غَلَبكم !] أَحْضِروا المُمْتَحِنة [لِنَمْتَحِنَه] غداً . فلمّا صلّى النبيُّ ﷺ الصبحَ ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدّمهم الأُسْقُفُ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَنْ أبوه ؟ قال : عِمران . قال : فيوسُف مَن أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنتَ مَنْ أبوك ؟ قال : أبي عبدُ الله بنُ عبد المطَّلب . قال : فعيسى مَن أبوه ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ وآله ؛ فانقضَّ عليه جبريلُ عليه السلامُ فقال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾ فتلاها رسولُ الله ﷺ ؛ فنزا[1] الأُسقُفُ ثم دِيرَ به مَغْشِيّاً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبيّ ﷺ فقال [له] : أتزعمُ أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب ! ما نَجدُ هذا فيما أُوحي إليك ، ولا نجده فيما أُوحي إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحي إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونساءَنا ونساءَكُمْ وأَنْفُسَنا

1 نزا : وثب .

وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذِبِينَ﴾ . فقال : أنصفتَنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهلُك ؟ فقال : بالغداة إن شاء الله تعالى . وانصرف النصارى ، وانصرفتِ اليهودُ وهي تقول : واللهِ ما نُبالي أيّهما أهلك الله الحَنيفيَّة أو النصرانيّة . فلمّا صارت النصارى إلى بيوتها قالوا : والله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلكَ ، ولكن استقيلُوه لعلّه يُقِيلُنا . وغدا النبيُّ ﷺ من الصُّبْح وغدا معه بعليٍّ وفاطمة والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم . فلمّا صلّى الصبح ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثم برك باركاً ، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيه ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَينٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا يستترون بالخُشُب والمسجد فَرَقاً أنْ يبدأهم بالمُباهلة إذا رآهم ، حتى بركوا بين يديه ، ثم صاحوا : يا أبا القاسم ، أقِلنا أقالَك الله عَثْرَتَك . فقال النبيّ ﷺ : نعم ، قال : ولم يُسأل النبيّ ﷺ شيئاً قطُّ إلاّ أعطاه ، فقال : قد أَقَلْتُكم [فوَلَّوْا] . فلمّا وَلَّوْا قال النبيّ ﷺ : «أمَا والذي بَعَثني بالحَقِّ لو باهلتُهم ما بَقِي على وجه الأرض نَصْرانِيٌّ ولا نَصرانية إلاّ أهلكهم الله تعالى» . وفي حديث شهر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال : أُذَكِّركُم اللهَ أن نُلاعِنَ هذا الرجلَ ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُمْ في مُلاعنته خيرٌ ، ولئن كان صادقاً لا يَحُول الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمةٍ[1] . فصالَحوه ورجعوا .

[خبر قبة نجران]

وأمّا خبر القُبّة الأَدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمّي وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال : كان عبد المسيح بن دارسِ بن عَرَبِيٍّ بن مُعَيْقِرٍ[2] من أهل نَجران ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أديم ، وكان على نهر بنجران يقال النُّحَيْردانُ . قال : ولم يأتِ القُبّة خائفٌ إلاّ أَمِن ، ولا جائعٌ إلاّ شَبع ؛ وكان يَستَغِلّ من ذلك النهر عشرة آلاف دينارٍ ، [وكانت القُبّة تستغرق ذلك كلّه] . وكان أوّلُ مَن نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المَدان [ابن الدَّيّان . وذلك أنّ عبد المسيح بن دارسٍ زوّج يزيد بن عبد المدان] ابنته رُهَيمةَ ، فولدتْ له عبد الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبد المسيح ، فانتقل مالُه إلى يزيد ؛ فكان أوّل حارِثيٍّ حَلَّ في نَجران . وفي ذلك يقول أعشى قيس بنِ ثعلبة : [من المتقارب]

فكعبةُ نجرانَ حَتْـمٌ عَلَيْـ ـكِ حتّى تُناخي بأبوابِها

---

1 الضرمة : الجمرة ؛ يقال : ما في الدار نافخ ضرمة ، أي ما فيها أحد وهنا مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 269/3 «ما بها نافخ ضرمة» يعني بالمثل ما في الدار من أحد .

2 ل : معيفر .

نزورُ يزيــدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُــمُ خير أربــابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أميّة بن الأسكر فزوّجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني عمّي عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حدّثني بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد] قال حدّثني عبد الله بن الصبَّاح عن ابنِ الكلبيّ عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المَدان وعامر بن الطُّفَيل بمَوْسِمِ عُكاظَ ، وقَدِم أمية بن الأسكر الكِنانيُّ ومعه ابنةٌ له من أجمل أهل زمانها ، فخَطَبها يزيـدُ وعامـرٌ . فقالت أُمّ كلابٍ امرأةُ أُمَيّة بن الأسكر : مَن هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامرُ بن الطُّفَيل . فقالت : أعْرِف بني الديّان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سَمِعْتِ بمُلاعِب الأسِنّة[1] ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيـد فقال : يا أُميّـة ، أنـا ابن الديّان صاحبُ الكَثِيبِ ، ورئيس مَذحِج ، ومُكَلِّم العُقاب ، ومَـنْ كان يُصَوِّب أصابعه فتَنْطِفُ[2] دماً ، ويَدْلُك راحتيه فتُخرجان ذَهَباً ، فقال أُميّة : بَخٍ بَخٍ . [فقال عامر : جَدِّي الأَخْرَم ، وعمِّي مُلاعِبُ الأَسِنَّة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أُميّة : بَخْ بَخْ] مرعًى ولا كالسَّعدان[3] . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامِرُ ، هل تعلَم شاعراً من قومي رَحَل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهمّ لا . قال : فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهمَّ نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل مَلَكْناكم ولم تَمْلِكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُمَيَّ يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ لا تَجْعَلَنْ هَوازِنـاً كمَذْحِجِ
إنَّكَ إنْ تَلْهَجْ بأمـرٍ تَلْجج ما النبع في مَغْرِسِه كالعَوْسَجِ[4]
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ[5]

---

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سمّي بملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :
فلاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مَثلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريح : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرّة بن دُودان النُّفيليّ وكان عدوّاً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شِعْري عنك يـا يزيدُ مــاذا الذي مِن عامرٍ تُرِيـدُ
لِكُــلِّ قــومٍ فَخرُكم عتيـدُ أمُطْلَقُــونَ نحــنُ أم عَبِيـدُ
لا بل عَبِيدٌ زَادُنا الهَبِيدُ[1]

قال : فزوَّج أُميّة يزيد بن عبد المَدان ابنته . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا لَلرِّجـالِ لِطارق الأَحزانِ ولِعامِـرِ بــنِ طُفَيْـلِ الوَسْنانِ
كانت إتــاوة قومِـهِ لُمحَرِّقٍ زمناً وصارتْ بعـدُ للنُّعمانِ[2]
عـدَّ الفَوارِسَ من هَوازِنَ كلِّها فخــراً عــليّ وجئتُ بالديّانِ
فإذا لِيَ الشَّرَفُ المتين بوالدٍ ضَخْمِ الدَّسِيعةِ زانني ونَماني[3]
يا عــامُ إنّك فارسٌ ذو مَيْعةٍ غَضٌّ الشَّبابِ أَخو نَدًى وقِيانِ[4]
واعلمْ بأنّك بابن فارس قُرْزُلٍ دون الذي تسعى لـه وتُداني
ليست فــوارسُ عامـرٍ بِمُقِرّةٍ لكَ بالفضيلةِ في بنـي عَيْلانِ
فإذا لَقِيتَ بني الحَماسِ ومالكٍ وبني الضِّباب وحيّ آلِ قَنانِ[5]
فاسألْ عن الرَّجُلِ المُنَوَّهِ باسمِهِ والدّافع الأَعــداءِ عن نَجْرانِ
يُعْطِي المَقادَةَ في فوارِسِ قَوْمِهِ كَرَماً لَعَمْرُك والكريمُ يَماني

فقال عامرُ بن الطُّفَيل : [من الكامل]

عجبــاً لواصِفِ طارقِ الأَحزانِ ولِمــا يَجِــيء بـه بنـو الدَّيّانِ
فَخَــرُوا عــليَّ بِحَبْـوةٍ لِمُحَرِّقٍ وإتــاوةٍ سِيقــتْ إلى النُّعْمــانِ[6]
مــا أنــتَ وابنُ مُحَرِّقٍ وقَبِيلهُ وإتــاوةُ اللَّخمِــيِّ في عَيْــلانِ
فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً ودَعِ القَبائــلَ مــن بنـي قَحْطانِ

1 الهبيد : حب الحنظل .
2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقّب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .
3 الدسيعة هنا : العطية .
4 ميعة كل شيء : أوّله .
5 الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .
6 الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية .

إنْ كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ ... أوْلا ففخْرُكَ فخرُ كلِّ يماني
وافْخَرْ برَهْطِ بني الحِماسِ ومالكٍ ... وبني الضِّبابِ وزَعْبَلٍ وقَنانِ
فأنا المُعَظَّمُ وابنُ فارِسِ قُرْزُلٍ ... وأبو بَراءٍ زانني ونماني
وأبو جُزَيْءٍ ذو الفَعالِ ومالكٌ ... مَنَعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعانِ
وإذا تَعاظمتِ الأُمورَ هَوازنٌ ... كنتُ المُنَوَّهَ باسمِهِ والباني

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديّان فأبى]

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر ، وثَبُوا على مُرّة بن دودان وقالوا له : أنت من بني عامر ، وأنت شاعرٌ ، ولم تَهْجُ بني الدَّيّان ؛ فقال مُرّة : [من الوافر]

تُكَلِّفُني هوازنُ فخرَ قومٍ ... يقولون : الأَنامُ لنا عبيدُ
أبونا مَذْحِجٌ وبنو أبيهِ ... إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُودُ[1]
وهل لِي إن فَخَرْتُ بغير حقٍّ ... مَقالٌ والأَنامُ لهم شُهودُ
فأنّى تَضْرِبُ الأَعلامُ صَفْحاً ... عنِ العَلْياءِ أم مَنْ ذا يَكِيدُ
فقولوا يا بني عَيْلانَ كنّا ... لهم قِنّاً ، فما عنها مَحِيدُ

[محاورة في مجلس ابن جفنة]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية : قَدِم يزيدُ بن عبد المَدان وعمرُو بن معد يكرب ومَكْشوحٌ المُراديّ على ابن جفنةَ زُوَّاراً ، وعنده وجوه قَيْس : مُلاعِبُ الأَسِنَّة عامرُ بن مالك ، ويزيد بن عَمْرو بن الصَّعِق ، ودُريد بن الصِّمَّة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المَدان : ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح فإنّه كان ديّاناً[2] . فقال : كان يقول : آمنتُ بالذي رَفَع هذه (يعني السماء) ، ووَضَع هذه (يعني الأرض) ، وشقَّ هذه (يعني أصابعَه) ، ثم يَخِرُّ ساجداً ويقول : سَجَد وجهي للذي خَلَقه وهو عاشمٌ[3] ، وما جَشَّمَني من شيءٍ فإنّي جاشم . فإذا رفع رأسه قال : [من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تَغْفِرْ جَمّا ... وأيُّ عَبْدٍ لك ما أَلَمّا

فقال ابن جَفنة : إنّ هذا لذو دِين ، ثم مال على القيسيين وقال : أَلا تحدِّثوني عن هذه الرياح : الجنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا والنَّكْباء ، لِمَ سُمِّيتْ بهذه الأَسماء ؛ فإنّه قد أَعياني عِلْمُها ؟ فقال القوم : هذه أَسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلمُ غير هذا فيها . فضحِك يزيد بن

1 هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .
2 الديّان هنا : الحاكم والسائس والقاضي .
3 العاشم : الطّامع .

عبد المَدان ثم قال : يا خيرَ الفِتيان ، ما كنتُ أَحْسِبُ أنّ هذا يسقُط علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر . إنّ العرب تضرب أبياتَها في القِبْلة مَطْلَع الشمس ، لِتُدْفِئهم في الشِّتاء وتزولَ عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شِماله فهي الشَّمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبا ، وما هبَّ من خَلْفه فهي الدَّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكْباء . فقال ابن جفنة : إنّ هذا لَلْعِلْمُ يا ابنَ عبد المَدان .

[سأل ابن جفنة القيسيين عن النُّعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسيين يسألُهم عن النُّعمان بن المنذر . فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفِتيان . ليس صغيراً مَن منعك العراقَ ، وشَرِكَك في الشام ، وقيل له : أبيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خير الفِتيان ، وأُلفى أباه مَلِكاً كما ألفيتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسرُّك مَنْ يغرّك ، فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمان لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه . وايمُ اللهِ ما فيهم رجلٌ إلاّ ونعمةُ النُّعمان عنده عظيمة ! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديّان ، أَما والله لتحتلبنَّ بها دَماً ! فقال له : ولِمَ ؟ أَزيدَ في هَوازِنَ من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تَعْرِف . فضحِك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فَتْكُ مُراد . ولا بأسُ زُبَيْد ، ولا كَيْدُ جُعْفيّ ، ولا مُغارُ طَيِّء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قَطُّ ، ولا اشتهينا حُرّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نُبِيء[1] به . وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرهم ، حتى يُقْتَلَ السَّميُّ بالسَّمِيِّ . والكَنِيُّ بالكَنِيِّ ، والجارُ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المَدان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعراً غَدا به على ابن جَفنة : [من الطويل]

تَمـالا على النُّعمـانِ قـومٌ إليهمُ — مَـوارِدُهُ في مُلْكِـهِ ومَصادِرُهْ
على غَير ذنبٍ كان منـه إليهمُ — سِوى أنَّه جادتْ عليهم مَواطِرُهْ
فباعَدَهُـمْ مـن كلِّ شَرٍّ يَخافُه — وقَرَّبَهـم مـن كلِّ خيرٍ يُبادِرُهْ
فظنُّوا ، وأعراضُ الظّنون كثيرةٌ ، — بأنّ الذي قالوا من الأمر ضائرُهْ[2]
فلم يَنْقُصوه بالذي قِيـلَ شَعْرةً — ولا فُلِّلَـتْ أنيابُـه وأظافِرُهْ
ولَلْحارِثُ الجَفْنِـيُّ أَعلمُ بالذي — يَنُوءُ به النُّعْمانُ إن خَفَّ طائِرُهْ[3]
فيا حـارِ كَمْ فيهمْ لِنُعْمانَ نِعْمَةٍ — من الفضلِ والمَنِّ الذي أنا ذاكِرُهْ

---

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خفّ طائر فلان إذا استخفّ واستفز ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُنوباً عَفا عنها ومالاً أَفادَه ... وعَظْماً كسيراً قَوَّمَتْه جَوابِرُهْ

ولو سالَ عنك العائبين ابنُ مُنْذِرٍ ... لقالوا له القولَ الذي لا يُحاوِرُهْ

قال : فلمّا سمِع ابنُ جَفْنَة هذا القولَ عظُم يزيد في عينه ، وأَجلسه معه على سريره ، وسقاه بيده ، وأَعطاه عطيّة لم يُعْطِها أحداً ممّن وَفَدَ عليه قَطُّ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِع صوتاً إلى جانبه ، وإذا هو رجلٌ يقول : [من المتقارب]

أَمَا مِنْ شفيعٍ من الزائرين ... يُحِبّ الثَّنا زَنْدُه ثاقِبُ[1]

يُريد ابنُ جفنة إكرامه ... وقد يمسَح الضَّرَّةَ الحالِبُ

فيُنْقِذَني من أَظافيرِهِ ... وإلاّ فإنِّي غداً ذاهبُ

فقد قلتُ يوماً على كُرْبَةٍ ... وفي الشَّرْبِ في يَثْرِبٍ غالِبُ

أَلا ليتَ غَسَّانَ في مُلْكِها ... كلَخْمٍ ، وقد يُخْطِئُ الشاربُ

وما في ابن جَفْنَةَ من سُبَّةٍ ... وقد خَفَّ حِلْمِي بها العازِبُ

كأنِّي غريبٌ من الأَبعَدِينَ ... وفي الحَلْقِ مِنّي شَجاً ناشِبُ

فقال يزيد : عليَّ بالرجل ، فأُتِي به . فقال : ما خَطْبُكَ ؟ أنت تقول هذا الشعر ؟ قال : لا ! بل قاله رجلٌ من جُذامَ جفاه ابن جَفْنة ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ ، فشَرِب فقال على شرابه شيئاً أَنكره عليه ابنُ جفنة فحبسه ، وهو مُخْرِجهُ غداً فقاتِلُه . فقال [له] يزيد : أَنا أُغنيك . فقال له : ومن أنت حتى أُعرِفَك ؟ فقال : أَنا يزيد بن عبد المَدانِ . فقال : أنتَ لها وأَبيك ؟ قال : أَجَلْ ! قد كفيتُك أَمْرَ صاحبِك ، فلا يَسْمَعَنَّك أَحدٌ تُنْشِد هذا الشعر . وغَدا يزيد على ابنِ جَفْنَةَ لِيُوَدِّعه ؛ فقال له : حيَّاك الله يا ابن الديّان ! حاجتَك . قال : تُلْحِقُ قُضاعة الشام [بغسّان] ، وتُؤْثِر مَن أَتاك من وفود مَذْحِجٍ ، وتَهَبُ لِي الجُذاميّ الذي لا شفيعَ له إلاّ كرمُك ، قال : قد فعلتُ . أَما إنِّي حبستُه لأَهَبَه لسيِّد أَهل ناحيتك ، فكنت ذلك السيِّدَ ، ووَهَبَه له . فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مُجاوِراً له بنَجْرانَ في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جَفْنَةَ لأَصحابه : ما كانت يميني لِتَفِي إلاّ بقَتله أو هِبَتِه لرجلٍ من بني الديّان ؛ فإنّ يميني كانت على هذين الأَمرين . فعظم بذلك يزيدُ في عين أَهلَ الشام ونَبُه ذكره وشرُف .

---

1 ثقوب الزند ووريه : كناية عن الكرم وغيره من الصفات المحمودة .

[استغاث هوازني يزيد في فكّ أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية عن أبيه : جاورَ رجلان من هَوازِنَ ، يقال لهما عمرٌو وعامر ، في بني مُرّة بن عَوف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذُبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عِدّة أُسارى كانوا عند بني مُرّة ، فَفَدى كلُّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهَوازِنيّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرّة : سِنانِ بن أبي حارثة والحارثِ بن عوف والحارث بن ظالمٍ وهاشم بن حَرملة والحُصَيْن بن الحُمام فلم يُغِيثوه ، فركِب إلى موسم عُكاظ ، فأتى مَنازِلَ مَذْحِجَ ليلاً فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سِناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعالَيتُ دَعْوى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ
أُعَيِّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... بِتَرْكِ أسيرٍ عند قيسٍ بن عاصمِ
حَلِيفِهِمُ الأَدْنى وجارِ بيوتهم ... ومَنْ كان عمّا سرَّهم غيرَ نائمِ
فَصَمُّوا وأَحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكَمْ في بني العَلاّتِ من مُتَصامِمِ[1]
فيا ليتَ شِعْري مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَنْ ذا الذي يَحْظى به في المَواسِمِ

قال : فسمِع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيُّهذا الذي لم يُجَبْ ... عليكَ بحَيٍّ يُجَلّي الكُرَبْ
عليكَ بذا الحيّ من مَذْحِجٍ ... فإنَّهمُ للرِّضا والغَضَبْ
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدانِ ... وقَيْساً وعمرَو بنَ مَعْدِيَكرِبْ
يَفُكُّوا أخاكَ بأَموالهمْ ... وأَقْلِلْ بِمِثْلِهِمُ في العَرَبْ
أُولاكَ الرؤوسُ فلا تَعْدُهُمْ ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَبْ

قال : فاتّبع الصوتَ فلم يَرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمُه قيس بن عبد يَغُوثَ المُراديّ ، فقال له : إنّي وأخي رجلانِ من بني جُشَمَ بنِ معاوية أصَبْنا دماً في قومنا ، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاوِرٌ فأخذه أسيراً ، فاستغثتُ بسِنانِ بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يَفُكّ أخي ، فانتهيت إلى مَنازل مَذْحِجَ ، فناديتُ بكذا وكذا ، فسمِعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لِتفكّ أخي . فقال له المكشوح : والله إنّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لِي بجار ، ولكن اشْتَرِ أخاك منه وعليَّ

1 بنو العلاّت : بنو أمهات شتى من أبٍ واحد .

الثمن ، ولا يَمنعْك غَلاؤه . ثم أتى عمرو بن مَعدِيكرب فقال له مثلَ ذلك ؛ فقال : هل بدأتَ بأحدٍ قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليكَ بمن بدأتَ به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إنّ من قِصَّتي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإن هو وهَب لي أخاك شكرتُه ، وإلاّ أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيني بأخيك ، فإنْ نِلتُها وإلاّ دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنَجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات : [من البسيط]

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسيراً من بني جُشَمٍ ... إنِّي بكلِّ الذي تأتي به جازي

لا تأْمَنِ الدَّهْرَ أن تَشْجى بغُصَّتِهِ ... فاخْتَرْ لنفسِك إحمادِي وإعْزازي

فافْكُكْ أخا مِنْقَرٍ عنه وقُلْ حَسَناً ... فيما سُئِلتَ وعَقِّبْهُ بإنجازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إيّاها ، ثم قال [له] : يا أبا عليّ ، إنّ يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطْلِقْ لي هذا الجُشَميّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرّة وبعمرو بن مَعدِيكرب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بي . ولو أرسلتَ إليّ في جميع أسارى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيِّد مَذْحِج وابن سيِّدها ومَن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصةٌ لكم ، فما تَرَون ؟ قالوا : نرى أن نُغْلِبَه عليه ونَحكُم فيه شَطَطاً ؛ فإنّه لن يخذُلَه أبداً ولو أتى ثمنُه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض ! فلمّا أَبَوْا عليه قال : بِيعُونيه ، فأغْلَوْه عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أو في بني مِنقَر لأخذه وبعث به ، ولكنّه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرْ إليّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعديُّ يزيدَ بن عبد المدان ؛ فقال له : احْتَكِم . فقال : مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنّك لَقصير الهِمّة قريب الغِنَى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أمَا والله لقد غبنتُك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنُه على جُلِّ أموالنا ، ولكنّكم يا بني تميم قومٌ قصار الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

[أغار عبد المدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبيّ : أغار عبدُ المَدان على هَوازِنَ يوم السَّلَف[1] في جماعةٍ من بني الحارث بن

1 السّلف : مخلاف باليمن .

كعب ، وكانت حُمته[1] على بني عامر خاصّة . فلمّا التقى القوم حَمَل على وَبْر بن معاوية النُّميريّ فصرَعَه ، وثَنّى بطُفَيل بن مالك فأجرّه[2] الرمحَ ، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا ، واستحرّ القتلُ في بني عامر ، وتَبِعتْ خيلُ بني الحارث مَنِ انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُمَيْرٌ ومَعْقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المَدان : [من الطويل]

عَفا من سُلَيْمى بطنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فغَمْرةُ فَيْفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ[3]

ديارُ التي صاد الفؤادَ دَلالُها ... وأغرتْ بها يوم النَّوى حين تَرْحَلُ

فإنْ تَكُ صَدَّتْ عن هَوايَ وراعَها ... نَوازِلُ أَحداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ

فيا رُبَّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ ... يُعارِضُها عَبْلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ[4]

سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزامُ كأنّه ... إذا انْجابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أَجْدَلُ

يُواغِلُ جُرْداً كالقَنا حارثيّةً ... عليها قَنانٌ والحِماسُ وزَعْبَلُ[5]

مَعاقِلُهمْ في كلِّ يومٍ كريهةٍ ... صدورُ العَوالي والصَّفيحُ المُصَقَّلُ

وزَغْفٌ من الماذيّ بيضٌ كأنّها ... نِهاءٌ مَرَتْها بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ[6]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تلاحقتْ ... فَوارِسُ يَهْدِيها عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ

فجالتْ على الحيّ الكِلابيّ جولةً ... فباكَرَهُمْ وِرْدٌ من الموتِ مُعْجَلُ

فَغادَرْنَ وَبْراً تَحْجُلُ الطيرُ حولَه ... ونجَّى طُفَيْلاً في العَجاجةِ قُرْزُلُ

فلَم ينجُ إلاّ فارِسٌ من رِجالهم ... يُخَفِّفُ ركضاً خشيةَ الموت أَعْزَلُ

وليزيد بن عبد المَدان أخبارٌ مع دُريد بن الصِّمّة قد ذُكرتْ مع أخبار دُريد في صنعة المُعتضِد مع أغاني الخلفاء ، فاستُغني عن إعادتها في هذا الموضع .

---

1 الحمة : الشدّة .

2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه يجرّه .

3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعلّه اسم لعدّة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع .

4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزارة : ضخم الأطراف .

5 يُواغل جرداً : يداخلها . الحماس ، وقنان ، وزعبل : قبائل .

6 الزّغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسّلاسل والماذي هنا : السلاح من الحديد . ونهاء جمع نهي : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنّة وأخيه فلمّا مات رثته أختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكّريّ قال حدَّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة وابن الكلبيّ ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المَدان ومعه بنو الحارث بن كَعْبٍ على بني عامرٍ ، فأسر عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ أبا بَراء وأخاه عَبِيدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المَدانِ ، واسمُ عبدِ المَدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديّان بن قَطَن بن زِياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلاب أخت مُلاعِب الأسنّة ترثي يزيد بن عبد المَدان : [من المتقارب]

بكيتُ يزيـدَ بـن عبـد المدا ... نِ حَلّتْ بـه الأرضُ أثقالها
شَرِيـكُ المُلـوكِ ومَنْ فَضْلُه ... يَفْضُـلُ في المجـدِ أفضالَها
فَكَكْتَ أُسارى بنـي جَعْفَرٍ ... وكِنْـدةَ إذ نِلْـتَ أقوالَها[1]
ورَهْـطُ المُجالِدِ قـد جَلَّلتْ ... فواضـلُ نُعْمـاكَ أجبـالَها

وقالت أيضاً ترثيه : [من المتقارب]

سأبكي يزيـدَ بنَ عبد المَدان ... على أنّه الأَحْلَـمُ الأكـرمُ
رِمـاحٌ مـن العَزْمِ مركوزةٌ ... مُلـوكٌ إذا بَـرَزتْ تَحكمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيَّروها بأن بكتْ يزيد ؛ فقالت زينب : [من الطويل]

ألا أيُّها الزارِي علـيَّ بأنَّني ... نِزاريَّـةٌ أبكـي كريماً يَمانِيا
وما لِيَ لا أبكـي يزيـدَ ورَدَّني ... أَجُرُّ جَدِيداً مِدْرَعـي ورِدائِيا

صوت

[من الطويل]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضِي ... وعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
إذا أَبصرتَنـي أعرضتَ عَنِّـي ... كأنّ الشمسَ مـن قِبَلي تَدُورُ

الشعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعديّ . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن الهشاميّ .

1 أقوال : جمع قَيْل ، وهو الملك عند أهل اليمن .

[198] ـ أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحَشْرَج بن الأَشْهَب بن وَرْد بن عَمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازِن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من ساداتِ قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِي أكثر أعمالِ خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان . وكان جواداً مُمَدَّحاً . وفيه يقول زيادٌ الأعجم : [من الكامل]

[إنّ السماحةَ والشَّجاعةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضاً] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدى فسائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيارِ الأَشاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه . وفي بني الأشهب يقول نابغةُ بني جعدة : [من المتقارب]

أَبعدَ فوارسِ يومِ الشُّرَيْـ ـفِ آسى وبعدَ بني الأَشْهبِ[1]

[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سَيِّداً شاعراً وأَميراً كبيراً . وكان غَلَب على قُهِسْتان[2] في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازم المُسَيَّب بن أُوفى القُشَيريَّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتان . وكان عمُّه زياد بن الأَشهب أَيضاً شريفاً سَيِّدا ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُوَلِّيه الشام فلم يُجِبه . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية : [من الطويل]

وقام زيادٌ عند بابِ ابنِ هاشمٍ يُريد صَلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أَخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثني أَحمد بن الهيثم بن فِراسٍ قال : حدَّثنا العُمَرِيّ عن عَطاء بن مُصعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال : جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتان رجلٌ من قُشَيرٍ يقال له قُدامةُ بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

---

1 الشريف : ماء لبني نمير . ويوم الشّريف من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأكثر ما تستعمل : قوهستان .

أخٌ وابـنُ عَـمٍّ جاءَكم مُتَحَرِّماً   بِكُمْ فارْأَبُوا خَلاَّتِهِ يا ابنَ حَشْرَجِ
فأَنْتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدافَعٍ   مَعَدّاً على رَغْـمِ المَنُوطِ المُعَلْهَجِ[1]
فَبَرَّزتَ عَفْواً إذْ جَرَيْتَ ابنَ حَشْرَجٍ   وجاء سُكَيْتاً كلُّ أَعْقَـدَ أَفْحَجِ[2]
سبقتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ   بجَدٍّ إذا حـار الأَضاميمُ مِمْعَجِ[3]
بِـوَرْدِ بـن عَمْرٍ فَتُّهُمْ إنَّ مِثْلَه   قليلٌ ومَـنْ يَشْرِ المَحامِدَ يَفْلُجِ[4]
هُوَ الواهِبُ الأَموالِ والمُشْتَري اللُّها   وضَرَّابُ رأسِ المُسْتَميتِ المُدَجَّجِ[5]

قال : فأَعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذِرْني يا ابن عمِّي ؛ فإنِّي في حالةٍ اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلاَّب ، وأنت أَحقُّ مَن عذَرني . قال : والله لو لم تُعْطِني شيئاً مع ما أَعلَمه من جميل رأيك في عشيرتك ومَنِ انْقَطَع إليك لعذرتُك ، فكيف وقد أجزلتَ العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحَشْرَج ابنُ عَمٍّ يقول للقُشَيريّ : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يَكْذِبُك ويَمْلُذُكَ[6] . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال : [من الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضي   وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَنْ تَضيرُ
فمـا بيَدَيْـكَ خيرٌ أَرتَجيـهِ   وغيرُ صُدُودِكَ الحَرَبُ الكَبيرُ
إذا أَبصرتَنـي أَعرضتَ عنِّي   كأنَّ الشمسَ مـن قِبَلي تَدُورُ
وكيف تَعِيبُ من تُمْسي فقيراً   إليـه حـين تَحْزُبك الأُمورُ
ومَنْ إنْ بِعْتَ منزلـةً بأُخرى   حَلَلْتَ بأَمـرِهِ وبـه تَسيرُ
أَتزعـمُ أَنَّني مَلِـذٌ كَذُوبٌ   وأَنَّ المَكْرُمـاتِ لـديَّ بُورُ
وكيف أَكـون كَذَّابـاً مَلُوذاً   وعنـدي يَطْلُبُ الفَرَجَ الضَّرِيرُ

1 المنوط : الدعيّ الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحمق الهذر اللئيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .
2 السكيت : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .
3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المرّ .
4 يفلج : يظفر .
5 اللها : جمع لهاة .
6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسرّ من غير فعل .

أُواسي في النَّوائبِ مَن أَتاني ... ويُجْبَرُ بِي أَخُو الضُرّ الفَقِيرُ

[كان يعطى كثيراً فلامته زوجه وأيدها صديق له]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أَحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال: أَعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخراسان حتّى أعطى مِنْشَفَةً [كانت] عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه. فقالت له امرأته: لَشَدَّ ما تَلاعبَ بكَ الشيطان، وصِرْتَ من إخوانه مُبذِّراً؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾. فقال عبد الله بن الحشرج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النَّهْديّ وكان أَخاً له وصديقاً: يا رِفاعة، أَلا تسمَع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء[1] وما تتكلَّم به؟ فقال: صدقتْ واللهِ وبَرَّتْ! إنّك لمبذِّر، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشياطين. فقال ابن الحشرج في ذلك: [من الطويل]

مَتى يأتنا الغَيْثُ المُغيثُ تَجدْ لنا ... مَكارِمَ ما تَعْيا بأَمْوالِنا التُّلْدِ[2]

مَكارِمَ ما جُدْنا بِهِ إذْ تَمَنَّعتْ ... رِجالٌ وضنَّتْ في الرَّخاء وفي الجَهْدِ

أَرَدْنا بما جُدْنا به من تِلادِنا ... خِلافَ الذي يأتي خِيارُ بني نَهْدِ

تَلومُ على اتْلافِيَ المالَ طَلَّتِي ... ويُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ[3]

أَنَهْدُ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فتُشفِقُوا ... عليَّ ولا منكم غَواتِي ولا رُشْدِي[4]

أراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة.

أَبَيْتُ صَغيراً ناشئاً ما أَردتُمُ ... وكَهْلاً وحتَّى تُبْصِرُونِيَ في اللَّحْدِ

سأَبْذُلُ مالي إنَّ مالِي ذَخِيرةٌ ... لِعَقْبي وما أَجْني به ثَمَرَ الخُلْدِ

ولستُ بمِبْكاءٍ على الزَّادِ باسِلٍ ... يَهِرُّ على الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ[5]

ولَكِنَّني سَمْحٌ بما حُزْتُ باذِلٌ ... لِما كُلِّفتْ كَفَّايَ في الزَّمَنِ الجَحْدِ

بذلك أَوصاني الرُّقادُ وقَبْلَه ... أَبوه بأَنْ أُعْطِي وأُوفِيَ بالعَهْدِ

الرُّقاد: ابن عمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سيِّداً جَواداً.

قال عطاء بن مُصعَبٍ: وقال عبد الله بن الحَشْرَج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة.

---

1 الورهاء: الحمقاء.

2 التلد: المال القديم.

3 طلة الرجل: زوجته.

4 نهد بن زيد: القبيلة التي ينتسب إليها رفاعة بن زويّ.

5 باسل هنا: بمعنى غاضب.

وقد ذكر ابن الكلبيّ وأبو اليَقْظان شيئاً من هذه القصيد في كتابَيْهما المُصَنَّفَيْن ونَسَبا[ها] إليه : [من الطويل]

سأجعل مالِي دونَ عِرْضِي وِقايةً ... مـن الذَّمِّ ؛ إن المالَ يَفْنى ويَنْفَدُ

ويُبْقِي لِيَ الجُودُ اصطناعَ عَشِيرَتي ... وغَيْرِهـمُ والجُـودُ عِـزٌّ مُؤَبَّدُ

ومُتَّخِذِ ذَنْبـاً عـلَيَّ سَماحتـي ... بمالي ، ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ

يَبِيدُ الفتـى والحمـدُ ليس ببائـدٍ ... ولكنَّـه للمـرء فضـلٌ مُؤَكَّدُ

ولا شيءَ يبقى للفتى غيرُ جُودِهِ ... بما مَلَكـتْ كَفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ

ولائمةٍ في الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها ... وقالـتُ لهـا بَنْيُ المَكارِمِ أَحمدُ[1]

فلمّا أَلَحَّتْ في المَلامـةِ واعترتْ ... بذلـك غَيْظِـي واعتراها التَّبَلُّدُ

[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتي ... وتَطْليقَها والكَـفُّ عَنِّيَ أَرشدُ]

فلَجَّتْ وقالـتْ أنتَ غـاوٍ مُبَذِّرٌ ... قَرِينُـك شيطـانٌ مَرِيـدٌ مُفَنِّدُ

فقلتُ لهـا بيني فما فيكِ رغبةٌ ... ولِي عنكِ في النِّسْوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ

وعيشٌ أَنِيـقٌ والنِّساءُ مَعـادِنٌ ... فَمِنْهُـنّ غُـلٌّ شَرُّها يتمرَّدُ[2]

لهـا كلَّ يوم فوق رأسيَ عارِضٌ ... من الشَّرّ بَرَّاقٌ يَـدَ الدَّهـرِ يُرْعِدُ

وأُخرى يَلَذُّ العيشُ منها ، ضَجيعُها ... كريمٌ يُغادِيـهِ مـن الطيرِ أَسْعُدُ

فيا رَجُلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ واتْرُكِ الْـ ... ـبَلايـا فإنَّ المـوتَ للنَّاسِ مَوْعِدُ

فعِشْ ناعمـاً واتْرُكْ مَقالةَ عاذلٍ ... يلومُـك في بَـذْلِ النَّـدى ويُفَنِّدُ

وجُـدْ باللُّها إنّ السماحةَ والنَّدى ... هي الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّدُ[3]

وحَسْبُ الفَتى مجداً سماحةُ كَفِّه ... وذُو المَجْـدِ محمودُ الفِعال مُحَسَّدُ

[طلّق امرأته لعذلها إيّاه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَفَّقك الله لِحَظِّك ! أَنْهَبْتَ مالَك وبذَّرته وأَعطيته هَيَّان بن بَيَّان[4] ، ومَنْ لا تدري من أَيِّ هافيةٍ[5] هو ! قال : فغضِب فطَلَّقها ، وكان لها محبّاً وبها مُعْجَباً .

---

1 نهنهت غربها : كفكفت حدتها وزجرتها .

2 يتمرّد : يتجاوز الحدّ .

3 اللها : العطايا مفردها لهوة .

4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .

5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فعَنَّفه فيها ابنُ عَمٍّ لها يقال له حنظلةُ بن الأَشهب بن رُمَيْلة ، وقال له : نَصَحتُكَ فكافأتَها بالطَّلاق ! فوالله ما وُفِّقتَ لرُشْدِك ، ولا نِلْتَ حَظَّك ، ولقد خاب سَعْيُك بعدها عند ذوي الأَلبابِ . فهلاَّ مَضَيْتَ لِطيَّتك ، وجَرَيْتَ على مَيْدانِك ، ولم تلتفت إلى امرأةٍ من أهل الجَهالة والطَّيْش لم تُخْلَقْ للمَشُورة ولا مثلُ رأْيها يُقْتَدى به . فقال ابن الحَشْرَج لحنظلة : [من الطويل]

أَحَنْظَلَ دَعْ عنك الذي نالَ مالَه ... لِيَحْمَدَه الأَقوامُ في كلِّ مَحْفِلِ
فكَمْ من فَقِيرٍ بائس قد جَبَرْتُه ... ومِنْ عائلٍ أَغنيتُ بعدَ التَّعَيُّلِ
ومن مُتْرَفٍ عن مَنْهَجِ الحقِّ جائرٍ ... علوتُ بعَضْبٍ ذي غِرارَيْنِ مِقْصَلِ[1]
وزارٍ عليَّ الجُودَ والجودُ شيمتي ... فقلتُ له دَعْني وكُنْ غَير مُفْضِلِ
فمِثْلُك قد عاصَيْتُ دهراً ولم أَكُنْ ... لأَسْمَعَ أَقوالَ اللئيمِ المُبَخِّلِ
أَبى لِيَ جَدِّي البُخْلَ مذ كنتُ يافعاً ... صغيراً ومن يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ
ويَسْتَغْنِ عنه الناسُ ، فارْكَبْ مَحَجَّةَ الْـ ... ـكِرامِ ودَعْ ما أَنت عنه بمَعزِلِ
فإنِّي امرؤٌ لا أُصحَبُ الدَّهرَ باخِلاً ... لئيماً وخيرُ النَّاسِ كلُّ مُعَذَّلِ
ومُسْتَحْمَقٍ غاوٍ أتتْه نَذيرَتي ... فلَجَّ ولَم يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلي[2]
نفحتُ ببيتٍ يملأُ الفَمَ شارِدٍ ... له حَبَرٌ كأَنَّه جِبْرُ مِغْوَلِ[3]
فكَفَّ ، ولَو لَمْ أَرْمِهِ شاعَ قولُه ، ... وصار كدِرْياقِ الذُّعاف المُثَمَّلِ[4]
ولَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيتُ ظلامَه ... بناجيةٍ كالبُرْجِ وَجْناءَ عَيْهَلِ[5]
إلى مَلِكٍ مِنْ آل مَرْوانَ ماجِدٍ ... كريمِ المُحَيَّا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلِ
يجودُ إذا ضَنَّتْ قريشٌ برِفْدِها ... ويَسْبِقُها في كلِّ يوم تَفَضُّلِ
أَبوه أَبو العاصي إذا الحَرْبُ شَمَّرتْ ... مَراها بمَسْنونِ الغِرارَيْنِ مِنْجَلِ[6]
وَقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ مِرْجَمٌ ... صَبُورٌ عليها غيرُ نِكْسٍ مُهَلِّلِ[7]

1 السيف المقصل : القطاع .
2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .
3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .
4 المثمل : السم الناقع .
5 البرج : الحصن . الناجية : الناقة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .
6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .
7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أَقامَ لأَهلِ الأَرضِ دِينَ محمدٍ ... وقد أَدبَرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلِ
فما زالَ حَتَّى قَوَّمَ الدِّينَ سَيْفُهُ ... وعَزَّ بحَزْمٍ كُلَّ قَرْمٍ مُحَجَّلِ
وغادَرَ أَهلَ الشَّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمُ ... قَتِيلٌ وناجٍ فوق أَجْرَدَ هَيْكَلِ
نَجا من رماح القوم قُدْماً وقد بَدا ... تَباشِيرُه في العارِضِ المُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المَدْح محمدَ بن مَروان لَمّا قَتَل مُصْعَب بن الزُّبير بدَيْر الجاثَلِيقِ[1] . وكان محمد بن مروان يقوم بأَمْره ، ويُوَلِّيه الأعمالَ ، ويَشْفَع له إلى أَخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أَحمد بن الهيثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب مالِه وتَبذيره إيّاه ، وقال له فيما يقول : امرأَتُك كانت أَعلَم بك ، نَصَحَتْك فكافأْتها بالطلاق . فقال له : يا ابنَ عمّ ، إنّ المرأة لم تُخلَقْ للمَشُورة ، وإنّما خُلِقتْ وِثاراً للباءة[2] . وواللهِ إنّ الرُّشْد واليُمْنَ لفي خِلاف المرأة . يا ابن عمّ ، إيّاك واستماعَ كلامِ النساء والأَخْذَ به ؛ فإنّك إن أخذتَ به نَدِمتَ . فقال له ابن عمِّه : والله لَيُوشكنّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[3] . فقال ابن الحَشْرَج : [من الطويل]

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُني ... وتَعْذُلُني فيما أُفِيدُ وأُتْلِفُ
تَلَوَّمتُها حتّى إذا هي أَكثرتْ ... أَتيتُ الذي كانت لَدَيّ تَوَكَّفُ[4]
وقلتُ عليكِ الفجَّ أَكثرتِ في النَّدى ... ومِثْلي تَحاماه الأَلَدُّ المُغطرِفُ[5]
أَبى لِيَ ما قد سُمْتِني غيرُ واحدٍ ... أَبٌ وجُدودٌ مَجْدُها ليس يُوصَفُ
كُهولٌ وشُبّانٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهمْ ... إذا ذُكِرُوا فالعينُ مِنّي تَذْرِفُ
هُمُ الغيثُ إن ضَنَّتْ سماءٌ بقَطْرِها ... وعندهمُ يرجو الحَيا مُتَلَهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عَرِّها ... تَظَلُّ بأَنواعِ المَنِيّةِ تَصْرِفُ[6]

1 دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السّواد وأرض تكريت .
2 الوثار : الفراش الوطيء .
3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .
4 تلومتها : أمهلتها . توكّف : توقّع .
5 المغطرف : المتكبّر المختال .
6 العر : الشرّ والأذى . تصرف : تصوّت .

حَمَوْها وقاموا بالسُّيوف لِحَمْيِها ... إذا فَنِيتْ أُضحتْ لهم وهْيَ تَعْصِفُ

فلمّا أَبَتْ إلاّ طِماحاً تَنَمَّرُوا ... بأسيافِهِمْ والقومُ فيهم تَعَجْرُفُ[1]

فذَلَّتْ وأَعطتْ بالقِيادِ وأَذعنتْ ... إذا ما اشتهى قومي وذُو الذُّلِّ يُنصِفُ

وكانتْ طَمُوحَ الرَّأسِ يَصْرِف نابُها ... من الشَّرِّ تاراتٍ وطوراً تَقَفْقَفُ[2]

[فَلَمَّا امتَرَيْنا بالسُّيوفِ خُلوفَها ... تَأَبَّتْ علينا والأَسِنَّةُ تُرْعَفُ]

فدَرَّتْ طِباقاً وارعوتْ بعد جَهْلِها ... وكُنّا رِماماً لِلَّذِي يَتَصَلَّفُ[3]

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحَشْرَج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النهديّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود : [من الطويل]

أُلامُ علَى جُودِي وما خِلْتُ أَنَّني ... بِبَذْلِي وجُودِي جُرْتُ عن مَنْهَج القَصْدِ

فيا لائِمي في الجُودِ أَقْصِرْ فإنَّني ... سأَبْذُل مالي في الرّخاء وفي الجَهْدِ

وجَدتُ الفَتى يَفْنى وتبقى فعالُه ... ولا شيءَ خيرٌ في الحديث من الحَمْدِ

وإنِّي وباللهِ احتيالي وحِرْفَتي ... أُصَيِّرُ جارِي بين أَحشاي والكَبْدِ

أَرى حَقَّه في الناسِ ما عِشْتُ واجباً ... عليَّ وآتي ما أَتيتُ على عَمْدِ

وصاحبِ صِدْقٍ كان لي ففقدتُه ... وصَيَّرني دَهْري إلى مائِقٍ وَغْدِ[4]

يَلُومُ فَعالِي كلَّ يومٍ ولَيلةٍ ... ويعدو على الجيرانِ كالأَسَدِ الوَرْدِ

يُخالفُني في كلِّ حقٍّ وباطلٍ ... ويأنَفُ أَن يَمْشي على مَنْهَج الرُّشْدِ

فلمّا تَمادى قلتُ غيرَ مُسامحٍ ... له : النَّهْجَ فارْكَبْ يا عَسِيف بني نَهْدِ[5]

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ قال حدَّثنا ابن عائشة قال : وَفَد زِيادُ الأَعْجَمُ على عبد الله بن الحَشرج الجَعديّ وهو بسابور[6] أَميرٌ عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروّي فيه .
2 قفقف : ارتعد .
3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رُمة وهي قطعة يشدّ بها الأسير ويقلد بها البعير .
4 المائق : الأحمق .
5 العَسِيف : الأجير ، والعبد المستهان به .
6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فأمر بإنزالِهِ وأَلْطَفَه وبَعَث إليه ما يحتاج إليه . ثم غَدا عليه زيادٌ فأنشده : [من الكامل]

إنَّ السَّماحةَ والمُروءة والنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ
مَلِـكٌ أغَـرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائـلٍ للمُعْتَفِـينَ يَمِينُـه لم تَشْنَجِ[1]
يا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ المنابِرَ بالتُّقى بعدَ النبـيِّ المصطفى المُتَحَرِّجِ
لمّـا أتيتُـكَ راجيـاً لِنَوالِكُمْ ألفيتُ بـابَ نَوالِكمُ لم يُرْتَجِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد قيل : إنّ الأبياتَ التي ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبد الله بن الحَشرج لغيره . والقول الأصحّ هو الأوّل . أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال حدَّثنا العُمَريّ عن هشام بن الكلبيّ : أنّه سمِع أبا باسِلٍ الطائيّ يُنْشِد هذا الشعر ، فقلت : لِمَن هو ؟ فقال : لِعمِّي عَنترة بن الأخْرَس ؟ قال : وكان جدّي أخرسَ ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب . ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلَم .

صوت

[من الطويل]

أُصاحِ ألا هَـلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ وريحِ الخُزامى غَضَّةً من ثَـرًى جَعْدِ
وهـل لِلَيالينا بِـذِي الرِّمْـثِ مَرْجِعٌ فنَشْفي جَوى الأحزانِ من لاعِجِ الوَجْدِ[2]

عروضه من الطويل . الشعر للطِّرِمّاح بن حَكِيم . والغناء ليحيى المكيّ ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر من كتابه .

1 شنجت يده : تقبضت ، كناية عن البخل .

2 ذو الرمث : واد لبني أسد .

[199] ـ أخبار الطِّرمّاح ونسبه[1]

[نسبه]

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْرِ بن قَيس بن جَحْدَر بن ثعلبة بن عبد رِضا بن مالك بن أمان بن عَمرو بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَلَ بن عَمرو بن الغَوث بن طيىء . ويُكنى أبا نَفْر ، وأبا ضَبِينة . والطِّرِمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنّه [كان] يُلقَّب الطّرّاح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطّرّاح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

ألا أيُّها الليلُ الطويـلُ ألاَ ارْتَحِ بصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَرْوَحِ[2]
بَـلى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً بِطَرْحِهما طَرْفَيْهمـا كلَّ مَطْرَحِ[3]

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى من كتابه .

والطِّرِمّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَن وَرَدها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة .

[كيف دخل في مذهب الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قَدِم الطِّرِمّاح بن حَكيم الكوفة ، فنزل في تَيم اللاّتِ بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة ، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسَخ كلامُه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبِله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطِّرِمّاح والكُميت يصيرانِ إليّ فيَسْألاني عن الغريب فأُخْبِرهما به ، فأراه بَعْدُ في أشعارهما .

[غريب شعره]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألتُ ابنَ الأعرابيّ

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276–278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7–12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402–403 .

2 ألاّ ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبحٍ في الديوان 96 : بيمٍّ ، وبمّ : مدينة بكرمان .

3 بلى إن في الديوان 96 : على أنّ .

عن ثماني عشرة مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِمّاح ، فلم يَعرف منها واحدةً ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صداقة الطِّرمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب قال حدَّثنا ابن قُتَيبة ، قالا : كان الكُمَيت بن زيد صديقاً للطِّرِمّاح ، لا يَكادان يفترقان في حالٍ من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيء أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تباعُد ما يَجمَعُكما من النَّسب والمَذهب والبلد : هو شآميّ قَحْطانيّ شارِيٌّ ، وأنت كوفيٌّ نِزاريٌّ شِيعِيٌّ ، فكيف اتَّفقتما مع تَباين المذهب وشدّة العصبيّة ؟ فقال : اتَّفقنا على بُغض العامّة .

قال : وأُنشِد الكميت قول الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمَّــاحِ أَخْلَقــتْ عُرى المَجْدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعِنانُ الخَطابةِ والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شَبّة : «والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسختُ من كتاب جَدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثَوابة ، رحمه الله تعالى ، بخطّه قال حدَّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : وَفَد الطِّرِمَّاح بن حكيم والكُمَيت بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المهلَّبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدّم الطِّرِمّاح لِيُنشِد ؛ فقال له : أنْشِدنا قائماً . فقال : كلاّ والله ، ما قَدْرُ الشعرِ أن أقوم له فيَحُطَّ منّي بقيامي وأَحُطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكر لمآثر العرب . قيل له : فَتَنَحَّ . ودُعِي بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكُميت شاطَرها الطِّرِمّاح ، وقال له : أنت أبا ضَبِينة أبعدُ هِمّة وأنا أَلطَف حِيلةً . وكان الطِّرِمّاح يُكْنى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينة .

[هو والكميت وذو الرمّة في مسجد الكوفة]

ونسخت من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن عَلاَّق قال أخبرني شيخٌ لنا أنَّ خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسان بقُرب باب[1] الفيل ، إذ رأيتُ أعرابيّاً قد جاء يَسحب أهداماً[2] له ، حتى إذا توسَّط المسجدَ خرّ ساجداً ، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاح فقصدهما .

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .

2 الأهدام : جمع هِدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَن هذا الحائن[1] الذي وقع بين هذين الأَسدين ! وعَجِبتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة . فقصدتُه ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفتَ إلى الكُمَيت فقال : أَسْمِعْني شيئاً يا أبا المُستَهِلّ ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبتْ هذِهِ النَّفْسُ إلاّ ادِّكارا

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنتَ واللهِ يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونَظْمِ عِقْدِها . ثم التفتَ إلى الطِّرِمّاح فقال : أَسمِعني شيئاً يا أبا ضَبِينة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها : [من الطويل]

أساءَكَ تقويضُ الخَلِيطِ المُباينِ نَعم والنَّوى قَطَّاعةٌ للقَرائِنِ[2]

فقال : للهِ دَرُّ هذا الكلام ! ما أحسَنَ إجابته لرَوِيَّتِكَ ! إنْ كِدتُ لأُطِيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابيّ : واللهِ لقد قلتُ بعدكما ثلاثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أُطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكدتُ أدَّعِي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استفزّني به الجَذَلُ حتّى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ؛ فأنشدهم [قوله] : [من البسيط]

أإنْ تَوَهَّمْتَ مِنْ خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ[3]

حتّى إذا بلغ قوله :

تَنْجُو إذا جَعَلتْ تَدْمى أَخِشَّتُها وابْتَلَّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَراطِيمُ[4]

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظَفِرتُ به إلاّ آنِفاً ، وأَحْسِبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قولَه : [من البسيط]

ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

ثم أنشدهم كلمته الأُخرى التي يقول فيها : [من الطويل]

إذا اللَّيْلُ عن نَشْزٍ تَجلَّى رَمَيْنَهُ بأَمثالِ أَبصارِ النِّساءِ الفَوارِكِ

قال : فضرب الكُمَيت بيده على صدر الطِّرِمّاح ، ثم قال : هذه واللهِ الدِّيباجُ لا نَسْجي ونسجك الكرابِيس[5] . فقال الطِّرِمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجَودته . فغضب ذو الرُّمّة

---

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجوم : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأخشّة : جمع خِشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ .

5 الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طِرِمّاح ! أأنت تُحسن أن تقول : [من الطويل]

وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتي من مَفازةٍ إليكَ ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ[1]
بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلى كأنَّها نَوادِرُ صِيصاء الهَبِيدِ المُحَطَّمِ[2]

فأصغى الطِّرِمّاح إلى الكميت وقال له : فانظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر ؛ قال : وهذه قصيدةٌ مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك ، فلم يمدحه فيها ولا ذَكَره إلاّ بهذين البيتين ، وسائرُها في ناقته . فلمّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلاّ ناقتك ، فخُذْ منها الثَّوابَ . وكان ذو الرُّمّة غيرَ محظوظ من المديح ، قال : فلم يَفهم ذو الرمّة قول الطِّرِمّاح للكميت . فقال له الكميت : إنّه ذو الرمّة وله فضلُه ، فأعْتِبْه[3] . فقال له الطِّرِمّاح : معذرةً إليك ؛ إنّ عِنان الشِّعر لَفي كَفِّك ، فارجعْ مُعْتَباً ، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

[مرّ الطرماح يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدَّثني محمد بن إبراهيم بن عبّاد قال حدَّثني أبو تَمّام الطائيُّ قال : مَرّ الطِّرِمّاح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته . فقال رجل : مَن هذا الخطّار ؟ فسمِعه فقال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

صوت

لقد زادَني حُبّاً لِنَفْسيَ أنّني بَغِيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غيرِ طائِلِ[4]
وأنّي شَقِيٌّ باللِّئام ولا ترى شقيّاً بهم إلاّ كريمَ الشمائِلِ
إذا ما رآني قطَّع اللحظَ بينه وبينيَ فعلَ العارفِ المُتَجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّها من الضِّيق في عينيه كِفَّةُ حابِلِ[5]

في هذه الأبيات لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّع قال حدَّثنا هشام بن محمد قال

1 الماء المسدم : المتغير لطول العهد .
2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه .
3 أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .
4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمَرَّطةَ الكِنديّ قال : مدَح الطِّرِمّاح خالد بن عبد الله القسريّ ، فأقبلَ على العُريان[1] بن الهيثم فقال : إنّي قد مدحتُ الأمير فأُحِبّ أن تُدْخِلَني عليه . قال : فدخلَ إليه فقال له : إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجةٍ . فقال العُرْيان للطِّرِمّاح : تَراءَ له . فخرج معه ، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسَنّاة[2] إذا شيءٌ قد ارتفع له ، فقال : يا عُريان انظُر ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلحَ الله الأمير ، هذا شيءٌ بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجِسْتان ؛ فإذا حُمُرٌ وبغال ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : يا عريان ، أين طِرِمّاحُك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أَعْطِه كلَّ ما قُدِم به . فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشِده . قال هشام : والطِّرِمّاح : الطويل .

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدَّثنا أبو حاتم قال حدَّثني الحَجّاجيّ قال : بلغني أنّ الطِّرِمّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبس ، فأنشد العبسيُّ قول كُثَيِّرٍ في عبد الملك رحمه الله : [من الطويل]

فكنتَ المُعَلَّى إذ أُجِيلتْ قِداحُهُم ... وجـال المَنِيحُ وَسْطَهـا يَتَقَلْقَلُ[3]

فقال الطِّرِمّاح : أما إنّه ما أراد به أنّه أعلاهم كعباً ، ولكنّه موَّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخُلفاء الذين كان كثيِّر لا يقول بإمامتهم ؛ لأنّه أخرج عليّاً عليه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعلَّى السابعُ من القِداح ؛ فلذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال : [من المتقارب]

وكان الخَلائِـفُ بعـدَ الرَّسُو ... لِ للهِ كُلُّهـم تابِعـا
شهيدانِ مـن بعـد صِدِّيقِهِمْ ... وكان ابنُ حَرْبٍ لهم رابِعـا
وكان ابنُـه بعـدَه خامساً ... مُطِيعـاً لِمَـن قبلـه سامِعـا
ومَرْوانُ سادِسُ مَنْ قد مَضى ... وكان ابنُـه بعـدَه سابعـا

قال : فَعجِبْنا من تنبُّه الطِّرِمّاح لمعنى قولِ كُثَيِّر ، وقد ذهب على عبد الملك فظنَّه مدحاً .

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ ببيتين له]

أُخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسّان دَماذ قال : كان أبو عبيدة والأصمعيّ

1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسري أميراً على العراق .
2 المسناة : الأحباس تبنى في وجه السّيل .
3 المعلى من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر ، وهي عشرة . والمنيح : قدح منها لا نصيب له .

يفضّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين ، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق : [من الكامل]

مُجْتابُ حُلَّةِ بُرْجُدٍ لِسَراته ... قِدَدا وأَخْلَفَ ما سَواه البُرْجُدُ[1]

يبدو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنّه ... سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

[أثنى أبو نواس على بيت له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ قال قال أبو نواس : أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ ... عُرى المجدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

[مناقضة بينه وبين حميد اليشكري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فَضَّل الطِّرِمّاح بني شَمْخ[2] في شعره على بني يَشْكُرَ ؛ فقال حُمَيد اليشكريّ : [من الوافر]

أَتَجْعَلُنا إلى شَمْخ بن جَرْمٍ ... ونَبْهانٍ فَأُفٌّ لذا زَمانا

ويومَ الطَّالَقانِ حَماك قَومي ... ولم تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنانا[3]

فقال الطِّرِمّاح يُجيبُه : [من الوافر]

لقد عَلِم المُعَذَّلُ يومَ يدعو ... بِرِمْثَةَ يومَ رِمْثَةَ إذ دعانا[4]

فوارسُ طَيِّءٍ مَنَعُوه لّما ... بكى جَزَعاً ولولاهم لَحانا[5]

فقال رجلٌ من بني يَشكر : [من البسيط]

لأَقْضِيَنّ قضاءً غيرَ ذي جَنَف ... بالحقِّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاحِ

جَرى الطِّرِمّاحُ حتّى دَقّ مِسْحَلَهُ ... وغُودِرَ العبدُ مقروناً بوَضّاحِ[6]

يَعْني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ .

[شعر له في الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأصمعيّ قال خَلَفٌ : كان

---

1 مجتاب خلة : لابسها . والسّراة : الظهر . والبُرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطّط ضخم . والقدد جمع قِدة وهي القطعة من الشيء .

2 شمخ ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .

3 الطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

4 رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .

5 حان : هلك .

6 المسحل : اللجام .

الطِّرِمّاح يَرى رأيَ الشُّراة ، ثم أَنشَد له : [من المنسرح]

لله دَرُّ الشُّراةِ إنّهمُ إذا الكَرى مالَ بالطُّلى أَرِقُوا[1]
يُرَجِّعون الحَنِينَ آونةً وإن عَلا ساعةً بهم شَهَقوا
خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفةً تكاد عنها الصدورُ تَنْفَلِقُ
كيف أُرَجِّي الحياةَ بعدهُمُ وقد مضى مُؤنِسيَّ فانطلَقوا
قَومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهِمُ بالفَوْزِ ممّا يُخافُ قد وَثِقوا

[أنشد خالداً القسريّ شعراً في الشكوى فأجازه]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أَخبرنا أَبو عثمان عن التَّوَّزِيّ عن أَبي عبيدة عن يونس قال : دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فأنشده قولَه : [من الطويل]

وشيَّبَني ما لا أَزالُ مُناهِضاً بغيرِ غِنًى أَسْمُو به وأَبوعُ[2]
وأَنّ رجالَ المال أَضحَوْا ومالُهُمْ لهم عند أَبوابِ الملوكِ شَفِيعُ
أَمُخْتَرمي رَيْبُ المَنُونِ ولَم أَنَلْ منَ المالِ ما أَعْصي به وأُطِيعُ

فأَمر له بعشرين أَلفَ درهم وقال : امْضِ الآن فاعْصِ بها وأَطِعْ .

[قال المفضل : كأنّه يوحى إليه ، في الهجاء]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثنا حُذَيفة بن محمد الكوفيّ قال قال المُفَضَّل : إذا رَكِب الطِّرِمّاح الهجاءَ فكأَنّما يُوحى إليه ، ثم أَنشد له قوله : [من البسيط]

لو حانَ وِرْدُ تَمِيم ثم قيل لها حوضُ الرَّسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أَوْ أَنزلَ اللهُ وحياً أَنْ يُعَذِّبَها إن لم تَعُدْ لِقتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
لا عَزّ نَصْرُ امرىءٍ أَضْحى له فرسٌ على تميمٍ يُريد النصرَ من أَحَدِ
لو كان يَخْفى على الرحمنِ خافيةٌ من خلقِه خَفِيتْ عنه بنو أَسَدِ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلاّ نعشه]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال أَخبرنا عُمَر بن شَبّة قال حدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني ابنُ دأبٍ عن ابن شُبْرُمَةَ ، وأَخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال أَخبرني أَبي قال حدَّثني

1 الطُّلى : الأعناق ، واحد طُلْية .
2 في الديوان 314 : «أَنْ لا أزال» . أبوع : يبوع : يمدّ باعه .

الحسنُ بن عبد الرحمن الرِّبعيّ قال حدَّثني محمد بن عِمران قال حدَّثني إبراهيم بن سَوَّار الضَّبِّيّ قال حدَّثني محمد بن زيادٍ القُرشيّ عن ابن شُبْرُمَةَ قال : كان الطِّرِمّاح لنا جليساً فَفَقَدْناه أيّاماً كثيرة ، فقُمْنا بأجمعنا لننظرَ ما فَعَلَ وما دهاه . فلمّا كنّا قريباً من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ أخضرُ ، فقلنا : لِمَن هذا النعش ؟ فقيل : هذا نعش الطِّرِمّاح . فقلنا : والله ما استجاب الله له حيث يقول : [من الطويل]

وإنّــي لَمُقْتــادٌ جَـوادِي وقاذِفٌ ... به وبنَفْسي العامَ إحـدى المَقاذِفِ
لأَكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غنًى ... منَ اللهِ يَكْفِيني عِـداتِ الخَلائِفِ
فَيا رَبِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تَكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلى بخُضْرِ المَطارِفِ[1]
ولكــنّ قَبْري بطــنُ نَسْرٍ مَقِيلُه ... بجَوّ السماءِ في نُسورٍ عَواكِفِ[2]
وأمْسي شهيداً ثاويـاً في عِصابةٍ ... يُصابُونَ في فَجٍّ من الأرضِ خائِفِ[3]
فَوارِسُ مـــن شَيْبانَ أَلَّفَ بينهُمْ ... تُقى اللهِ نَزّالونَ عنــد التَّزاحُفِ
إذا فارقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى مِيعاد ما في المَصاحِفِ[4]

صوت

[من البسيط]

هل بالدِّيارِ التي بالقاعِ منْ أَحَدِ ... باقٍ فَيَسْمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السَّارِي
تلكَ المنازِلُ من صَفْراءَ ليس بهــا ... حــيٌّ يُجيبُ ولا أَصواتُ سُمَّارِ

الشعر لبَيْهَسٍ الجَرْميّ . والغناء لابن محرزٍ ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكيّ ، وأظنّه من المنحول . وفيه لطيّاب بن إبراهيم الموصليّ خفيفٌ ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحِبِ الوَضُوء :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بك ضَعْفُهْ

---

1 شرجع : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدُكن .
2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .
3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أحِنْ يومي شهيداً وعصبته» .
4 في الديوان 334 : موعود .

[200] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

هو بَيْهس بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبَيد بن عَلقمة بن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طَرود بن قُدامة بن جَرْم بن ربّان بن حُلْوان بن عِمران بن إلحاف بن قُضاعة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأمويّة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْمٍ وكَلْبٍ وعُذْرة ، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشام .

[اتّهم بقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا هدأتِ الفِتنةُ بعد وقعة مَرج [راهِطٍ] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكلْبٍ ، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم . فيُقال : إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقته فألقته ، فاندقّت عُنقه فمات . واستعدى قومُه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون مَن جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهَرَب بَيْهَسُ بن صُهَيْب الجَرْمِيّ ، وكان قد اتُّهم بأنّه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجارَ به ، فأجارَه إلاّ من حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ ، فَرَضِي بذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يا حَماماتِ اللِّوى عُدْنَ عودةً ... فإنّي إلى أَصواتِكُنَّ حَزِينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني ... وكِدْتُ بأَسْرارِي لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأَصواتِ الهَدِيلِ كأنّما ... شَرِبْنَ حُمَيّا أَوْ بِهِنّ جُنُونُ
فلَمْ تَرَ عيني مِثْلَهُنّ حمائماً ... بَكَيْنَ ولَم تَدْمَعْ لَهُنّ شؤُونُ

الشعر لأعرابيّ ، هكذا أنشدْناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسخُنَّر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد قيل : إنّ الشعر لابن الدُّمَينة .

[201] ـ أخبار محمد بن الحارث بن بسخنَّر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ويُكْنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، مَوالي المنصور . وأحسبه ولاءَ خِدْمةٍ لا ولاءَ عِتْق . وأصلُهم من الرَّيِّ . وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرام چُوبين[1] . ووُلِد محمدٌ بالحِيرة . وكان يُغنِّي مُرتجلاً ، إلاّ أنّ أصل ما غنّى عليه المِعْزَفة ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مِصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي مِعْزَفةُ محمد بن الحارث . فحلَف يومئذٍ بالطلاق والعِتاق ألاّ يُغنِّي بمِعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلةٌ يغنِّي بها بمِصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خَلْقِ الله تعالى أداءً وأسرعَه أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوارٍ مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يَطرَحن على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنَّى مُخارق بين يديه صوتاً فالتاث[2] غناؤه فيه وجاء به مُضْطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤُهُ في غنائه ، فمُرْه بمُلازمةِ جَواري الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : سمعتُ إسحاق[3] بن إبراهيم بن مُصعب يقول للواثق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : ما قَدَر أحدٌ قطُّ أن يأخذ منّي صوتاً مستوياً إلاّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ؛ فإنّه أخذ منّي عدّة أصوات كما أُغَنّيها . ثم لم نلبَث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيءٍ أخذت من صنعته أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعمُ أنّه لم يأخذ منه أحدٌ قطّ هذا الصوت كما أخذتُه منه : [من الطويل]

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التاث هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

صوت

إذا المَرْءُ قاسى الدَّهْرَ وابيَضَّ رأسُه وثُلِّم تَثْلِيمَ الإناءِ جَوانِبُهْ
فليس له في العيش خيرٌ وإنْ بكى على العيش أو رجَّى الذي هو كاذِبُهْ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواثق بأن يُغنِّيه ، فغنَّاه [إيّاه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواثق وأمَره بأنْ يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواثق وأخذه جَواريه والمُغنُّون . قال جحظة قال الهشاميّ فحدَّثتُ بهذا الحديث عمرَو بن بانة فقال : ما خَلَقَ الله تعالى أحداً يُغَنِّي هذا الصوت كما يُغنِّيه هِبة الله بن إبراهيم بن المَهدِيّ . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنّيه ، فاسمَعْه من محمد ثم احْكُم . فلَقِيَني بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلتَ ، قد سمِعتُه من محمد فسَمِعتُ منه الإحسان كلَّه .

[ردّد صوتاً لجارية كان يحبّها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كنتُ يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسَلِّماً وعائداً من عِلةٍ كنتُ وجدتها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حَضَر فأكلنا وشَرِبنا ، وغنّى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ وقلبُكَ مشغولٌ بخَوْدِكَ مُولَعُ
وقائلةٍ لي يومَ ولَّيْتُ مُعْرِضا أهذا فِراقُ الحِبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ
فقلتُ كَذاكِ الدَّهْرُ يا خَوْدُ فاعلَمي يُفَرِّقُ بينَ الناسِ طُرّاً ويَجْمَعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لفُلَيْح ثاني ثقيلٍ ، ولإسحاق خفيف رملٍ . قال عليّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغنّاه أشْجى غِناءٍ : إنّ لك في هذا الصوت معنى ، وقد كَرَّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جاريةٍ من القِيانِ كنتُ أُحِبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال : [من السريع]

لو لَمْ أَنِكْها دام لي حُبُّها لكِنَّني نِكْتُ فلا نِكْتُ

فأجبتُه فقلت : [من البسيط]

أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعَةٌ فارْفُقْ بنَيْكِكَ إنّ الرِّفْقَ محمودُ

[أخذ جواري الواثق منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى أنّ إسحاق غنّى بحضرة الواثق لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكِ إذ مَـرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ أَمـامَ المَطايـا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ[1]
من المُؤْلِفاتِ الرَّمْـلَ أَدمـاءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ[2]

والشعر لذي الرُّمّة . ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ ، فأمره الواثق أن يُعِيدَه على الجواري ، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه . فقال : لا يستطيع الجواري أن يأخُذْنَه مني ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذه منّي وتأخذه الجواري منه ؛ [فأُحْضِرَ وألْقاه عليه ، فأخذه منه ، وأخذتْه الجواري منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْواسة المَوصليّ قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أخذتْ جاريةٌ للواثق منّي صوتاً أخذتُه من أبيك ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أَصبحَ الشَّيْبُ في المَفارِقِ شاعا واكتسى الرَّأسُ مِنْ مَشِيبٍ قِناعا
وتولَّـى الشَّبـابُ إلاّ قليـلاً ثـمّ يأبـى القليـلُ إلاّ وَداعا

الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ . قال : فسَمِعه الواثق منها ، فاستحسنه وقال لعلُّويَه ومُخارق : أتَعرِفانه ؟ فقال مخارق : أظنّه لمحمد بن الحارث . فقال علّويَه : هيهاتَ ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمدٍ ، هو يُشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له الواثق : ما أبعدتَ . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصّة ؛ فقلت : صَدَق علّويه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه .

[غنّت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءَني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً فقال لي : قُمْ حتّى أُطَفِّل بك على صديقٍ لي حُرٍّ ، وله جاريةٌ أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغِناءً . فقلتُ له : أنت طُفَيْليّ وتُطَفِّل بي ؟ هذه والله أخسُّ حال . فقال لي : دعِ المجُونَ وقمْ بنا ؛ فهو مكانٌ لا يستحي حرٌّ أن يتطفّل عليه . فقمتُ معه ، فقصَد بي دار رجل من فتيان أهلِ «سُرَّ مَنْ رأى» كان لي صديقاً يُكْنى أبا صالح ، وقد غُيِّرت كنيته على سبيل اللّقب فكُنِي أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المروءة ، [يضرب بالعُود على مذهب الفُرْس ضرباً حسناً] ، وله رِزقٌ سَنِيّ في المَوالي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْد أخواته منزلَه . فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له : فرَّجْتَ عنّي ،

1 أم شادن : ظبية . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .
2 الأدم من الظباء : البيض تعلوهن جدد فيها غبرة .

[هذا صديقي] وأنا طُفَيْلِيّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتِيدٌ طيّب نظيف فأكلنا ، وأُحضِرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتارةٍ ، فغنّت غناءً حسناً شَكِلاً ظريفاً ، ثم غَنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه ـ وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَيْنة : [من الكامل]

صوت

ضيَّعْتِ عهـدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافظٍ   في حفْظِـهِ عَجَبٌ وفي تَضْييعِكِ
إن تَقْتُليـهِ وتذهبـي بفـؤادِهِ   فبِحسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنيعِكِ

فطَرِب محمد بن الحارث ونَقَّطها بدنانير مُسَيَّفةٍ[1] كانت معه في خريطته ، ووجَّه غلامه فجاءه ببَرْنِيَّة غاليةٍ كبيرةٍ ، فغَلَّفها[2] منها ووَهَب لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّب ظريف يُكنى أبا هارون ، فطَرب ونَعَر ونَخَر ، وقال لأخيه : أريد أن أقول لك شيئاً في السِّرِّ . قال : قُلْهُ عَلانيَّةً . قال : لا يصلحُ . قال : والله ما بيني وبينك شيءٌ أُبالي أن تقوله جهراً ، فقُلْه . فقال : أشتهي عَلِم اللهُ أن تسأل أبا الصَّالحاتِ أن يَنِيكَني ، فعسى صوتي أن يَنفتِح ويَطيبَ غِنائي . فضحِك أبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغَطَّتْ وجهَها وقالت : سَخنَتْ عينُك ! فإنّ حديثَك يشبِه وجهَك .

صوت

[من الطويل]

وأيُّ أخٍ تَبْلُـو فتَحْمَـدَ أَمْـرَهُ   إذا لَـجَّ خَصْمٌ أو نَبـا بِكَ مَنْزِلُ[3]
إذا أنـتَ لَم تُنْصِفْ أَخـاك وجدتَه   على طَـرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ
سَتَقْطَعُ في الدُّنيـا إذا مـا قطعتَني   يَمينَـكَ فانْظُـرْ أيَّ كَـفٍّ تَبَـدَّلُ
إذا انصرفتْ نفسي عن الشَّيْءِ لَم تَكَدْ   إليـهِ بِوَجْـهٍ آخِـرَ الدَّهْـرِ تُقْبِلُ

الشعر لِمَعْن بن أوس المُزَنيّ . والغناء لِعَريب [خفيف] رمل بالوسطى .

1 دينار مسيّف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .
2 غلّفها : ضمخها وطيبها .
3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :
وإنّي أخوك الدائم العهد لم أخنْ   إنْ آبزاك خصم أو نبا بك منزلُ

[202] ـ أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو مَعْن بن أَوْس بن نصر بن زياد بن أَسْحم بن زياد بن أَسعد بن أَسحم بن ربيعة بن عَدِيّ بن ثعلبة بن ذُؤَيب بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنَةَ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضر بن نزارٍ. ونُسِبوا إلى مُزَيْنة وهي امرأة: مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرَةَ، وأَبوهم عمرو بن أدّ بن طابِخة.

أَخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ وهاشم بن محمد الخُزاعيّ وعمّي قالوا: حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرة، تزوَّجها عمرو بن أدّ بن طابخة، فولدتْ له عثمان وأَوْساً، فغلبَتْ أُمُّهما على نَسَبهما. فعلى هذا القول عَدَّاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة.

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فحْل، من مخضرميّ الجاهليّة والإسلام وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ورَحمهم، منهم عبد الله بن جَحْش، وعُمَر بن أبي سَلَمة المخزوميّ. ووفَد إلى عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أَمرِه، وخاطَبه بقصيدته التي أوّلها: [من الطويل]

تَأَوَّبه طيفٌ بذاتِ الجَرائِمِ فنامَ رَفيقاهُ وليس بنائمِ[1]

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتنة بين عبد الله بن الزبير ومَروان بن الحكَم.

[رأي معاوية في شعر مزينة]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ قال حدَّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثَوبان عن عَلقمة بن مِحْجَن الخزاعيّ عن أبيه قال: كان معاوية يُفَضِّل مُزَيْنةَ في الشِّعر، ويقول: كان أَشعر أَهل الجاهليّة منهم وهو زهير، وكان أَشعر أَهل الإسلام منهم وهو ابنه كَعبٌ، ومَعْنُ بن أَوس.

[هو مئناث وله شعر في تفضيل البنات]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدَّثني العُتبيُّ قال: كان مَعْن بن أَوس مِئناثاً[2]، وكان يُحْسِن صُحْبةَ بناتِه وتربيتهنّ؛ فوُلِد لبعض عشيرته بنتٌ

1 ذات الجرائم: موضع.

2 رجل مئناث: الذي يلد الإناث، وكذلك المرأة.

فكرِهَها وأظهر جزَعاً من ذلك ؛ فقال مَعْنٌ : [من الطويل]

رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَناتِهم وفِيهنّ ، لا تُكْذَبْ ، نِساءٌ صَوالِحُ
وفيهنّ ، والأيّامُ تَعْثُر بالفتى ، نَوادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ

[مرّ به عبيد الله بن العبّاس ، وقد كفّ بصره]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرَفي قال حدَّثنا العَنَزيّ (يعني الحسن بن عُلَيْل) قال حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنجُوفٍ عن أبيه قال : مرّ عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بمَعْن بن أوس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يا معن ، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُف بَصَريّ وكثُر عِيالي وغلَبني الدَّيْن . قال : وكَم دَيْنك ؟ قال عشرة آلافِ درهم . فبَعث بها إليه ثم مرّ به من الغدّ فقال له : كيف أصبحتَ يا مَعْن ؟ فقال : [من الطويل]

أَخذتُ بعَيْنِ المالِ حتّى نَهِكْتُه وبالدَّيْنِ حتّى ما أَكاد أُدانُ
وحتّى سأَلتُ القَرْضَ عند ذَوي الغِنى ورَدَّ فلانٌ حاجتي وفُلانُ

فقال له عبيد الله : الله المُستعان ، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكْتَها حتّى انتُزِعَتْ من يدك ، فأيُّ شيء للأَهل والقَرابة والجيران ؛ وبَعَث إليه بعشرة آلاف درهم أُخْرى . فقال معنٌ يمدَحه : [من الطويل]

إنّك فَرْعٌ من قُرَيْشٍ وإنّما تَمُجُّ النَّدى منها البحورُ الفَوارِعُ
ثوَوْا قادةً للنَّاس بَطْحاءَ مَكّةٍ لَهُمْ وسِقاياتُ الحَجِيجِ الدَّوافعُ
فلمّا دُعُوا للموت لَمْ تَبْكِ منهمُ على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدَّوامِعُ

[أعرابيّ زوجته حضريّة]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الفَضْل بن العبّاس القُرشيّ عن سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : كان لِمَعْنْ بن أَوْس امرأة يقال لها ثور وكان لها مُحِبّاً ، وكانت حَضَريّة نشأتْ بالشام ، وكانت في معن أعرابيّةٌ ولُوثةٌ ، فكانت تضحَك من عجْرفِيّته . فسافر إلى الشام في بعض أعوامه ، فضَلَّتْ الرُّفقةُ عن الطريق وعدَلوا عن الماء ، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومهم وليلتهم ، فسقَط فرسُ مَعْن في وِجار ضَبٍّ دخلتْ يدُه فيه ، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شدّة العَطَش حتّى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلاً فأنهضوه ، وجعل معنٌ يقوده ويقول : [من الرجز]

لَوْ شَهِدَتْني وجَوادِي ثَوْرُ والرَّأْسُ فيه مَيَلٌ ومَوْرُ[1]

1 المور : الاضطراب والتحرك .

لضحِكتْ حتّى يَميـلَ الكَوْرُ[1]

[قدومه على ابن الزبير بمكّة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قَدِم معنُ بن أَوْسٍ مكّةَ على ابن الزبير فأنزله دارَ الضِّيفان ، وكان يَنزِلها الغُرباءُ وأبناءُ السبيل والضِّيفان ، فأقام يومَه لم يُطعَم شيئاً ؛ حتّى إذا كان الليل جاءهم ابن الزُّبير بتَيْسٍ هَرِمٍ هَزِيلٍ فقال : كُلُوا من هذا ، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً ؛ فغَضِب معنٌ وخرج من عنده ، فأتى عبيد الله بن العباس ، فقراه وحَمله وكساه ، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدَّثه حديثَه ، فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثاً ثم رَحَل . فقال يهجو ابن الزُّبير ويمدح ابن جعفر وابن عبّاس رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

ظَلِلْنا بمُسْتَنٍّ الرِّيـاحِ غُدَيَّـةً … إلى أن تعالى اليومُ في شَرٍّ مَحْضَرِ[2]

لَـدى ابن الزُّبَيْر حابِسينَ بمَنْزِلٍ … من الخير والمعروفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ[3]

رَمانا أبو بكـرٍ وقـد طال يومُنا … بِتَيْسٍ مـن الشّاء الحِجازيّ أعْفَرِ[4]

وقال اطْعَمُوا منـه ونحـن ثلاثةٌ … وسبعون إنسانـاً فيالُـؤْمَ مَخْبَرِ

فقلْـت لـه لا تَقْرِنـا فأمامَنا … جِفانُ ابن عَبَّاس العُلا وابنِ جَعْفَرِ

وكُنْ آمِنـاً وانْعَقْ بِتَيْسِكَ إنّـه … لـه أعْنُزٌ يَنْزُو عليهـا وأبْشِرِ[5]

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال : قدِم معنٌ بن أَوْس المُزَنيّ البصرة ، فقعَد يُنْشِد في المِرْبَد ، فوقف عليه الفرزدق فقال : يا مَعْنُ مَن الذي يقول : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما مُزَيْنَةُ رَهطُ مَعْنٍ … بأخفـاف يَطَـأْنَ ولا سَنامِ

فقال معنٌ : أتَعْرِفُ يا فرزدق الذي يقول : [من الوافر]

1 الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلفّ به رأسها .

2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

3 حابسين : أي محبوسون هنا .

4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فَلْجٍ بأَرْدافِ الملوكِ ولا كِرامِ[1]

فقال الفرزدق : حَسْبُك ؛ إنّما جَرَّبْتُك . قال : قد جَرَّبتَ وأنت أعلَم . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ ، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً ، فقلتُ : قَبَحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضرِب فيه الأعناقَ ويُعْطي اللُّهى وأنت تفعل [فيه] ما أرى ! فالتفتَ إليّ من غير أن يزولَ عنها وقال : [من الوافر]

وَرِثْنا المجدَ عن آباء صِدْقٍ أسَأنا في دِيارِهمُ الصَّنِيعا
إذا الحَسَبُ الرَّفِيعُ تَواكَلَتْهُ بُناةُ السَّوْء أوْشَكَ أن يَضِيعا

قال : والشِّعر لِمَعَن بن أوْس المُزَنيّ .

[سافر إلى الشام وخلّف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطّاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرَّد قال حدَّثنا أحمد بن عُبَيْدٍ أبو عَصِيدةَ عن الحِرْمازيّ قال : سافر مَعْنُ بن أوْس إلى الشامِ وخَلَّف ابنتَه ليلى في جِوار عُمَر بن أبي سَلَمَةَ ، وأمُّه أمُّ سَلَمة أمُّ المؤمنين رَضي الله تعالى عنها ، وفي جوار عاصم بن عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه . فقال له بعض عشيرته : على مَنْ خلّفتَ ابنتكَ ليلى بالحجاز وهي صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفُلها ؟ فقال معنٌ رحمه الله تعالى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما ليلى بدارِ مَضِيعَةٍ وما شَيْخُها أنْ غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَيْنِ لن يَغْدُرا بها رَبِيبَ النبيِّ وابنَ خَيْر الخلائفِ

[رأي عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيّ قال حدَّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام قال : قال عبد الملك بن مَروان يوماً وعنده عِدّةٌ من أهلِ بيته ووَلَدِه : لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِع به ؛ فذكروا لامرىء القيسِ والأعْشى وطَرَفَةَ فأكثروا حتّى أتَوْا على مَحاسِنِ ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرهُم والله الذي يقول : [من الطويل]

1 فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضربة من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع رِدف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا .

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أُظْفارَ ضِغْنِهِ ... بحِلْميَ عنهُ وَهْوَ ليس لـه حِلْمُ
إذا سُمْتُه وَصْلَ القَرابةِ سامَني ... قَطِيعتَها ، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأَسْعى لِكَيْ أَبْنِي ويهْدِمُ صالحي ... وليس الذي يَبْني كمَنْ شأْنه الهَدْمُ
يُحاوِلُ رَغْمي لا يُحاول غيرَه ... وكالموتِ عندي أن ينالَ لـه رغمُ
فما زِلْتُ في لِينٍ لـه وتَعَطُّفٍ ... عليه كما تَحْنُو على الوَلَدِ الأُمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سَلَلْتُه ... وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

قالوا : وَمَنْ قائلها يا أَمير المؤمنين ؟ قال : مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنيّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أَخبرني عيسى بن حسين الورّاق قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال : خرج معنُ بن أَوس المُزَنيّ إلى البصرة ليمتار منها ويَبِيع إبلاً له ؛ فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عشيرته ، فتولَّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى ، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسارٍ ، فَخَطبها فأجابته فتزوّجها ، وأَقام عندها حولاً في أَنْعمِ عيشٍ . فقال لها بعد حَوْلٍ : يا ابنةَ عمّ ، إنِّي قد تركتُ ضَيْعَةً لي ضائعةً ، فلو أَذِنْتِ لي فاطَّلَعْتُ[1] [طِلْعَ] أَهلي ورَمَمْتُ[2] من مالي ! فقالت : كم تُقيم ؟ قال : سنةً ، فأَذِنَتْ له . فأَتى أَهلَه فأَقام فيهم وأَزْمَنَ عنها (أَي طال مُقامه) . فلمّا أَبطأَ عليها رحلتْ إلى المدينة فسأَلتْ عنه ، فقيل لها : إنَّه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لِمُزَيْنَةَ) . فخرجتْ ، حتّى إذا كانت قريبةً من عَمْقٍ نزلتْ منزلاً كريماً . وأَقبل معن في طلب ذَوْدٍ له قد أضلَّها وعليه مِدْرَعةٌ من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أَخضرَ ، قال : والبَتُّ : الطَّيْلَسان ، وعِمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع[3] له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِي ، ومع ليلى ابنُ أَخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أَمام خِباءٍ له . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نعم ، وإن شِئْتَ سَوِيقاً ، وإن شئتَ لبناً ؛ فأَناخ . وصاح مولى ليلى : يا مُنْهِلة ، وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةَ التي تقوم على مَعْنٍ عندهم بالبصرة ، فلمّا أَتته بالقَدَح وعَرَفها وحَسَر عن وَجْهه ليشرب عرفتْه وأَثبتَته ، فتركت القَدَح في يده وأَقبلتْ مسرعةً إلى مَولاتها فقالت : يا مولاتي ، هذا والله معنٌ إلاّ أَنّه في جُبَّةِ صُوفٍ وبَتِّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيْشُهم ، الْحَقِي مولاي فقولي له : هذا معنٌ ، فاحبِسْه . فخرجتِ الوصيفةُ مُسرعةً فأخبرت . فوضع معنٌ القَدَحَ وقال له : دَعْني حتّى أَلقاها في غير هذا الزِّيّ . فقال :

1 اطّلع طِلْعَه : عرف أمره .
2 رممت من مالي : أصلحت .
3 رُفع له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتّى تدخلَ عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنةَ عمٍّ ! أما إنّك لو أقمتِ إلى أيّام الربيع حتى يُنبِتَ البلد الخُزامى والرُّخامى[1] والسَّخْبَرَ[2] والكَمْأةَ ، لأَصَبْت عيشاً طيِّباً . فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه ، وألبسته ثياباً ليِّنة ، وطيَّبته ، وأقام معها ليلَته أجمعَ يَهْرِجُها[3] ، ثم غدا متقدِّماً إلى عَمْقٍ حتّى أعدّ لها طعاماً ونَحَر ناقةً وغَنَماً ، وقَدِمتْ على الحيّ ، فلم تَبْقَ [فيهم] امرأةٌ إلاّ أتتها وسلّمتْ عليها ، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتّى وصلتْها . وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أُمّ حِقَّةَ . فقالت لمعن : هذه والله خيرٌ لك منّي ، فطَلِّقْني ، وكانت قد حملتْ فدَخَله من ذلك وقام . ثم إنّ ليلى رحلتْ إلى مكّة حاجَّةً ومعنٌ معها . فلمّا فَرَغا من حَجِّهما انصرفا ، فلمّا حاذَيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن : يا ليلى ، كأنّ فؤادي ينعرِجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سَنَتَنا هذه حتّى نَحُجَّ من قابلٍ ثم نَرْحَلَ إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا ببارحةٍ مكاني حتّى تَرْحَلَ معي إلى البصرة أو تطلِّقَني . فقال : أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عَمْقٍ . فلمّا فارقته نَدِم وتَبِعَتْها نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَوَهَّمْتُ رَبْعاً بالمُعَبِّرِ واضحاً ... أَبَتْ قَرَّتاهُ اليومَ إلاَّ تَراوُحا[4]
أَرَبَّتْ عليه رادةٌ حَضْرَمِيَّةَ ... ومُرْتَجِزٌ كأنَّ فيه المَصابِحا[5]
إذا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلاءَ فلَعْلَعاً ... فجَوْزَ العُذَيْبِ بعدها فالنَّوابِحا[6]
وبانَتْ نَواها من نَواكَ وطاوعتْ ... معَ الشَّانئين الشامتاتِ الكَواشِحا
فقُولا لليلى هل تُعَوِّضُ نادماً ... له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمازِحا
فإنْ هِيَ قالتْ لا فقُولا لها بَلى ... ألا تَتَّقِينَ الجارياتِ الذَّوابِحا

وهي قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقَّةَ : ما فعلتْ ليلى ؟ قال : طَلَّقْتُها . قالت : واللهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطَلِّقْني أنا أيضاً . فقال لها معنٌ : [من الوافر]

---

1 الرُّخامى : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بحوافرها .

2 السّخبر : يشبّه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكراث في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .

3 يهرجها : يُجامعها .

4 المعبِّر : موضع تلقاء الوتدات من البقيع . قَرَّتاه : الغداة والعشيّ .

5 أَرَبَّتْ : أقامت .

6 لعلع والعذيب والنوابح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أَعاذِلُ أَقْصِرِي ودَعِـي بَياتي فإنَّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حُماتِ[1]
فإنّ الصُّبْـحَ مُنْتظَـرٌ قريـبٌ وإنّــكِ بالمَلامَــةِ لن تُفاتي
نــأَت لَيْلى فليــلى لا تُواتي وضَنَّــتْ بالمَــوَدَّةِ والبَتاتِ
وَحَلَّتْ دارُها سَفَوانَ بَعْدِي فذا قــارٍ فَمُنْخَرَقَ الفُراتِ[2]
تُراعــي الرِّيـفَ دانيةً عليها ظِــلالٌ أَلفَّ مُخْتَلِطِ النَّباتِ
فدَعْهــا أو تَناوَلْهــا بِعَنْسٍ من العِيديّ في قُلُص شِخاتِ[3]

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حِقَّة في مُطالبتها إيّاه بالطلاق : [من الطويل]

كأنْ لم يَكُـنْ يا أُمَّ حِقّةَ قبلَ ذا بِمَيْطانَ مُصطـافٌ لنـا وَمَرابعُ[4]
وإذْ نحن في غُصْنِ الشَّبابِ وقد عَسا بنـا الآنَ إلاّ أَنْ يُعَوَّضَ جازِعُ[5]
فقـد أنكرتْــه أُمُّ حِقّـةَ حادِثـاً وأَنكرها مـا شِئْتَ والوُدُّ خادعُ
ولــو آذنتْنا أُمُّ حِقّــةَ إذ بنــا شبابٌ وإذ لَمّـا تَرُعْنـا الرَّوائعُ
لَقُلْنا لهــا بِينــي بِلَيْــلٍ حَميــدةً كذاكِ بــلا ذمٍّ تُــؤدَّى الصنائعُ

صوت

[من الطويل]

أَعابِـدُ حُيِّيتُمْ على النَّـأْيِ عابدا سقاكِ الإلـهُ المُنْشَآتِ الرَّواعِدا
أَعابِدَ مـا شمسُ النَّهارِ إذا بَدَتْ بأَحسنَ مِمّا بين عَيْنَيْكِ عابدا

ويُروى :

أَعابِدَ ما شمسُ النّهار بدتْ لنا

ويروى :

أَعابِدُ ما الشَّمْسُ التي برزتْ لنا بأَحسنَ ممّا بين ثَوْبَيْك عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب . والغناء لِعَطَرَّد ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس .

---

1 دعي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .

2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .

3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . الشّخات : جمع شختة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .

4 ميطان : من جبال المدينة .

5 عسا النبات : غلظ ويبس .

[203] ـ أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فِتيان بني هاشم وظُرَفائهم وشُعَرائهم . وقد روى الحديث وحُمِلَ عنه ، وله شِعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أُخت عمرو بن شُعيب الذي يُرْوى عنه الحديث . وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها : [من الطويل]

صوت

أعابِدَ إنّ الحُبَّ لا شَكَّ قاتِلي — لئن لم تُقارِضْني هَوى النَّفسِ عابِدَهْ

أعابِدُ خافي اللهَ في قَتلِ مُسْلِمٍ — وجُودي عليه مَرَّةً قَطُّ واحِدَهْ

فإنْ لَم تُريدِي فيَّ أجراً ولا هوًى — لَكُمْ غيرَ قَتْلي يا عُبَيْدُ فَراشِدَهْ

فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أَرْعى نُجومَها — وعَبْدةُ لا تَدْري بذلك راقِدَهْ

الغناء لحَكَم الواديّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فمِمَّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدَّثني به أحمد بن سَعِيد قال حدَّثني محمد بن عُبيد الله [ابن] المُنادِي قال حدَّثني يونس بن محمد قال حدَّثنا أبو أُوَيْس عن حُسَيْن بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس عن عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : مرّ النبيّ ﷺ على حسّان بن ثابت وهو في ظلّ فارِعٍ[1] وحولَه أصحابُه وجاريتُه سِيرين تُغَنّيه بمِزْهَرِها : [من مجزوء الخفيف]

هَلْ عليَّ وَيْحَكُما — إنْ لَهَوْتُ مِن حَرَجِ

فضحِكَ النبيّ ﷺ ثم قال : «لا حَرَجَ إنْ شاء الله» .

وكانت أُمّ عابدة هذه عمَّةَ حسين بن عبد الله بن عبيد الله ، أُمّها عَمْرةُ بنت عُبيد الله بن العبّاس ، تزوّجها شُعْيب فولدتْ له محمداً وشُعَيباً ابنَي شُعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحُسْن ، وعابِدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء والطُّوسيّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن

---

1 فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة .

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْب بكّار بن عبد الملك وحُسَين بن عبد الله ، فامتنعتْ على بَكّار وتزوّجت الحسين . فقال له بكّار : كيف تزوّجتْك العابدةُ واختارتْكَ مع فَقْرِك ؟ فقال له الحسين : أَتُعَيِّرُنا بالفقْرِ وقد نَحَلَنا اللهُ تعالى الكَوْثَرَ !

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أُمُّه أُمُّ ولدٍ ، وكان يقول شيئاً من الشِّعر ، وتزوّج عابدة بنت شُعيب وولدتْ منه ، وبسببها رُدَّت على ولدِ عمرو بن العاص أموالُهم في دولة بني العبّاس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكّر ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية : [من مجزوء الكامل]

إنَّ ابـنَ عَمِّـكَ وابـنَ أُمِّـ ـكَ مُعلَـمٌ شاكي السِّلاحِ
يَقِصُ العَـدُوَّ وليس يَـرْ ضَى حـين يَبْطِشُ بالجِراحِ[1]
لا تَحْسَبَنَّ أذى ابـنِ عَمِّـ ـكَ شُرْبَ ألبـانِ اللِّقاحِ
بَـلْ كالشَّجاةِ ورا اللَّهـا ةِ إذا تُسَوَّغُ بـالقَراحِ
فـاخْتَرْ لنفسك مَـنْ يُجيـ ـبُكَ تحـتَ أطرافِ الرِّماحِ
مَـنْ لا يَـزالُ يَسُوءُهُ بالغَيْـبِ أَنْ يلحـاكَ لاحي

فقال حسين له :

أَبْرِقْ لِمَـنْ يَخْشى وأَوْ عِـدْ غيرَ قَوْمِـك بـالسِّلاحِ
لسنا نُقِـرُّ لِقائـلٍ إلاّ المُقَـرَّطَ بـالصَّلاحِ[2]

قال : ولحسين يقول ابن معاوية : [من الخفيف]

قُلْ لِذِي الوُدِّ والصَّفاءِ حُسَيْنٍ أَقْـدُرِ الـوُدَّ بينَنـا قَدَرَهْ
ليس لِلدَّابِـغِ المُحَلِّـمِ بُـدٌّ من عِتابِ الأَديمِ ذي البَشَرَهْ[3]
لستُ إنْ راغ ذو إخاءٍ ووُدٍّ عَـنْ طَرِيـقٍ بتابِـعٍ أَثَرَهْ
بَـلْ أُقِيمُ القَناةَ والوُدَّ حتّى يَتْبَـعَ الحَـقَّ بعـدُ أو يَذَرَهْ

[كان صديقاً لابن أبي السمح ومدحه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال :

---

1 وقص : كسر .
2 المقرّط بالصلاح : الموسوم به .
3 المحلّم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» .

كان مالك بن أبي السَّمح الطائيّ المُغنّي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس ونديماً له ، وكان يتغنّى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السَّمْـ ـحِ فـلا تَلْحَنـي ولا تَلُـمِ
أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ ـبارِقُ في حِنْدِسٍ مـن الظُّلَمِ
يُصيبُ مِـنْ لَـذَّةِ الكريمِ ولا يَهْتِـكُ حـقَّ الإسلامِ والحُـرَمِ
يـا رُبَّ ليـلٍ لنا كحاشيةِ الـ ـبُرْدِ ويـومٍ كـذاكَ لم يَدُمِ
قد كنتُ فيه ومالِكُ بن أبي السمـ ـح الكريمِ الأَخـلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ ليس يَعْصِيك إنْ رَشَدْتَ ولا يَجْهَـلُ آيَ التَّرْخِيص في اللَّمَـمِ

قال : فقال له مالك : ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبي [أنت] وأُمّي أَعْصِيك . قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتك ، إنّما كان ينبغي أن يقول : [من المنسرح]

أَحْوَلُ كالقِرْدِ أو كما يخرُج الـ ـسَّارِقُ في حالـكٍ من الظُّلَمِ

[الحسين بن يحيى وحبّه للغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس إذا صلّى العصر دخل منزلَه وسَمِع الغناء عشيته . فأتاه قومٌ ذات عشيّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدّثونه . فلمّا أطالوا قال لهم : أتأذَنون ؟ فقالوا نعم . فقام في أصحاب له وهو يقول : [من الطويل]

قُومُوا بنا نُدْرِكْ من العيش لَـذَّةً ولا إثمَ فيها للتَّقِيِّ ولا عارا]

صوت

[من الخفيف]

إنّ حَرْبـاً وإنّ صَخْراً أبا سُفْـ ـيانَ حـازا مَجْـداً وعِزّاً تليدا
فهُما وارِثا العُـلا عن جُدُودٍ وَرِثُوهـا آباءَهـم والجُـدودا

الشعر لفَضالة بن شَرِيكٍ الأسديّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحَـوى إرْثَها مُعاويـةُ القَرْ مُ وأَعطى صَفْـوَ التُّراثِ يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطِيّ ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

[204] ـ أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فَضالة بن شريك بن سَلمان[1] بن خويلد بن سلمة بن عامرٍ موقد النار بن الحَريش بن نُمَير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان [بن أسد] بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فَضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له : إنّ ناقتي قد نَقِبَتْ[2] ودَبِرَتْ ؛ فقال له : ارقَعْها بجِلْدٍ واخْصِفْها بهُلْبٍ[3] وسِرْ بها البَرْدَين[4] .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إنّي قد جئتُك مُستَحمِلاً لا مستشيراً ، فلَعَن الله ناقةً حملتني إليك . فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكِبَها . فانصرف من عنده وهو يقول : [من الوافر]

أَقــولُ لغِلْمَتــي شُدّوا رِكابي ... أُجـاوِزْ بَطْنَ مكّـة في سَوادِ
فما لي حـينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابنِ الكاهِليّـةِ مـن مَعادِ[5]
سَيُبْعِـدُ بيننا نَـصُّ المَطايـا ... وتَعْلِيــقُ الأَداوَي والمَــزادِ[6]
وكلُّ مُعَبَّـدٍ قــد أعلمتْـهُ ... مَناسِمُهُـنَّ طَــلاَّعِ النِّجـادِ
أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نَكِــدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[7]
مِنَ الأَعياصِ أو مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أَغَــرُّ كغُــرَّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدَّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ . فأمّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّداً جَواداً . وله يقول الأُقيشر يمدحه : [من الكامل]

---

1 ل : سليمان .

2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقّت أخفافه ، والدّبر : جرح يكون في ظهر الدابة .

3 الهلب : الشعر .

4 البردان : الغداة والعشي .

5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزُّبير .

6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأداوي جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .

7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسّرن .

وَفَـد الوفودُ فكنتَ أوّلَ وافِدٍ يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بن شَرِيكِ

[مرَّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطّاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكُر من أخباره هاهنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيدٍ السُّكّريّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرِّقاً فأنا ذاكرٌ إسنادَه عمّن أخذتُه . قال ابن حبيب : مرّ فَضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عُمَر بن الخطّاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو مُتَبَدٍّ بناحية المدينة ، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبعَث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ وقد عَرَّفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصمٍ فقال له : قُلْ له : أما واللهِ لأطَوِّقَنَّك طَوقاً لا يبلى . وقال يهجوه : [من الطويل]

أَلا أيّها الباغي القِرى لستَ واجِداً * قِراكَ إذا ما بِتَّ في دارِ عاصمِ
إذا جئتَه تَبْغِي القِرى باتَ نائماً بَطِيناً وأَمسى ضَيفُهُ غيرَ نائمِ
فـدَعْ عاصماً أُفٌّ لأفعالِ عاصمٍ إذا حُصِّل الأَقـوام أهلُ المَكارِمِ
فتًى مـن قريشٍ لا يجودُ بنائلٍ ويَحْسَبُ أنّ البُخْـلَ ضَرْبَةُ لازِمِ
ولولا يـدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصماً مُطَوَّقـةً يُحْدى بها في المَواسِمِ
فليتَك من جَرْمِ بن زَبَّانَ أو بَني فُقَيْمٍ أو النَّوكـى أَبانِ بـن دارمِ
أُناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حَـلَّ بُيوتَهم غَـدا جائعاً عَيْمانَ ليس بغانمِ[1]

[قال] : فلمّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ ، فهرَب فَضالةُ بن شريك فلحق بالشام ، وعاذ بيزيدَ بن معاوية وعَرَّفه ذَنْبَه وما تَخَوَّف من عاصم ؛ فأَعاذه ، وكتب إلى عاصمٍ يُخبره أنّ فضالةَ أَتاه مستجيراً به ، وأنّه يُحِبّ أن يَهَبَه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويَضْمَن له أَلاّ يعود لهجائه ؛ فقَبِل ذلك عاصمٌ وشَفَّع يزيد بن معاوية . فقال فَضالة يمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

إذا مـا قُرَيْشٌ فاخـرتْ بقَدِيمها فَخَـرْتَ بمَجْـدٍ يـا يزيـدُ تَلِيدِ
بمجـدِ أَمير المؤمنـين ولم يَـزَلْ أَبـوك أَمـينُ الله غيـرَ بَلِيـدِ
بـه عَصَمَ اللهُ الأَنـامَ من الرَّدى وأَدرَكَ تَبْلاً مـن مَعاشِرَ صِيدِ[2]
ومَجْدِ أبي سُفْيان ذِي الباعِ والنَّدى وحَرْبٍ ومـا حَرْبُ العُلا بزَهِيدِ

1 عيمان : عطشان .
2 التّبل : الثأر .

فمَنْ ذا الذي إن عدّد الناسُ مَجْدَهم ... يَجيء بمَجْدٍ مِثْلِ مجدِ يزيدِ

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصّة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني السُّكّريّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن الزُّبير قد وَلَّى عبد الله بن مُطِيع بن الأسود بن نَضْلَةَ بن عبيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعْب الكوفة ، فطَرَده عنها المختارُ بن أبي عُبَيد حين ظَهَر ؛ فقال فَضالة بن شَرِيكٍ يهجو ابن مُطِيع : [من الطويل]

دعا ابنُ مُطيعٍ لِلْبِياعِ فجئتُه ... إلى بَيْعةٍ قلبي بها غيرُ عارِفِ

فقَرَّبَ لِي خَشْناء لَمّا لَمَستُها ... بِكَفِّيَ لم تُشْبِهْ أَكُفَّ الخَلائِفِ

مُعَوَّدةً حَمْلَ الهَراوِي لِقَوْمِها ... فَرُوراً إذا ما كان يومُ التَّسايُفِ[1]

من الشَّثِناتِ الكُزم أنكرتُ لَمْسَها ... وليستْ من البِيضِ السِّباطِ اللَّطائفِ

ولَمْ يُسْمِ إذْ بايعتُهُ مِنْ خَلِيفَتِي ... ولم يَشْتَرِطْ إلاّ اشتراطَ الُمجازِفِ

متى تَلْقَ أهلَ الشام في الخَيْلِ تَلْقَني ... على مُقْرَبٍ لا يُزْدَهى بالَمجاذِفِ[2]

مُمَرٍّ كبُنْيانِ العِبادِيِّ مُخْطَفٍ ... من الضّارياتِ بالدِّماءِ الخَواطِفِ[3]

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسوّل في جمع صداق زوجه]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعود بن أُميّة بن خَلَفٍ الجُمَحِيّ امرأةً من بني نَصْر بن معاوية ، وسأل في صَداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله دِرهَمين درهمين . فقال له فَضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله : [من البسيط]

أَنْكَحْتُمُ يا بني نَصْرٍ فَتاتَكُمُ ... وَجْهاً يَشِينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ العِينِ

أنكحتُمُ لا فَتى دُنْيا يُعاشُ به ... ولا شُجاعاً إذا انْشَقَّتْ عَصا الدِّينِ

قد كنتُ أَرجو أَبا حَفْصٍ وسُنَّتَهُ ... حتّى نَكَحْتَ بأرزاقِ المَساكينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أَوْدَع فضالةُ بن شَرِيكٍ رجلاً من بني سُلَيْمٍ يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفَرٍ ، فلمّا عاد طَلَبها منه ، فذكر أنها سُرِقتْ . فقال

---

1 التّسايف : التضارب بالسيوف .

2 المقرّب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخفّ .

3 مُمَرّ : موثق الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيه] : [من المتقارب]

وَلَــوْ أنَّني يومَ بَطْنِ العَقيقِ ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسى كَثِيرا
مُصابَ سُلَيْمٍ لِقــاحَ النَبِــيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فيهمْ بَعِيرا[1]
وقــد فــاتَ قَيْسٌ بِعَيْرانــةٍ إذا الظِّلُّ كان مَــداهُ قصيرا
مِنَ اللاَّعِبــاتِ بِفَضْلِ الزِّمامِ إذا أُقلِقَ السَّيْرُ فيهِ الضُّفُورا[2]
ومَنْ يَبْكِ منكمْ بَني مُوقِدٍ ولَم يَرَهُمْ يَبْكِ شَجْواً كَبيرا
هُــمُ العاسِفُونَ صِلابُ القَنا إذا الخَيْلُ كانتْ من الطَّعْنِ زُورا[3]
وأَيْسارُ لُقْمــانَ إذْ أَمْحِلُوا وعِزٌّ لِمَنْ جاءهم مُسْتَجيرا[4]
فإنْ أنــا لم يُقْضَ لِــي أَلْقَهُمْ قَــرَأتُ السَّلامَ عليهمْ كَثيرا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنّه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدة التي ذَكَرتُها عن المدائنيّ في خبر عبد الله بن فَضالةَ بن شَريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فَضالة وابنِ الزبير لا مع ابنه ، وذَكَر الأبيات وزاد فيها : [من الوافر]

شَكوتُ إليه أنْ نَقِبتْ قَلُوصي فَــرَدَّ جــوابَ مَشْدودِ الصِّفادِ[5]
يَضِنُّ بناقَــةٍ ويـــرومُ مُلْكــاً مُحــالٌ ذلِكــمْ غَيْــرُ السَّدادِ
وَلِيــتَ إمــارةً فبَخِلْتَ لَمّــا وَلِيتَهُــمُ بمُلْـــكٍ مُسْتَفــادِ
فــإنْ وَلِيَــتْ أُمَيَّــةُ أَبْدَلُوكُمْ بِكُــلِّ سَمَيْــدَعٍ واري الزِّنادِ
من الأَعْياص أَوْ مِــنْ آل حَرْبٍ أَغَــرَّ كغُــرّةِ الفَرَسِ الجَوادِ
إذا لَــمْ أَلْقَهُــم بمنًــى فإنِّــي بِبَيْتٍ لا يَهَشّ لَــه فــؤادي
سَيُدْنِينـــي لَهُــمْ نَصُّ المَطايــا وتعليــقُ الأَداوى والمَـــزادِ
وظَهْــرُ مُعَبَّــدٍ قــد أَعْمَلَتْهُ مَناسِمُهُـــنّ طَــلاّعِ النِّجادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدتها لقوح ولقحة .
2 الضفور : جمع ضَفر ما يشد به البعير من الشعر المضفور .
3 زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .
4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .
5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قدّ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ ... وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادِي[1]
فهُنّ خَواضِعُ الأَبدانِ قُودٌ ... كأنَّ رؤوسَهُنَّ قبورُ عادِ[2]
كأنّ مَواقِعَ الغِرْبانِ منها ... مَناراتٌ بُنِينَ على عِمادِ[3]

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال] : فلمّا وَلِي عبدُ الملك بعث إلى فَضالةَ يطلبُه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَها بُرّاً وتمْراً . [قال] : والكاهلية التي ذكرها زُهْرةُ بنتُ خَنْثَرٍ* امرأةٌ من بني كاهِلِ بن أَسَدٍ ، وهي أُمُّ خُوَيْلد بن أَسَدِ بن عبد العزّى .

صوت

[من الطويل]

لقدْ طالَ عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ ... وما كنتُ أُخشى أن يطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريبةٌ ... فَواعَجَبا من قُرْبِ داري ومن بُعْدِي
فيا ليتَ أنّ العِيدَ لي عاد يَوْمُهُ ... فإنّي رأيت العِيدَ وَجْهَك لي يُبْدِي
رأيتُك في بُرْدِ النبيّ محمدٍ ... كبَدْرِ الدُّجى بينَ العِمامةِ والبُرْدِ

الشعر لأبي السِّمْط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . والغناء لِبُنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد . وذكر الصُّوليّ أنّ هذا الشعر ليحيى بن مروان . وهذا غلط قبيح .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .
2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعنق .
3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : قذال الرأس .

[205] ـ أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّما . وكان مروان هذا آخرَ مَنْ بَقِي منهم يُعَدّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَّجٌ . وكان ساقطاً بارد الشِّعر . فذُكِر لي عن أبي هِفَّان أنّه قال : شِعْرٌ آل أبي حَفصة بمنزلة الماء الحارّ . ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تَلِين حرارته ، ثم يفتر ثم يَبْرُد ، وكذا كانت أشعارهم ، إلاّ أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتَوَّج جَمَد .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلافاً لأبيه في سائر مَذاهبه حتى في التشيُّع ، فطَرَد مروانَ لِنَصْبه ، وأخرجه عن جُلسائه . فقال هذه الأبياتَ وسأل بُنانَ بن عمرو فغنّى فيها المنتصرَ ليستعطفه . وخبرُه في ذلك يُذْكَر في هذا الموضع من الكتاب . إن شاء الله .

[مدح المتوكّل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة]

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حدَّثني أبو السِّمْط مروان الأصغر قال : لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة ، وأنشدته : [من الطويل]

سَقى الله نَجْداً والسلامُ على نَجْدِ ... ويا حَبَّذا نجدٌ على النَّأْي والبُعْدِ

نظَرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لَعَلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ

ونجدٌ بها قومٌ هَواهُمْ زِيارتي ... ولا شيءَ أحلى من زِيارتهمْ عندي

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهْر فَرَسٍ وبَغْلةٍ وحِمارٍ ، ولم أبرَحْ حتّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول : [من الطويل]

تَخَيّرَ ربُّ النّاسِ للنّاس جعفرا ... ومَلَّكَه أمرَ العِبادِ تَخيُّرا

فلمّا صرتُ إلى هذا البيت : [من الطويل]

فأمْسِكْ نَدى كَفَّيْكَ عنّي ولا تزِد ... فقد كِدْتُ أنْ أطغى وأنْ أتَجَبَّرا

قال لي : لا والله لا أُمسِكُ حتّى أُغَرِّقَك بجُودي .

وحدّثني عمّي بهذا الخبر قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني مَروان بن أبي الجَنُوب ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواءً ، وقال بعد قوله : «لا والله لا أمسك حتّى أُغرِّقك» : سَلْني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرتَ أنْ أُقْطَعَها باليمامة ، ذكر ابن المُدَبِّر أنّها وَقْفُ المعتصم على وَلَده ، فقال : قد قَبَّلْتُك[1] إيّاها مائة سنةٍ بمائة درهمٍ . فقلتُ : لا يحسُن أن تُضْمَنَ ضيعةٌ بدرهمٍ في السنة . فقال ابن المدبِّر : فبألفِ درهم في كلِّ سنة . فقلت نعم . فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفِذَ ذلك لي ، وقال : ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبالةٌ ، فسَلْني حاجتَك . فقلتُ : ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إيّاها ، فمَنَعنيها ابن الزيّات ؛ فأمر بإمضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان عليّ بن الجَهْم يَطعن على مروان بن أبي الجنوب ويَثْلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكِّل . فقال له المتوكِّل [يوماً] : يا عليّ ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منّي يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أُزَكّيها . وإذا رَضِيَني أميرُ المؤمنين فما أُبالي مَن زَيَّفني . فقال له : قد صَدَّقْتُك ، عليٌّ يزعمُ سرّاً وجهراً أنّه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا عليّ ! أأنتَ أشعرُ منّي ؟ فقال : أوَتَشُكُّ في ذاك ؟ قال : نعم ؛ أشُكُّ وأشُكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له عليّ : إنّ أمير المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكّل : هذا عيٌّ منك يا عليّ ؛ ثم قال لابن حَمدون : احْكُمْ بينهما . فقال : طَرَحْتَني والله يا أمير المؤمنين بين أنيابِ ومخالِبِ أسَدَيْنِ . قال : واللهِ لَتحكمنّ بينهما . فقال له : أمّا إذْ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندي أعْرَفُهما في الشِّعْر . فقال له المتوكّل : قد سمعتَ يا عليّ . قال : قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه . فقال : دَعْنا منك ، هذا كلُّه عيٌّ ، فإن كنتَ صادقاً فاهْجُ مروانَ . قال : [قد] سَكرتُ ولا فضلَ فيّ . فقال المتوكّل لمروان : اهْجُه أنت ، وبحياتي لا تُبْقِ غايةً . فقال مروان : [من الطويل]

إن ابن جَهْمٍ في المَغيبِ يَعِيبُني ... ويقول لي حَسَناً إذا لاقاني
صَغُرتْ مَهابتُه وعُظِّمَ بَطْنُه ... فكأنّما في بطنِهِ وَلَدانِ
وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ ليس يَرْحَم أُمَّهُ ... لو كان يرحَمها لَما عاداني
فإذا التقينا ناك شِعْري شِعْرَه ... ونَزا على شَيطانه شيطاني

1 قبلتك إياها أي ضمنتها لك والتزمت بذلك .

قال : فضحِكَ المتوكّل والجلساءُ منه ، وانخزل[1] ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَع حِيلةَ الرِّجالِ وحيلةَ النساء . فقال له المتوكّل : هذا أيضاً من عِيّك وبَرْدِك ، إن كان عندك شيءٌ فَهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتي إنْ حَضَرك شيء فهاته ، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمك . فقال مروان : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ — وهذا عليٌّ بعده يَدّعي الشِّعْرا
ولكن أَبي قد كان جاراً لأُمِّه — فلمّا ادّعى الأشعارَ أوهمني أَمْرا

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زِدْه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَدْرٍ يا عَلِيَّهْ — قُلْتِ إنّي قُرَشِيَّهْ
قلتِ ما ليس بحقٍّ — فاسْكُتي يا نَبَطِيَّهْ
أُسْكُتي يا بنتَ جَهْمٍ — أُسْكُتي يا حَلَقِيَّهْ[2]

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبيات فغنّاها على الطَّبْل وجاوبه مَن كان يغنّي ، والمتوكلُ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليٌّ مُطرِقٌ كأنّه ميِّت ، ثم قال : عليٌّ بالدواة فأُتِيَ بها ، فكتب : [من الوافر]

بَلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ — عَداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ
يُبِيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ — ويرتَع منك في عِرْضٍ مَصُونِ

[قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني محمد بن السَّرِيّ قال : لمّا مدح عليُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكّل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنا على رَبِّ السماء — وسلمنا لأسباب القضاء

وذكرَ فيها جميع النُّدَماء وسَبَعَهم[3] وهجاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكّل رقَّ له ، فلمّا أنشده مروان هذه القصيدة اعْتَوَرَتْه أَلْسِنة الجلساء فثَلَبُوه واغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في مَحبِسِه . والقصيدة : [من الوافر]

أَلَم تَعْلَم بأنّك يا ابنَ جَهْمٍ — دَعِيٌّ في أُناسٍ أدعياء

---

1 انخزل في كلامه : انقطع .

2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألاّ تشبع الأتان من السّفاد .

3 سبعه : شتمه ووقع فيه .

أعبدَ الله تهجو وابنَ عَمْرٍ وبَخْتَيَشُوعَ أصحاب الوفاء
هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ حقيقٌ بالشَّتيمةِ والهِجاء
أتَرْمي بالزِّناء بني حَلالٍ وأنت زَنيمُ أولادِ الزِّناء
أُسامةُ من جُدُودِك يا ابنَ جَهْمٍ! كذبتَ وما بذلك من خَفاء

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا الحسين بن يحيى قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن قال : لمّا كان من أمر العبّاس بن المأمون وعُجَيف ما كان ، أنشد مروان بن أبي الجَنوب المعتصم قصيدةً أوّلها : [من الوافر]

ألا يا دولةَ المَعْصُومِ دُومي فإنَّك قُلْت للدُّنْيا استقيمي

فلمّا بلغ إلى قوله :

هَوى العَبّاسُ حين أراد غَدْراً فَوافى إذ هوى قَعْرَ الجحيمِ
كذاك هَوى كمَهْواهُ عُجَيْفٌ فأَصبحَ في سَواء لَظى الحَمِيمِ

[قال المعتصم : أبعده الله !]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا أبو العيناء قال : دخل مروان الأصغرُ بن أبي الجَنوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها ، فجعل أَشْناس يُحَرِّك رأسَه ويومىء بيديه ويُظهر طرباً وسروراً ، وأَمر له بصِلَةٍ . فلمّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه ويديه لِما كان يسمَعه ، فقد فَهِمَه ؟ قال نعم . قال : فأيَّ شيء كان يقول ؟ قال : ما زال يقول عليّ رُقيةَ الخُبْزِ حتّى حَصَّل ما أراد وانصرف .

[هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان المتوكِّلُ يُعابِثُني كثيراً ، فقال في يومٍ من الأيّام لمروان بن أبي الجنوب : أَهْجُ عليّ بن يحيى ؛ فقال مروان : [من الطويل]

ألا إنّ يحيى لا يُقاسُ إلى أبي وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقاسُ إلى عِرْضي

وهي أبيات تركتُ ذكرَها صيانةً لعليّ بن يحيى . قال : فأجبته عنها فقلتُ : [من الطويل]

صدقتَ لَعَمْرِي ما يقاسُ إلى أبي أبوك ، ومَن قاس الشَّواهِقَ بالخَفْضِ
وهَلْ لك عِرْضٌ طاهرٌ فتَقِيسُه إذا قِيسَتِ الأعراضُ يوماً إلى عِرْضي

ألستُمْ مَـوالي لِلَّعِـينِ ورَهْطِـهِ أُعادِي بني العَبَّاسِ ذي الحَسَبِ المَحْضِ
تُوالُـونَ مَـنْ عادى النبيَّ ورَهْطَهُ فتَرْمُونَ مَنْ والى أُولي الفَضْلِ بالرَّفْضِ
وليس عجيباً أنْ أَرى لـك مُبْغِضاً لأنَّكَ أَهـلٌ للعَـداوةِ والبُغْضِ

[نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا]

حدَّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: أنشد مروان بن أبي الجَنوب المتوكّل ذات يومٍ: [من الكامل]

إنّي نـزلتُ بساحة المُتوكّلِ ونزلتَ في أقصى دِيارِ المَوْصِلِ

فقال له بعض مَنْ حَضَر: فكيف الاتّصالُ بين هؤلاء والمُراسلة؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِيّ: كان له حَمامٌ[1] هُدًى يبعث بها إليه من الموصل حتّى يُكاتبه على أجنحتها. فضحِك المتوكّلُ حتى استلقى، وخَجِل مروان وحَلَف بالطلاق لا يكلّم أَبا العَنْبَس أبداً، فماتا متهاجِرَيْن. كذا أَكبرُ حفظي أنّ جحظة حدّثني به عن عليّ بن يحيى؛ فإنّي كتبتُه عن حِفْظي.

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة، فقال عليّ بن الجهم إن بعضها منتحل]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال قرأتُ في كتاب قديم: قال عوف بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر في عِلّةٍ اعتلّها: [من الطويل]

فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْعِ شَفَّكَ وِرْدُها فعُقْباكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ[2]
وَقَيْناكَ لو نُعْطى المُنى فيك والهَوى لكان بِنا الشَّكْوى وكان لك الأَجْرُ

قال: ثم حُمَّ المتوكّلُ حُمَّى الرِّبْع، فدخل عليه مروان بن أبي الجَنوب بن مروان بن أبي حَفصةَ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِيِّ، وأَدخل البيتين فيها، فسُرَّ بها المتوكّل. فقال له عليّ بن الجَهْم: يا أَمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقُولٌ، والتفتَ إليّ وقال: هذا يعلَم. فالتفتَ إليّ [المتوكّل] وقال: أتعرِفه؟ فقلتُ: ما سمعتُه قبلِ اليوم. فشَتَم عليَّ بن الجَهْمِ وقال له: هذا من حَسَدك وشَرِّك وكَذِبك. فلمّا خرجنا قال عليّ بن الجَهْم: وَيحك؟ مالكَ قد جُنِنْتَ؟ أَما تعرِف هذا الشعرَ؟ قلتُ: بلى؛ وأنشدتُه إيّاه. فلمّا عدتُ إلى المتوكّل من غدٍ قال له: يا أَمير المؤمنين، قدِ اعترف لي بالشِّعر وأَنشدَنيه. فقال لي: أَكذاك هو؟ فقلتُ: كَذَب [يا أَمير المؤمنين]! ما سمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلمّا خرجنا قال لي: ما في الأرض

1 الحمام الهداء: ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان.
2 حمّى الربع: التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع.

شَرٌّ منك . فقلتُ له : أنت أحمقُ ، تريد منّي أن أجيء إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعْجبه شعرُه فأقول له : إنّي أعرفه فأُوقِع نفسي وعِرْضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده ، ويَسقط ذاك ويُبْغِضَني أنا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ـمِ بهـذا الشَّأنِ ثانِ
إنَّما عُمْرُ أبي إسْـ ـحاقَ زَيْـنٌ لِلزَّمانِ
فإذا غَنَّى أبو آسْحا قَ أجابَتْـهُ المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللَّهْـ ـوِ ورَيْحانُ الجِنانِ
جَنَّةُ الدُّنْيا أبو إسـ ـحاقَ في كلِّ مكانِ

عَروضه من الرمل . الشِّعْرُ لابن سَيابة . والغناء لإبراهيم المَوْصِلِيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

[206] ـ أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جدّه حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سَيَابَة مولى بني هاشم . وكان يقال : إنّ جَدَّه حَجَّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقارَبي شُعَراء وقتِه ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف ، وإنّما كان يميل بمودّته ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوصِليّ وابنِه إسحاق ، فغنَّيا في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوزراء ويُذَكِّرانهم بـه إذا غنَّيا في شعـره ، فينفَعانِه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طَيِّبَ النادرة ، وكان يُرْمى بالأُبْنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهله]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال : عَشِقَ ابنُ سَيابة جاريةً سوداء ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه ؛ فقال : [من الوافر]

يكونُ الخالُ في وجـهٍ قَبيحٍ فيكسُوه المَلاحـةَ والجَمالا
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَـنْ يراهـا كلَّهـا في العـينِ خالا

[قصته مع ابن سوّار القاضي ودايته رُحاص]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِي[1] إبراهيم بن سَيابة وهو سكرانُ ابناً لسَوّار بن عبد الله القاضي أَمْرَدَ ، فعانقه وقبَّله ، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحاص ، فقيل لها : إنّه لم يُقَبِّلْه تقبيلَ السلام ، إنّما قبَّله قُبْلَةَ شَهْوةٍ . فلَحِقَتْه الدّاية فشتمته وأسمعَته كلَّ ما يكره ، وهَجَره الغلام بعد ذلك . فقال له : [من المجتث]

قُلْ لِلَّذي ليس لِي مِنْ يَـدَيْ هَـواهُ خَلاصُ
أأن لثَمْتُـكَ سِرّاً فأبصرتْنـي رُحـاصُ
وقـال في ذاك قـومٌ على انْتقاصي حِـراصُ
هَجَرْتَنـي وأتتنـي شَتِيمـةٌ وانتقـاصُ
فَهـاكَ فاقْتَـصَّ مِنِّـي إنّ الجُـروحَ قِصاصُ

---

1 ل : أتي .

ويُروى أنّ رُحاصَ هذه مغنّية كان الغلام يُحِبُّها ، وأنّه سَكِرَ ونام ؛ فقبَّله ابن سَيابة . فلمّا انتبه قال للجارية : ليت شِعْري ما كان خَبَرُكِ مع ابن سَيابة ؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه ، وحدَّثته بالقِصَّة ؛ فهجره الغلام ؛ فقال هذا الشعر .

[جوابه لمن عاتبه على مجونه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا علي بن الصَّبّاح قال : عاتَبْنا ابن سَيابة على مجونه ، فقال : وَيلكم ؛ لأنْ أَلقى الله تبارك وتعالى بذلّ المعاصي فيَرْحَمَني ، أَحَبُّ إليّ من أنْ أَلقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيَمْقُتَني .

قال : ورأيتُ ابن سَيابة يوماً وهو سكرانُ وقد حُمِل في طَبَقٍ يَعْبُرون به على الجسر ، فسألهم إنسانٌ ما هذا ؟ فرفع رأسه من الطبق وقال : هذا بقيَّةٌ ممّا ترَك آلُ موسى وآلُ هارون تَحمِله الملائكة يا كِشْخان[1] .

[ولع به أبو الحارث جُمَّين حتى أخجله فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أبو الشِّبْل البُرْجُميّ قال : وَلِع [يوماً] أبو الحارث جُمَّيْن بابن سَيابة حتى أَخجلَه . فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه :

بَنى أبو الحارثِ الجُمَّيْنِ في وَسَطٍ مِـن ظَهْرِهِ وقَرِيبـاً من ذِراعَيْنِ
دَيْـراً لِقَسٍّ إذا مـا جاء يدخلُه أَلقى على بابِ دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْنِ
يعـدو عـلى بَطْنِهِ شَدّاً على عَجَلٍ لا ذو يَدَيْـنِ ولا يمشي برجلينِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةٌ قال : كَتَبَ ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً ؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلِف أنّه ليس عنده ما سأله . فكتب إليه : «إن كنتَ كاذباً فَجَعَلكَ اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلَكَ الله معذوراً» .

[ضرط في جماعة فكلم استه]

أخبرني محمد بن أبي الأزهَر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ابنُ سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنشِدنا شيئاً من شِعره ، فتحرّك فضَرَط ، فضرب بيده على استِه غير مكترثٍ ، ثم قال : إمّا أنْ تسكُتي حتّى أتكلّم ، وإمّا أن تتكلّمي حتى أسكُتَ .

1 الكشخان : الديوث .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال حدَّثني أبو هِفّان قال : غَمَز ابن سيابة غلاماً أَمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجلسا يَشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزِّنْديق ؟ قال نعم . قال : أُحِبُّ أن تُعَلِّمني الزندقة . قال : أفعَلُ وكرامةً . ثم بَطَحه على وجهه ، فلمّا تَمَكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلامُ أَوَّهْ ! أَيْشٍ هذا ويحك ! قال سألتني أنْ أُعَلِّمَك الزندقة ، وهذا أوّل بابٍ من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيُّ قال حدَّثني مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جِنازة وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجنازة ، فإنّ المصيبة عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أَوْلى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سَخِط الفضلُ بن الربيع على ابن سيابة ، فسألته أن يرضى عنه فامتنع . فكَتَبَ إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها : [من الكامل]

إنْ كان جُرْمِي قد أَحاطَ بحُرْمتي ... فأَحِطْ بجُرْمي عَفوَك المأمولا
فكَمِ ارتَجَيْتُكَ في التي لا يُرْتَجى ... في مِثْلِها أَحدٌ فنِلْتُ السُّولا[1]
وَضَلَلْتُ عنك فلم أَجِدْ لي مَذْهَباً ... ووجدتُ حِلْمَكَ لي عليك دليلا
هَبْنِي أَسأتُ وما أَسأتُ أُقِرُّ كَيْ ... يزدادَ عَفْوُك بعد طَوْلِكَ طُولا[2]
فالعَفْوُ أَجْمَلُ والتَّفَضُّلُ بامرئٍ ... لم يَعْدَمِ الرَّاجون منه جميلا

فلمّا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورضي عن ابن سيابة ، وأَوْصَلَه إليه وأَمَر له بعشرة آلاف درهم .

[حواره المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا الحسن بن الفضل قال سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول : جاء إبراهيم بن سَيابة إلى بَشّار فقال له : ما رأيتُ أعمى قَطُّ إلاّ وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكاءَ وإمّا حُسنَ الصوت ، فأيَّ شيء

1 السؤل والسؤلة : ما سألته ويترك همزهما .
2 الطَول : الفضل .

عُوِّضْتَ [أنت] ؟ قال : ألاَّ أرى ثقيلاً مثلَك ، ثم قال له : مَن أنتَ ويحَك ؟ قال : إبراهيم بن سيابة . فتَضاحَكَ ثم قال : لو نُكِح الأَسدُ في اسْتِه لذلَّ . وكان إبراهيم يُرمى بذلك . ثم تمثَّل بَشَّار : [من مجزوء البسيط]

لــو نُكِح اللَّيْثُ في اسْتِهِ خَضَعا ومــات جوعــاً ولَم يَنَلْ شِبَعا

كذلــك السيفُ عنــد هِزَّتِــهِ لــو بَصَقَ النَّاسُ فيــه مــا قَطَعا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن أبي نصر المَرْوَزيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني سليمان بن يحيى بن مُعاذ قال : قدِم إبراهيم بن سيابة نَيْسابور فأنزلتُه عليَّ ؛ فجاءني ليلةً من الليالي وهو مُهْرِبٌ[1] ، فجعل يصيح بي : يا أبا أيُّوب . فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شيءٌ يؤذِيه ، فقلتُ : ما تشاء ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

أعْيانيَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

أكتُبُ أشكو فلا يُجيبُ

قال فقلتُ له : داره وداوه ؛ فقال : [من مخلع البسيط]

مِنْ أينَ أبْغي شِفاءَ ما بي وإنّما دائــيَ الطَّبيبُ

فقلت : لا دواءَ إذاً إلاّ أن يُفَرِّجَ اللهُ تعالى . فقال :

يا رَبِّ فَرِّجْ إذاً وعَجِّلْ فإنَّــكَ السَّامِعُ الُمجيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رملٌ طُنْبوريٌّ لجحظة .

[من قصيدة أُخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أيــا شَجَرَ الخابــورِ مالَكَ مُورِقاً كأنَّك لم تحــزَنْ على ابن طَرِيفِ

1 أهرب فهو مهرب : جدّ في السير مذعوراً .

فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ من التُّقى ولا المـالَ إلاّ من قَنًا وسُيُوفِ

الشعر لأُخت الوليد بن طَرِيفٍ الشاريّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه عُبيد الله عنه . وأوّلُ هذه الأبيات كما أُنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيى ثعلب : [من الطويل]

بتَـلِّ بُناثـا رَسْمُ قَبْـرٍ كأنّه على عَلَـمٍ فـوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّـنَ جُـوداً حاتميّـاً ونائِلاً وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقَلْـبَ حَصِيفِ
ألا قاتلَ اللهُ الجُثا حيث أضمرتْ فتًـى كان بالمعروفِ غيرَ عَفِيفِ
فإنْ يَـكُ أَرْداهُ يَزِيـدُ بنُ مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيـلٍ فَضَّها وصُفوفِ
ألا يـا لَقَـوْمٍ للنَّوائبِ والرَّدى ودَهْـرٍ مِلِـحٍّ بالكـرام عَنيفِ
ولِلْبَدْرِ من بين الكواكِبِ إذْ هوى ولِلشَّمْسِ هَمَّتْ بعـدَه بكُسوفِ
أيـا شجرَ الخابورِ ما لَكَ مُورِقاً كأنَّكَ لم تَحزَنْ على ابنِ طَرِيفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ولا المـالَ إلاّ مـن قَناً وسيوفِ
ولا الخَيْلَ إلاّ كُلَّ جَرْداءَ شَطْبَةٍ وكلَّ حِصان باليديـن غَرُوفِ[1]
فلا تَجْزَعا يا ابنَيْ طَرِيفٍ فإنّني أرى المـوتَ نَزّالاً بكلِّ شريفِ
فَقَدْناكَ فِقْـدانَ الرَّبِيـعِ وليتَنا فَدَيْناكَ مـن دَهْمائنـا بألوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طريفٍ تَرثيه ، وكان يزيد بن مَزْيَدٍ قتلَه .

---

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرفاً فتنهب الأرض نهباً في سرعتها .

207 ـ [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد عن عمّه عن جماعة من الرُّواة قال : كان الوليد بن طَرِيفٍ الشَّيبانيّ رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأساً وصَوْلةً وأشجعهم ؛ فكان مَن بالشَّماسيّة[1] لا يأمَنُ طُروقَه [إيّاه] ، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامَه . فوجّه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزْيَدٍ الشيبانيَّ ، فجعلَ يُخاتِلُه ويُماكِرُه . وكانتِ البرامكةُ منحرفةً عن يزيد بن مَزْيَدٍ ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين ، وقالوا : إنّما يتجافى عنه للرَّحِم ، وإلاّ فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعِدُه وينتظر ما يكون من أمره . فوَجَّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَب يقول فيه : «لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر ممّا تقوم به ، ولكنّك مُداهِنٌ مُتعصِّب . وأمير المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أخَّرْتَ مُناجَزةَ الوليد لَيُوَجِّهنّ إليكَ مَن يحمِل رأسَك إلى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِد عَطَشاً حتى رمى بخاتمه في فِيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللهُمَّ إنّها شدّةٌ شديـدةٌ فاسْتُرْهـا . وقال لأصحابه : فِداكم أبي وأُمّي ، إنّما هي الخوارج ولهم حَملةٌ ، فاثْبُتوا لهم تحت التِّراس[2] ، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا ؛ فإنّهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حَمَلوا حملةً وثَبت يزيد ومَن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسَد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جِدّاً ؛ وكان لا يَفْصِل بينهما إلاّ المتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً في وجهِ يزيد تأخذ من قَصاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةً على جَبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنَّى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرجَ وجهه من التُّرْس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنّه لو خُطَّتْ على مثالِ ضَرْبة أبيه ما عدا ، جاءت كأنّها هي . واتّبَع يزيد الوليد بن طريفٍ فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشَّاري قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلى بِناري
جَوْرُكُمُ أخرجني من داري

1 الشماسية : محلة كانت قريبة من بغداد .

2 التراس : جمع تُرس .

[خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد]

فلمّا وقع فيهم السيفُ وأُخِذ رأسُ الوليد ، صَبَّحَتْهم أُخته ليلى بنت طَرِيفٍ مستعدّةً عليها الدِّرع والجَوشَنُ ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوها ، ثمّ خرج إليها فضَرَب بالرُّمْح قَطاةَ[1] فرسها ، ثم قال اغرُبي غَرّب اللهُ عليك ! فقد فَضَحْتِ العشيرة ؛ فاسْتَحيَتْ وانصرفتْ وهي تقول : [من الطويل]

أيـا شجـرَ الخابـورِ ما لَكَ مورقاً كأنَّكَ لم تَحْـزَنْ على ابنِ طريفِ

فتًـى لا يُحِـبُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ولا المـالَ إلاّ مـن قَنـاً وسُيوفِ

[ولا الذُّخرَ إلاّ كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ وكلَّ رقيـقِ الشَّفْرَتَيْـنِ خفيفِ[2]]

فلمّا انصرف يزيدُ بالظَّفَر حُجب بِرأْي البرامكة ، وأَظهر الرشيد السخطَ عليه . فقال : وحَقٍّ أَمير المؤمنين لأصيفَنّ وأَشْتُوَنّ على ظهر فَرَسي أو أدخلَ . فارتفع الخبر بذلك فأُذِن له فدخلَ . فلمّا رآه أَمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأَقبل يصيح : مَرْحَباً بالأَعرابيّ ! حتى دخل وأُجْلِسَ وأُكْرِمَ وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صَدْرِهِ .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد]

ومدَحه الشعراء بذلك . فكان أَحسنُهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَليعٍ في الصِّبا غَزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُـذّالِ في عَذَلِي

هاجَ البكاءَ على العينِ الطَّمُوحِ هَوًى مُفَـرَّقٌ بـين توديـعٍ ومُحْتَمَـلِ[3]

كيـف السُّلُـوُّ لِقَلْبٍ بات مُخْتَبَلاً يَهْذِي بصاحب قَلْـبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ

وفيها يقول :

يَفْتَـرُّ عنـد افترارِ الحَرْبِ مبتسماً إذا تَغَيَّـرَ وجـهُ الفـارسِ البَطَلِ

مُوفٍ على مُهَجٍ في يـومِ ذي رَهَجٍ كأنَّـه أَجَـلٌ يسعـى إلى أَمَلِ

ينالُ بالرِّفْـقِ مـا يَعْيا الرِّجالُ به كالمـوت مُستعجِلاً يأتـي على مَهَلِ

لا يَرْحَـلُ النّاسُ إلاّ نحـوَ حُجرتِهِ كالبيت يُفْضِي إليـه مُلْتَقى السُّبُلِ

1 قطاة الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .

2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السّيف .

3 العين الطّموح : المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون .

يَقْـرِي المَنِيّـةِ أرواحَ العُـداةِ كما يقري الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ[1]
يكسو السُّيوفَ رُؤوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ
إذا انتَضى سيفَه كانت مَسالِكُه مسالِكَ الموت في الأبدانِ والقُلَلِ
لا تُكْذَبَنَّ فإنَّ المَجْدَ مَعْدِنُهُ وِراثةٌ في بني شَيْبانَ لم تَزَلِ
إذا الشَّرِيكيُّ لَم يَفْخَرْ على أحدٍ تكلَّم الفخرُ عنه غير مُنْتَحِلِ[2]
الزَّائديُّونَ قوم في رِماحِهِمُ خوفُ المُخيفِ وأمْنُ الخائفِ الوَجِلِ[3]
كَبيرُهُمْ لا تقوم الرّاسِياتُ له حِلْماً وطِفْلُهُمُ في هَدْيِ مُكْتَهِلِ
اسْلَمْ يزيدُ فما في المُلْكِ من أوَدٍ إذا سَلِمْتَ ولا في الدِّينِ من خَلَلِ
لولا دِفاعُكَ بأسَ الرُّومِ إذْ مَكَرتْ عن بَيْضةِ الدِّين لم تأمَنْ من الثَّكَلِ
والمارِقُ ابنُ طَرِيفٍ قد دَلَفْتَ له بعارِضٍ لِلمَنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ
لو أنّ غيرَ شَرِيكيٍّ أطافَ به فازَ الوليدُ بقِدْحِ النَّاضلِ الخَصِلِ[4]
ما كان جَمْعُهُمُ *دَلفتَ لهم إلاّ كمثلِ جَرادٍ رِيعَ مُنْجَفِلِ
كم آمنٍ لك نائي الدّارِ ممتنعٍ أخرجتَه من حُصونِ المُلْكِ والخَوَلِ
تراه في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفةٍ لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعى على عَجَلِ
لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدّيْهِ ومَفْرِقَه ولا يُمسِّحُ عينيه من الكُحُلِ
يأبى لك الذَّمَّ في يَوْمَيك إنْ ذُكِرا عَضْبٌ حُسامٌ وعِرْضٌ غيرُ مُبْتَذَلِ
فافْخَرْ فمالك في شَيْبانَ من مَثَلٍ كذاك ما لبني شيبانَ من مَثَلِ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأَمن في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَدٍ . وذاك أنّ امرأة مَعْن بن زائدةَ عاتبتْ مَعْناً في يزيد وقالت : إنّك لَتُقَدِّمه وتُؤَخِّر بَنِيك ، وتشيد بذكْره وتُخمِل ذِكرَهم ، ولو نبَّهتهم لانتبهوا ، ولو رفعتَهم لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحدتها كوماء .
2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن مزيد .
3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .
4 الناضل : المصيب ومثله الخَصِل .

فقال مَعنٌ : إن يزيد قريبٌ لم تَبْعُدَ رَحِمُه ، وله عليّ حُكم الولد إذ كنتُ عمَّه . وبعدُ فإنّهم أَلْوَط[1] بقلبي وأدنى من نفسي على ما تُوجبه واجبةُ الوِلادة للأُبوّة من تقديمهم ، ولكنّي لا أَجِدُ عندهم ما أَجده عنده . ولو كان ما يَضْطلِع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍّ لصار حبيباً . وسأُريكِ في ليلتي هذه ما ينفسح به اللَّوْم عنّي ويتبيَّن به عُذْرِي . يا غلامُ اذْهَبْ فادْعُ جَسَّاساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماء وَلَده ؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنِّعالِ السِّنْدِيّة ، وذلك بعد هَدْأةٍ من الليل ، فسلَّموا وجلسوا . ثم قال : يا غلام ادْعُ لي يزيدَ وقد أَسْبَلَ سِتْراً بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخل عَجِلاً وعليه السِّلاح كلُّه ، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[2] . فلمّا رآه معه قال : ما هذه الهيئة أبا الزبير ؟ ، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد ، فقال : جاءني رسول الأَمير فسبَق إلى نفسي أَنّه يُريدني لوجهٍ ، فقلت : إن كان مضيْتُ ولم أُعَرِّجْ ، وإن يكن الأَمر على خلاف ذلك فنزعُ هذه الآلةِ أَيسرُ الخَطْبِ . فقال لهم : انصرِفوا في حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيَّن عُذْرُك . فأَنشد معنٌ متمثِّلاً : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصامــا وعوّدتــه الكَرَّ والإقداما[3]
وصَيَّرتْه مَلِكاً هُماما

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكِندي قال حدَّثنا الرياشيّ قال : أنشدني الأصمعيّ لأخت الوليد بن طَريف تَرثيه : [من المتقارب]

ذكــرتُ الوليدَ وأيّامَــــهُ إذِ الأرضُ مــن شَخْصه بَلْقَعُ
فأَقبلــتُ أُطلبـــه في السَّماءِ كما يبتغـــي أَنْفَــه الأَجْدَعُ
أَضاعــك قومُــك فليطلبوا إفــادَةَ مِثْــلِ الــذي ضَيَّعُوا
لَــوَ انَّ السُّيوفَ التــي حَدُّها يُصيبُك تَعلَــمُ مــا تصنَعُ
نَبَتْ عنــكَ أَو جعلــتْ هيبةً وخوفــاً لصَوْلــك لا تَقْطَعُ

---

1 أَلوط بقلبي : أَلصق به .

2 يُحضر : يعدو ويسرع .

3 مثل يقال في نباهة الذكر من غير قديم ، وعصام بن شهبر حاجب النعمان ، فكلّ مَن كان ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي . فصل المقال : 137 .

208 ـ [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأمّا خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنّ عبد الله كان بمحلٍّ من عُلُوِّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَستغني به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامّة ، وله في الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذي لا يُدفَع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرُ أحدٍ .

[فرّق خراج مصر وقال أبياتاً أرضى بها المأمون]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المُبَرِّد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خَراجَها وضِياعَها ، فوهبه كلَّه وفرّقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاظ المأمون فِعلُه . فدخل إليه يوم مَقْدَمِه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسي فداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ ... للنّائباتِ أَبِيّاً غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أَقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها ... حَوْلَيْنِ بعدَكَ في شَوْقٍ وفي أَلَمِ
أَقفُو مَساعِيَكَ اللاّتي خُصِصتَ بها ... حَذْوَ الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأَدَمِ
فكان فَضْلِيَ فيها أنَّني تَبَعٌ ... لمَا سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسي غَنِيتُ بها ... لكن بدأتَ فلم أَعْجِزْ ولَم أُلَمِ

فضحِك المأمون وقال : واللهِ ما نَفِسْتُ عليك مكرمةً نِلتَها ولا أُحدوثةً حَسُن عنك ذِكرُها ، ولكن هذا شيءٌ إذا عوَّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقدِر على لَمِّ شَعَثِك ، وإصلاح حالِك . وزال ما كان في نفسه .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لمّا افتتح عبد الله بن طاهر مصرَ ونحن معه ، سوَّغه المأمون خَراجَها . فصَعِد المِنبَر فلم يزل حتى أجاز بها كلّها ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أو نحوَها . فأتاه مُعَلَّى الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس في الجوائز ، وكان عليه واحداً ، فوقف بين يديه تحت المِنبر فقال : أصلح اللهُ الأمير ! أنا مُعَلَّى الطائيّ ، وقد بلغ منّي ما كان منك [إليَّ] من جفاءٍ وغِلَظٍ ، فلا يَغلظَنَّ عليَّ قلبُك . ولا يَستخفَّنَّك الذي بلغك ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

يـا أَعظمَ النّاسِ عفواً عند مَقْدِرةٍ وأَظْلَمَ الناس عنـد الجُـودِ للمالِ
لو أَصبحَ النِّيلُ يجري ماؤه ذَهَباً لَمـا أَشرتَ إلى خَـزْنٍ بمِثْقالِ
تُغْلي بمـا فيـه رِقَّ الحمدِ تَملِكُهُ وليس شيءٌ أَعاضَ الحمدَ بالغالي[1]
تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنٍ إذا استطـالَ على قـومٍ بإقلالِ
لم تَخْلُ كَفُّكَ من جُودٍ لُمخْتَبِطٍ [أ]وْ مُرْهَفٍ قاتلٍ في رأس قَتَّالِ[2]
ومـا بَثَثْتَ رَعِيـلَ الخيلِ في بَلَدٍ إلاّ عَصَفْـنَ بـأَرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به فإنّ شُكْرَك من قلبـي على بالي
مـا زِلْتُ منقضياً لـولا مُجاهَرةٌ من أَلْسُنٍ خُضْنَ في صَدْرِي بأَقوالِ

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بما كان منه ، وقال : يا أَبا السَّمراء أَقْرِضْني عشرة آلاف دينار ، فما أَمسيتُ أَملِكها ؛ فأَقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنّته «ضعف» جاريته]

أَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مُؤْثِراً مُقَدِّماً ؛ فأَصاب منه معروفاً كثيراً وأَجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك . ثم إنّه وَجَد عليه في بعض الأَمر ، فجفاه وظَهَر له منه بعضُ ما لم يُحِبَّه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال : [من السريع]

صوت

إنْ كان عبدُ اللهِ خَلاَّنـا لا مُبْدِئـاً عُرْفاً وإحسانا
فحَسْبُنا اللهُ رَضِينا بـه ثـمّ بعبـد الله مـولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لحناً من الثقيل الأوّل ، وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيّاها . فبلغَ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أَجَل ؛ صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أَهله فضاع .

وكانَتْ ضَعْفُ إحدى المُحسِنات . ومن أَوائل صَنعتها وصدور أَغانيها وما بَرَّزتْ فيه وقُدِّمت فاختيرت ، صَنعتُها في شعر جَميلٍ : [من الطويل]

أَمِنْكِ سَرى يـا بَثْنُ طَيْفٌ تَأَوَّبا هُدوءاً فهاج القلبَ شوقاً وأنصبا

---

1 تغلي بالشيء : تجعله غالياً .

2 اختبطه وتخبطه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودّة أو معرفة .

عَجِبْتُ له أَنْ زارَ في النومِ مَضْجَعي ... ولـو زارني مُسْتَيْقِظاً كان أَعجبا

الشعر لجميل ، والغناء لضَعْفَ ثقيلٌ أَوّل بالبنصر .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النديم قال حدَّثني العبّاس بن الفضل الخُراسانيّ ، وكان من وجوه قُوّاده طاهر وابنِه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال : لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأَهله ويفخَر بقَتلِهم المخلوعَ ، عارضه محمد بن يزيد الأمويّ الحِصنيّ ، وكان رجلاً من ولد مَسلَمة بن عبد الملك ، فأَفرط في السَّبِّ وتجاوز الحدّ في قُبح الردّ ، وتوسَّط بين القوم وبين بني هاشم فأَربى في التوسُّط والتعصُّب . فكان ممّا قال فيه : [من المديد]

يا ابنَ بَيْتِ النّارِ مُوقِدُها ... مـا لِحاذَيْـهِ سَراوِيلُ[1]

مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أَبوك ومَنْ ... مُصْعَبٌ ؟ غالتكمُ غُولُ

نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ ... وأُبــوّاتٌ أَراذيـــلُ[2]

قاتــلُ المخلـوعِ مقتولُ ... ودَمُ المقتــولِ مطلـولُ

وهي قصيدة طويلة . فلمّا وُلّي عبد الله مِصْرَ ورُدَّ إليه تدبير أَمر الشام ، علم الحِصْنِيُّ أنّه لا يُفْلِت منه إن هَرَب ، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ ؛ فثَبَت في موضعه ، وأَحْرَز حُرَمَه ، وترك أمواله ودَوابَّه وكلَّ ما كان يملكه في موضعه ، وفَتَح باب حِصنِه وجلس عليه ، ونحن نتوقَّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به . فلمّا شارَفْنا بَلَدَه وكنّا على أَنْ نُصَبِّحَه ، دعاني عبدُ الله في الليل فقال لي : بِتْ عندي الليلةَ ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدّاً عندك لا يُرَدُّ ، ففعلتُ . فلمّا كان في السَّحَر أَمَر غلمانه وأصحابه أَلاَّ يرحلوا حتى تطلُعَ الشمس ، ورَكِب في السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصِّ غِلمانه [معه] ، فسار حتى صَبَّح الحِصنيَّ ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُستَرسِلاً ، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له : ما أَجلَسَك هاهنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بَلَغه عنك ؟ فقال : إنّ ما قُلْتَ لم يَذهَبْ عليّ ، ولكنّي تأمّلتُ أَمري وعَلِمتُ أنّي أخطأتُ خطيئةً حَمَلني عليها نَزَقُ الشَّبابِ وغرَّةُ الحَداثة ، وأنّي إنْ هربتُ منه لم أُفُتْه ، فباعدت البناتِ والحُرَمَ ، واستسلمتُ بنفسي وكلِّ ما أَملِك ؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القتْلُ فينا ، ولي بمن مضى أُسْوةٌ ؛ فإنّي أَثِق بأنّ الرجلَ إذا

---

1 الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذنَب من أدبار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرْمي إليه أكثر مِمّا بذلتُه . قال : فواللهِ ما اتّقاه عبد الله إلاّ بدُموعه تجري على لِحيته . ثم قال له : أتعرِفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوعتَك ، وحَقَن دَمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نِعْمَتَك ، وعفا عن ذَنبِك . وما تَعَجَّلْتُ إليك وحدي إلاّ لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلاَّ يُخالِط عَفْوي عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنيُّ وقام فقبّل رأسَه ؛ وضَمَّه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخرَ بهم لم أُطعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القومُ الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغْرِقْ ولا تُسْرِفْ . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجْعَله العفوَ الذي لا يخلِطه تثريبٌ ، ولا يكدِّر صَفْوَه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتّى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدَّه ، فأكلنا وجلسنا نشرَب في مُسْتَشرَفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أتلقّاهم فأُرَحِّلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلاّ في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فنزلتُ فرحّلتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين ، وقال له : إنْ نَشِطتَ لنا فالحَقْ بِنا ، وإلاّ فأَقِمْ بمكانك . فقال : فأنا أتجهَّز وأَلْحَقُ بالأمير . ففعل فلَحِق بنا بمصر . ولم يَزَل مع عبد الله لا يفارقه حتى رَحَل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنّى فيها وأخبارها]

فأمّا الأصواتُ التي غنّى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدّار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصُدورها ومُقدّمها لحنُه في شِعر أُخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأخت مسعود بن شَدّاد . فإنه صوتٌ نادر جيد . قال أبو العَنْبَس بن حَمدون وقد ذكره ففضَّله : جاء به عبدُ الله بن طاهر صحيح العمل مُزْدَوِجَ النَّغَم بين لِينٍ وشدّةٍ على رَسْم الحُذّاق من القدماء ، وهو : [من البسيط]

صوت

هَـلاّ سَقَيْتُمْ بنـي سَهْمٍ أَسيرَكُم ... نَفْسي فِداؤكَ من ذي غُلَّةٍ صادي

الطاعـنُ الطَّعْنـةَ النَّجلاء يَتْبَعُها ... مُضَرَّج بعـد مـا جادتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلَميّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْم ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، أَسَروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّا عرَفوه قتلوه . وكان قد عَطِش

فاستسقاهم ، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِه . وقيل : إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شدّاد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قتلتْ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيل ، عمرو بن عاصية السُّلَميَّ ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته ترثيه ، وتذكر ما صنعوا به : [من البسيط]

شَبَّتْ هُذَيْـلٌ وبَهْزٌ بينها إرَةً ... فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَـدُّ صاليها[1]

[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمٌ» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شبّة] : [من البسيط]

إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما ... خَلَّى عليّ فِجاجاً كان يَحميها

وقالت أيضاً ترثيه : [من البسيط]

يـا لَهْفَ نَفْسِيَ لَهْفاً دائماً أبداً ... على ابـن عاصيةَ المقتولِ بالوادي

هلاَّ سَقَيتُمْ بنـي سَهْـمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فِداؤك من ذِي غُلَّةٍ صادي

قال : فغَزا عَرْعَرَةُ بن عاصية هُذيلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفَراً وَسبى امرأةً فجرّدها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيْم ؛ فقالت عند ذلك : [من الطويل]

ألامَـتْ سُلَيْمٌ في السِّياقِ وأفحشتْ ... وأفـرطَ في السَّوقِ العنيف إسارُها[2]

لعـلّ فتـاةً منهـمُ أن يسوقَهـا ... فـوارسُ منّـا وهْـيَ بادٍ شَوارُها[3]

فـإنْ سَبَقَـتْ عُلْيـا سُلَيْمٍ بذَحْلِها ... هُذَيْلاً فقد بـاءتْ فكيـف اعتذارُها

ألا ليت شِعْري هل أرى الخيلَ شُزَّباً ... تُثير عَجاجـاً مستطيـراً غُبارُها[4]

فتَرْقـا عيـونٌ بعـد طُـول بُكائها ... ويُغْسَلُ مـا قـد كان بالأمس عارُها[5]

هذه رواية عمر بن شَبَّة . فأمّا أبو عبيدة فإنّه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

---

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .

2 ألامت : فعلت ما تستحقّ عليه اللوم .

3 الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

4 شزب : ضوامر ، الواحد شازب .

5 ترقا : في الأصل ترقأ أي تجف .

السُّلَميُّ ثم البَهْزِيّ في جماعةٍ من قومه ، فأغاروا على هُذَيْل بن مُدرِكة ، فصادفوا حيّاً من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهم بن معاوية . وكانت امرأةٌ من هُذيل تحت رجل من بني بَهْزٍ ، فقالت لابن لها معه : أيْ بُنَيَّ انطلِق إلى أُخوالك فأنْذِرْهم بأنّ ابن عاصية السُّلَميّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عَزَم ابن عاصية على غَزوهم وأراد المسيرَ إليهم . فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتوا أخواله فأنذرهم ، فقال : ابن عاصية السُّلميّ يريدكم ، فخذوا حِذْرَكم ؛ فبَدَر القوم واستعدّوا . وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ ، فنزل قَرِباً لأصحابه على جبل [مشرف على القوم] ، فإذا هم حَذِرون . فقال لأصحابه : أرى القوم حَذِرين ، إنّ لهم لشأنا ، ولقد أنْذِرُوا علينا . فكَمَن في الجبل يطلب غَفلتهم ، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديد ، فقال ابن عاصية لأصحابه : هل فيكم مَن يرتوي لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فرسٍ له ومعه قِرْبَتُه . وقد وضعتْ هُذَيلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً ، وعَلِموا أنّهم لا بُدّ لهم من أن يَرِدوا الماء . فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هُذيل ، فلمّا نظروا إليه همّ الفتيانِ أن يُثاوراه[1] . فقال الشيخ : مَهْلاً ! فإنّه لم يَرَكما ، فكَفّا . فانتهى ابن عاصية إلى البئر ، فنظر يميناً وشِمالاً فلم يَرَ أحداً والآخرون يرمُقونه من حيث لا يراهم . فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطَفِق يملأ القربة ويشرب . وأقبل الفَتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر ، [فرفع رأسه فأبصر القوم] ؛ فقالوا : [قد] أخزاك الله يا ابن عاصية وأمكن منك ؛ قال : ورمى الشيخَ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِل الفَتيانِ بنَزْع السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفَتيانِ قبل وصوله فأسراه . فقال لهما حين أخذاه : أرْوِياني من الماء ثم اصنعا ما بَدا لكما . فلم يَسْقِياه وتَعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرثي أخاها : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسيَ يوماً ضَلَّةً جَزَعاً ... على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي

إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلاً ... مَشْيَ السَّبَنْتى أمام الأيكة العادي[2]

هَلاّ سَقيتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسي فداؤك من ذي غلة صادي

قال أبو عبيدة : وآب غَزِيٌّ[3] بني سُلَيم بعد مقتل ابن عاصية . قال : فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قَتْلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِع به ، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بني سُلَيم منهم عَبِيدةُ بن حكيم الشَّرِيديّ وعمرو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البَهْزِيّ وقيس بن

---

1 ثاوره : واثبه .

2 ينفض : يكشف الطريق ويتجسّس . الطفل طفلان : طفل الغداة وطفل العشي . السبنتى : النمر أو الأسد .

3 الغزيّ : اسم جمع لغاز .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِعْلٍ . قال : فسَرى إليهم عرعرة ، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرف فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فظفرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً ، وأَسَروا أَسْرى ، وأصابوا امرأةً من هُذَيْل فعَرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا في ذلك . وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر مَن قَتَل : [من الوافر]

ألا أَبْلِغْ هُذَيـلاً حيثُ حَلَّتْ ... مُغَلْغَلَـةً تَخُبُّ مـع الشَّفِيقِ
مُقامَكُم غَـداةَ الجُرْفِ لمّـا ... تواقفـتِ الفـوارسُ بالمَضيقِ
غَـداةَ رأيتُـمُ فُرْسانَ بَهْزٍ ... ورِعْلٍ أَلبدتْ فـوق الطريقِ[1]
تراميتُـمْ قليـلاً ثـمّ ولَّـتْ ... فوارسُكـم تَوَقَّـلُ كُلَّ نِيقِ[2]
بِضَرْبٍ تسقُط الهاماتُ منـه ... وطَعْنٍ مثـلِ إشعال الحريقِ

وقال لي : إنّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثي أَخاه ، وزعم أنّ جَرْماً كانت قتلتْه وهو عطشان ، فقال :

يـا عينُ جُودِي لمسعود بن شَدّادِ ... بكـلّ ذي عَبَراتٍ شَجْوُه بادي
هَـلاَّ سقيتم بني جَـرْمٍ أَسيرَكُمُ ... نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

فأنشدَنيها بعضُ أُصحابنا قال أنشدني أَبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أَبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المُرِّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده : [من البسيط]

يا مَـنْ رأى بارقاً قد بِتُّ أَرمُقُه ... جَوْداً على الحَرّة السوداء بالوادي[3]
أسقِي بـه قَبر مَنْ أَعْني وحُبَّ به ... قبراً إليّ ولـو لَـم يَفْدِهِ فادي
شَهّـادُ أنديـةٍ رَفّـاعُ أَبنيـةٍ ... شَدّادُ أَلويـةٍ فَتَّـاح أَسدادِ
نَحّـارُ راغيـةٍ قَتّـالُ طاغيـةٍ ... حَـلاَّلُ رابيـةٍ فَكّـاكُ أَقيادِ[4]
قَـوّالُ مُحْكَمـةٍ نَقّـاضُ مُبْرَمَة ... فَـرّاجُ مُبْهَمـةٍ حَبّاسُ أَورادِ[5]

1 ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .
2 توقل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبال .
3 البارق : هنا السحاب .
4 الراغية : الناقة .
5 أوراد : جمع وِرد وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَــلاَّلُ مُمْرِعَةٍ حَمَّالُ مُضْلِعَةٍ قَــرَّاعُ مُفْظِعَــةٍ طَلاَّعُ أَنجادِ[1]
جَمّاع كُلٍّ خِصالِ الخَيْرِ قد عَلِموا زَيْنُ القَرِينِ وخَطْمُ الظالم العادي[2]
أَبــا زُرارةَ لا تَبْعَـدْ فكُلُّ فَتًى يومــاً رَهِـينُ صَفيحاتٍ وأعوادِ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لّما صنع أبي هذا الصوت لم يُحِبَّ أن يَشيع عنه شيءٌ من هذا ولا يُنْسَب إليه ؛ لأنّه كان يترفّع عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَراً قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّربة [وحُسْن الثقافة] ما لا يعرِفه كبير أحدٍ . وبلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَع أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخَذْنَها عنه وغنَّينَ بها ، وسَمِعها النّاسُ منهنّ وممّن أخذ عنهنّ . فلمّا أن صنع هذا الصوت : [من البسيط]

هَــلاّ سقَيْتُمْ بنــي جَرْمٍ أُسيرَكُمُ نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لّما نَدَبه المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنّون عنها وَرَوَوْه لمالك مدّة . ثم قَدِم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغُنّي الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك ؛ فضَحِك عبدُ الله ضحكاً كثيراً . فسُئِل عن القصّة فصَدَق فيها واعترف بصنعة الصوت . فكَشَف المأمون عن ذلك ، فلم يَزَل كلُّ مَن سُئِل عنه يُخبر عمّن أخذه [عنه] ، فتنتهي القصّة إلى داحةَ ثم تقف ولا تعدوها . فأُحضِرتْ داحة وسئلت فأخبرتْ بقصته ؛ فعُلِم أنّه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنّ إسحاق لم يَعجَب من شيءٍ عَجَبَه من عبد الله وحِذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضاً : [من الخفيف]

صوت

راح صَحْبي وعاودَ القَلْبَ داءُ مــن حَبِيبٍ طِلابُـه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأي والمَواعيدِ لا يُلْـ ـفى لشيءٍ ممـا يقول وَفاءُ
مَنْ تَعَزَّى عمّــن يُحِبُّ فإنّي ليس لي ما حَيِيتُ عنـه عَزاءُ

الغناء لابن طُنبورة خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

---

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 ـ [أخبار متفرقة]

ومنها : [من الهزج]

فمَــنْ يَفْــرَحْ ببينِهِــمُ فغَيْري إذ غَـدَوْا فَرِحا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يــا خَلِيلَــيَّ قــد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّــى وقد شَنِئتُ البَقِيعا
بَلِّغــاني ديــارَ هندٍ وسَلْمى وارْجِعا بي فقد هَوِيتُ الرجوعا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلاً بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمعبد ذَكَره حمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنِّسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال [أخبرني السائب بن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال] : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني عليُّ بن صالح عن أبي هِفَّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبيريّ والمُسَيَّبيّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهريّ] قال حدَّثنا عمر بن شَبّة موقوفاً عليه . وجمعتُ رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزُّبير [بن بَكّار] وخبره أتـمُّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة قَدِم المدينة ؛ فزعموا أنّه قَدِمَها من أجلِ امرأةٍ من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله : [من الخفيف]

يــا خليلَيَّ قــد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّـى وقـد شَنِئتُ البقيعا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكّة فمرّا بنصيب وكثير وتحاوروا]

قال : ثمّ خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كُثَيِّرٍ إنّه قال : لمّا مَرّا بالرَّوْحاء[1] اسْتَتْلَياني[2] فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .
2 استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .

أتلوهما ، حتّى لحقتُهما بالعَرْج[1] عند رَواحهما . فخرجنا جميعاً حتى وَرَدنا وَدَّانَ[2] ، فحبسهما النُّصَيْب وذَبَح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النُّصيب . فلمّا جئنا كُلَيّة[3] عدلنا جميعاً إلى منزل كثيِّر ، فقيل لنا : هبَط قُدَيْداً[4] ، فذُكِر لنا أنّه في خيمةٍ من خِيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهَب فادْعُه لي . فقال النُّصَيب : هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك . فقال لي عمر : اذهَب كما أقول [لك] فادْعُه لي : فجئتُه ، فهَشَّ لي وقال : «اذْكُرْ غائباً تَرَه[5]» ، لقد جئتَ وأنا أذكُرُك . فأبلغتُه رسالةَ عمر ؛ فحدَّد إليَّ نظرةً وقال : أما كان عندك من المعرفة ما تردَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ؛ ولكنّي سترتُ عليك فأبى اللهُ إلاّ أن يَهْتِك سِتْرَك . فقال لي : إنّك والله يابنَ ذَكُوان ما أنتَ من شكلي ؛ فقُلْ لابن أبي ربيعة : إنْ كنتَ قرشيّاً فأنا قرشيٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التَّلَصُّق وأنت تُقْرَفُ عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ ؛ فقال : والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سَدُوسَ . ثم قال : وقل له : إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هذا إذا كان الحُكْمُ إليك . فقال : وإلى مَنْ هو ومَن أولى بالحكم منّي ؟ [وبعد هذا يا ابن ذكوان فاحْمَدِ الله على لومك ؛ فقد منعَك منّي] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عُمَر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال نُصَيْبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْراً لبَطْنٍ ، ثم نهضوا معي إليه . فدخلنا عليه في خيمةٍ ، فوجدناه جالساً على جِلْدِ كَبْشٍ ، فوالله ما أوسع للقُرشيّ . فلمّا تحدّثوا مَلِيّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعر ، أقبلَ على عُمَرَ فقال له : أنت تَنْعَت المرأة فتنسب بها ثم تَدَعُها وتَنْسِب بنفسِك . أخبرني يا هذا عن قولك : [من المنسرح]

قالتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ... ثمّ اغْمِزيه يـا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قـد غَمَزْتُـه فأبى ... ثم اسبَطَرَّتْ تشتدُّ في أَثَري[6]
وقَوْلُها والدُّمـوعُ تَسْبِقُها ... لَنُفْسِدَنَّ الطَّـوافَ في عُمَرِ

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هِرَّة أهلِك ألَم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْر : إنما تُوصَف الحُرّة بالحياء والإباء والالْتِواء والبُخْل والامتناع ، كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص : [من الطويل]

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .
2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفُرْع بين مكّة والمدينة .
3 كُلية : قرية بين مكّة والمدينة .
4 قديد : موضع قرب مكّة .
5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنّه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذٍ بمكّة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .
6 اسبطرت : أسرعت .

أدُورُ ولـولا أنْ أرى أُمّ جَعْفَرٍ بأبياتِكُـمْ مـا دُرْتُ حيثُ أدورُ
ومـا كُنْتُ زَوَّاراً ولكنّ ذا الهَوى إذا لَـم يَـزُرْ لا بُـدّ أن سَيزورُ
لقـد مَنَعتْ معروفَهـا أُمّ جَعْفَرٍ وإنّـي إلى معروفهـا لَفقيـرُ

قال : فدخلتِ الأحوص أبَّهةٌ وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه . فلمّا استبانَ كُثَيِّر ذلك فيه قال : أبطل آخِرُك أوّلَك . أخبِرْني عن قولك : [من الوافر]

فـإن تَصِـلي أصِلْكِ وإنْ تَبيني بِصُرْمِـك بعـد وَصْلِكِ لا أُبالي
ولا أُلْفى كَمَـنْ إنْ سِيمَ صَرْماً تَعَـرَّضَ كـي يُـرَدّ إلى الوِصالِ

أما والله لو كنتَ فَحْلاً لباليْتَ ولو كَسَرتْ أنْفَك . ألا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار إلى نُصيب : [من الطويل]

بِزَيْنَبَ أَلِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقُـلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبّهةٌ . فلمّا نَظَر أنّ الكبرياء قد دخلته ، قال له : يا ابنَ السوداء ، فأخبرني عن قولك : [من الطويل]

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أمُتْ فَوا كَبِدي مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدي

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك ؟ فقال نُصيب : استوتِ القِوَقُ[1] ، قال : وهي لُعبةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين . قال سائب : فلمّا أمسك كُثَيِّر أقبل عليه عُمَر فقال له : قد أنصتْنا لك فاسمع يا مذبوبُ[2] [إليّ] ! أخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لِمَن تُحِبّ حيث تقول : [من الطويل]

ألا ليتَنا يـا عَـزَّ كُنّا لِذِي غِنًى بَعِيرَيْنِ نَرْعى في الخَلاءِ ونَعْزُبُ
كِلانا بِـه عَـرٌ فَمَـنْ يَرَنا يَقُلْ عَلى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجْرَبُ
إذا مـا وَرَدْنا مَنْهَـلاً صاح أهلُهُ علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ
وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنّكِ بَكْـرَةٌ هِجانٌ وأنّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ[3]
نكون بَعِيرَي ذِي غِنًـى فيُضيعُنا فلا هُـوَ يَرْعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

وقال : تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأيَّ مَكْروهٍ لم تَمَنَّ لها

---

1 في نسخة : الفيق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .
2 المذبوب : المجنون .
3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قولُ القائل : «معاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمقَ» . قال : فجعل يختلج جسده كلّه . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إليَّ يا ابن استْها[1] أُخبِرْكَ بخبرك وتعرُّضِك للشرّ وعجزك عنه وإهدافك لِمَن[2] رَماك . أخبرني عن قولك : [من الطويل]

وقُلْنَ ، وقد يَكْذِبْن ، فيكَ تَعَيُّفٌ وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاح ناعقُهْ

وأَعْيَيْتَنا لا راضيـــاً بكرامـــةٍ ولا تاركاً شَكْوى الذي أنت صادِقُهْ

فأدركتَ صَفْوَ الـــودِّ مِنَّا فلُمْتَنا وليس لنـا ذَنْـبٌ فنحن مَواذِقُهْ[3]

وأَلْفيَتنا سَلْمـــاً فَصَدَّعْتَ بَيْنَنـا كما صَدَّعتْ بين الأديـمِ خَوالِقُهْ[4]

والله لوِ احتفلَ عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نَفْسِك . قال : فخَفَقَ كما يَخْفِق الطائرُ . ثم أقبل عليه النُّصَيبُ فقال : أَقْبِلْ عليَّ يا زُبَّ الذُّباب ! فقد تَمَنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي عِلْمُه فيك حيث تقول : [من الطويل]

وَدِدْتُ ، وما تُغْني الوَدادةُ ، أنَّني بمـــا في ضَمِير الحاجبيَّـــة عالِمُ

فـــإنْ كان خيراً سَرَّني وعَلِمْتُــه وإنْ كانَ شَرّاً لَــم تَلُمْني اللَّوائمُ

انْظُر في مِرْآتِك واطَّلعْ في جَيْبك واعْرِفْ صورةَ وجهِك ، تَعْرِفْ ما عندها [لك] . فاضطرب اضطراب العُصفور ، وقام القوم يضحَكون . وجلست عنده ؛ فلمّا هدأ شأْوُه قال لي : أَرْضَيْتُك فيهم ؟ فقلت له : أمّا في نفسك فنعَمْ ! فقد نحِسَ يومُك معهم ، وقد بقِيتُ أنا عليك . فما عُذْرُكَ ، ولا عُذْرَ لك ، في قولك : [من الطويل]

سقى دِمْنَتَيْنِ لَم نَجِـدْ لهما أَهْلا بِحَقْلٍ لكم يا عَـزَّ قد رابَنا حَقْلا

نَجـاءُ الثُّرَيّـا كُلَّ آخـرِ لَيْلـةٍ يَجُودُهمـا جَـوْداً ويُتْبِعُه وَبْلا

[ثم قلتَ في آخرها] :

ومـــا حَسِبتْ ضَمْرِيَّـةٌ حَدَرِيَّـةٌ سِوى التَّيْس ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا

أَهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِيَ ولم يعلَم به أحدٌ ، فتَسُبّ الرجالَ وتَعيبهم ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ وما علْمُك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هذا أعجبُ من ذاك . أتذكُر امرأةً تَنسِبُ بها في شِعْرك وتَسْتَغْزِرُ لها الغيثَ في أوّل شِعْرك ، وتَحمِلُ عليها التَّيْسَ في

---

1 يقال لابن الأمة عند تحقيره : «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .

2 أهدف لكذا : تعرّض له .

3 مواذق : جمع ماذقة . يقال مذق الود إذا لم يخلصه .

4 البين هنا : الوصل . خوالق الأديم : اللائي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فأطرقَ وذلَّ وسكَن . فعُدْتُ إلى أصحابي فأعلمْتُهم ما كان من خبَره بعدَهم . فقالوا : ما أنت بأهْوَن حجارتِه التي رُمِي بها اليوم منّا . قال فقلتُ لهم : إنّه لم يَتِرْني فأطلبَه بذحْلٍ ، ولكنّي نصحتُه لئلاّ يُخِلَّ هذا الإخلالَ الشديد ، ويركبَ هذه العروض[1] التي رَكِب في الطَّعْن على الأحرار والعَيْبِ لهم .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال حدَّثني ابن جامع عن السَّعيديّ عن سهل بن بَرَكةَ وكان يَحْمِل عُودَ ابنِ سُرَيجٍ قال : كان على مكّة نافعُ بن عَلقمة الكِنانيّ ، فشَدَّد في الغِناء والمغنِّين والنبيذ ، ونادى في المخنَّثين . فخرج فِتيةٌ من قريش إلى بطن مُحَسِّرٍ[2] وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براويةٍ من الشراب الطائفيّ . فلمّا شَرِبوا وطَرِبوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تَمَّ سرورنا . فقلت : هو عليَّ لكم . فقال لي بعضهم : دونَك تلك البغلةَ فارْكَبْها وامْضِ إليه . فأتيتـه فأخبرتُـه بمكان القوم وطلبِهم إيّاه . فقال لي : وَيْحَكَ ؛ وكيف لي بذاك مع شِدّة السلطان في الغناء ونِدائه فيه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعُودِ ؟ فقلت له : أنا أَخْبَؤه لك فشأنَك . فركب وسترتُ العُودَ وأردفني . فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يا ابنَ بَرَكةَ هذا الأمير ؛ فقلتُ : لا بأس عليك ، أَرْسِلْ عِنانَ البغلة وامْضِ ولا تَخَف ، ففعل . فلمّا حاذيناه عَرَفني ولم يعرف ابن سُرَيج ، فقال لي يا ابن بركة : مَن هذا أمامَك ؟ فقلت : ومَنْ ينبغي أن يكون ! هذا ابن سُريج . فتبسَّم [ابن] علقمة ثم تمثّل : [من الطويل]

فإنْ تَنْجُ منها يـا أَبانُ مُسَلَّماً ... فقد أفلتَ الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا . فلمّا كنّا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح ، فقلت له : غَنِّ مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخُيِّل إليَّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغَنَّى : [من الكامل]

صوت

كيف الثَّواءُ ببَطْنِ مَكَّةَ بعـد مـا ... هَـمَّ الذيـن تُحِـبّ بـالإنجادِ

أمْ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّراً ... سَقِماً خِلافَهمُ وكَرْبُـكَ بادي[3]

هل أنتَ إن ظَعَن الأحِبَّـةُ غادِي ... أم قبـلَ ذلـك مُدْلِـجٌ بسَوادِ

---

1 العَروض : الطريق في عرض الجبل .

2 بطن محسّر : وادي المزدلفة بالقرب من مكّة .

3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجيّ . وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشةَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنتَ والذي فلَقَ الحَبَّة وبَرأ النَسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سَمِعَتْكَ لاستحسنتْك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور مَنْ غَرَّه نافع . ثم قلت : زِدْني وإنْ كان القوم متعلّقةً قلوبهم بك . فغَنَّى وتناول عُوداً من الشجرة فأَوقَعَ به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أَحسنَ من خَفْق بُطون[1] الضَّأن على العيدان إذا أخذتْها قُضْبان الدِّفْلى . قال : والصوت الذي غنّى : [من الكامل]

صوت

لا تَجْمَعي هَجْراً عليّ وغُرْبةً فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريعُ
مَنْ ذا ، فديتُكِ ، يستطيع لِحُبِّهِ دَفْعاً إذا اشتملتْ عليه ضُلوعُ

فقلتُ : بنفسي أنت واللهِ مَنْ لا يُمَلُّ ولا يُكَدُّ ، واللهِ ما جَهِل مَن فهِمَك ؛ ارْكَبْ ، فدتْك نفسي ، بنا . فقال : أَمْهِلني كما أمهلتُك اقْضِ بعض شأني . فقلت : وهل عما تُريد مَدْفَعٌ ! فقام فصلَّى ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ثم قال : يا حبيبتي إذا شَهِدْتِ بذاك الشيء فاشهَدي بهذا . ثم مضينا والقومُ متشوِّقون . فلمّا دَنونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلتْ ، وشَحَجتِ البغلة ، وإذا الغريض يُغنّيهم لحنَه : [من الكامل]

مِنْ خَيْلِ حَيٍّ ما تزالُ مُغيرةً سَمِعتْ على شَرَفٍ صَهيلَ حِصانِ

فبكى ابن سُريج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبكيك يا أَبا يحيى ؟ [جُعِلْتُ فداكَ !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءا ! قال : أَبكاني هذا المخنّث بحسن غنائه وشَجا صوتِه ؛ واللهِ ما ينبغي لأَحدٍ أن يُغنِّيَ وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركِب . فلمّا سار هنيهةً اندفع الغريض فغنّاهم لحنَه : [من الخفيف]

يا خليليّ قد مَلِلتُ ثَوائي بالمُصَلّى وقد شَنِئتُ البقيعا

قال : ولصوته دَوِيٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويلك يا ابن بركة ! أَسَمِعتَ أَحسنَ من هذا الغِناء والشعر قَطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأَقبلوا نَشاوى يسحَبون أَعطافَهم ، وجعلوا يُقبِّلون وجهَ ابن سُرَيج . فنزل فأَقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطِق بحرف [واحد] ، وأخذوا في شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقَها أَعْطِها بعض مُناها ؛ فضرب بيده إلى جَيبه فأخرج منه مِضْراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً

---

1 يريد ببطون الضأن الأوتار التي تتّخذ من المعيّ .

تخيَّلَتْ إليّ أنّها جوهرةٌ إلاّ هي ، ثم ضرب فلقد سبَّح القومُ جميعاً ، ثم غنّى فكُلٌّ قال : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ! فكان ممّا غنَّى فيه ، واللحن له هزج : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْــكِ يــا سَيِّدَتــي لَبَّيْــكِ ألفــاً عَــدَدا
لَبَّيْــكِ مــن ظالمــةٍ أحببتُهــا مُجْتَهِــدا
قُومُــوا إلى مَلْعَبِنــا نَحْكِ الجَـوارِي الخُرَّدا
وَضْعَ يَـدٍ فـوق يَـدٍ تَرْفَعُهــا يَــداً يَــدا

فكلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتُنا نستبق أيُّنا تَقَعُ يدُه على يده . ثم غنَّى : [من مخلّع البسيط]

ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ رَبْــعٌ أُحالَ لأُمِّ عاصِمْ[1]
رَبْــعٌ تَقــادَمَ عهــدُهُ هــاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ
فيــه النَّواعِــمُ والشَّبـا بُ الناعمون مـع النَّواعِمْ
مِــنْ كلّ ناعمـة الجَبِيـ ـنِ عَمِيمةٍ رَيّـا المَعاصِمْ[2]

ثم إنّه غنّى : [من الطويل]

صوت

شَجاني مَغاني الحَيِّ وانْشَقَّتِ العَصا وصاح غُـرابُ البين أنت مَريضُ
ففاضتْ دُموعي عند ذاك صبابةً وفيهنّ خَـوْدٌ كالمَهــاةِ غَضيضُ
وَوَلَّيْـتُ مخزونَ الفـؤادِ مُرَوَّعاً كئيباً ودمعــي في الرِّداء يَفيضُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن جُنْدَب . قال : فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُرْبِنا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئاً ؛ فقالت الجماعة : يا تمامَ السرورِ وكمالَ المجلس ! لقد سَعِد مَن أخذ بحَظّه منك ، وخابَ مَن حُرِمَك ، يا حياةَ القلوب ونسيمَ النفوس جعلَنا [الله] فداءك ! غَنِّنا ؛ فغَنَّى واللحنُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

يــا هِنْدُ إنَّكِ لــو عَلِمْ ــتِ بعاذِلَيْــنِ تَتابَعـا

---

1 أُحال الشيء : مرّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .

2 امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويله .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأنّ فيه طُولاً ، فبدرتُ من بينهم فقبَّلت بين عينيه ، فتهافتَ القوم عليه يقبِّلونه ؛ فلقد رأيتُني وأَنا أرفَعُهم عنه شفقةً عليه .

[ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغانٍ]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كُثيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأَحوصُ أَغانٍ .

منها : [من المنسرح]

صوت

أبصرتُهـا ليلـةً ونسْوَتَهـا يَمْشِينَ بـين المَقامِ والحَجَرِ
ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ حتّـى التَقَيْنا ليـلاً على قَدَرِ
بِيضاً حِسانـاً خرائـداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْنـاً كمِشْيةِ البَقَرِ

الشعر لعُمَر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل ، وقيل : إنّه لِسِنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أوّلها : [من المنسرح]

صوت

يـا مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّمٍ كَمِدٍ يَهْـذِي بخَـوْدٍ مَرِيضَة النَّظَرِ
تمشي رُوَيْـداً إذا مَشَتْ قَطَفاً وهْيَ كمثل العُسْلوج م البُسُرِ[1]
مـا زالَ طَرْفي يَحـارُ إذ بَرَزتْ حتّى عرفتُ النُّقْصانَ في بَصَري

غنّاه ابن محرز ، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

قالـتْ لِتِرْبٍ لهـا تُحَدِّثُها لَنُفْسِدنّ الطَّـوافَ في عُمَرِ
قالـتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ثمّ اغْمِزِيه يـا أُختِ في خَفَرِ
قالتْ لهـا قـد غمزتُه فأَبـى ثم اسْتُطِيرتْ تشتدُّ في أَثَري[2]

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العَبّاس لحناً جَيِّداً .

ومنها ما لم يَمْض ذكرُه في الكتاب : [من الطويل]

1 قطفاً : بطيئان السير : الواحدة قطوف . العسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : التمر قبل إرطابه .
2 استطيرت : ذُعرت .

صوت

أَلا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بِغضَةٍ ... بَعِيرَيْنِ نَرْعى في الخَلاءِ ونَعْزُبُ

كلانا بِهِ عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ ... على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجربُ

إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلاً صاح أَهلُهُ ... علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[فضلت عزّة الأحوص في الشعر على كُثَيِّر ، فنقدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عَوانة وعيسى بن يزيد : أنّ كُثَيِّراً دخل على عَزّة ذات يومٍ ، فقالت له : ما ينبغي لنا أن نأذَنَ لك في الجلوس . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّي رأيتُ الأحوصَ أَلْيَنَ جانباً [في شِعْرِهِ] منك في شِعْرِك وأَضْرَعَ خَدّاً للنساء ، وإنّه لأشعرُ منك حين يقول : [من البسيط]

يا أيُّها اللائِمِي فيها لأَصْرِمَها ... أكثرتَ لو كان يُغْني منك إكْثارُ

ارْجِعْ فلستَ مُطاعاً إذ وَشَيْتَ بها ... لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

وإنّي اسْتَرَقَتْ قوله : [من الطويل]

وما كُنت زَوَّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

وأعجبني قوله : [من البسيط]

كَمْ من دَنِيٍّ لها قد صِرْتُ أَتْبَعُه ... ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعا[1]

وزادني كَلَفاً بالحُبِّ أَنْ مَنعتْ ... أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا[2]

وقوله أيضاً : [من الطويل]

وما العَيْشُ إلاّ ما تَلَذّ وتَشْتَهي ... وإنْ لام فيه ذو الشُّنانِ وفَنَّدا[3]

فقال كثيِّر : قد والله أجاد ؛ فما الذي استَجْفَيْتِ من قولي ؟ قالت : أخزاك الله ! أما استحييتَ حين تقول : [من الطويل]

يُحاذِرْنَ منّي غَيْرةً قد عَرَفْنها ... لَدَيَّ فما يَضْحَكْنَ إلاّ تَبَسُّما

فقال كُثَيِّر : [من الطويل]

1 صحا في ل : سلا .

2 مثل .

3 الشنان : البغض من الشنآن .

وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أَنَّكِ بَكْـرةٌ   هِجانٌ وأَنِّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ
كِلانا بـه عَـرٌّ فمَـنْ يَرَنا يَقُلْ   على حُسْنِها جَرْباء تُعْدِي وأَجْرَبُ
نكـون لِـذي مـالٍ كثيرٍ مُغَفَّلٍ   فلا هُـوَ يرعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

[أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانها]

فقالت لي : وَيحَكَ ! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويل ، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأَطْيَبُ : [من المنسرح]

صوت

قـد كنتَ في مَنْظرٍ ومُسْتَمَعٍ   عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غير ذي فَرَسِ
لا تِـرَةٌ عندهـم فَتَطْلُبَهـا   ولا هـمُ نُهْـزَةٌ لِمُخْتَلِسِ
بكَـفٌّ حَـرّانَ ثائـرٍ بـدَمٍ   طَلاَّب وِتْرٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تَقارَشْ بـك الرِّماحُ فـلا   أبكيـك إلاّ للدّلْـوِ والمَرَسِ
تَذُبُّ عنـه كَـفٌّ بهـا رَمَقٌ   طيراً عُكُوفـاً كَزُوَّرِ العُرُسِ
عمّـا قليـلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَتَه   فهُـنَّ مـن والغٍ ومُنتهِسِ

الشعر لأبي زُبَيْد الطائيّ . والغِناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأُوَل خفيفَي ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمَعْبَد وابن مُحْرِز ، ووافقه الهِشاميّ في لحن مَعْبَدٍ في الأوّل والثاني وذكر أنّه بالوسطى . وفي كتاب ابن مِسْجَحٍ عن حَمّاد له ؛ فيه لحنٌ يقال إنّه لابن مُحْرِز . ولابن سُرَيْج في الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمعبد ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضاً ، وأوّله : [من المنسرح]

تَذُبُّ عنه كَـفٌّ بها رمقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر . وفيه لابن عائشة رَمَلٌ . وفيه لِحُنَينٍ ثاني ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس ، وطرائقُها عن الهشاميّ . ولِمُخارق في الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ . ولِمُتَيَّم في الأوّل والثاني خفيف رملٍ آخر . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم في الأوّل والثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن مسْجَحٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

[210] ـ أخبار أبي زبيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيَكَرِبَ بن حَنظَلة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنَةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هَنيء بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّيء بن أُدَدٍ بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَريب بن زيد بن كَهْلان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أبو زُبَيْدٍ نَصرانياً وعلى دينه مات . وهو ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام فَعُدّ في المخضرمين . وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلُوليّ وذووه[1] . وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه]

أخبرني أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدَّثني محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : كان أبو زُبَيْدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصّة ملوك العجم ، وكان عالِماً بِسِيَرهم . وكان عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه يُقَرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه ، وكان نصرانيّاً . [فحضَر ذاتَ يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فتذاكروا مآثِرَ العربِ وأشعارَها .

[استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفتَ عثمان إلى أبي زُبَيد وقال : يا أَخا تُبَّعِ المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك ؛ فقد أُنبئتُ أنّك تُجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مُبْلِغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا ... أنّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

ووصَفَ [فيها] الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكرُ الأسدَ ما حَيِيتَ . واللهِ إنّي لأحْسبُك جَباناً هِداناً[2] . قال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ولكنّي رأيتُ منه مَنظَراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يرح ذِكْرُه يتجدَّد ويتردّد في قلبي ، ومعذورٌ أنا يا أمير

1 هم العجير بن عبد الله السلوليّ ، وعبد الله بن همام السلوليّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صُيَّابة[1] أشرافٍ من أفناء[2] قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المَهارِي بأكسائها[3] ، ونحنُ نريد الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ملك الشام ؛ فاخْرَوَّطَ[4] بنا السيرُ في حَمارَّة القَيْظ ، حتى إذا عَصَبتِ[5] الأفواه ، وذَبَلتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه[6] ، وأذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ[7] ، وذابَ الصَّيْهَد[8] ، وصَرَّ الجُنْدَبُ ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره في حُجْره ، قال قائل : أيُّها الرَّكْبُ غَوِّروا بنا في ضَوْج[9] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بَدا لما كثرُ الدَّغَل ، دائمُ الغَلَل[10] ؛ شَجْراؤه مُغِنَّةٌ ، وأطيارُه مُرِنَّة[11] . فحَطَطْنا رِحالنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[12] ، فأصَبْنا من فَضَلات الزّاد وأتبَعْناها الماءَ البارد . فإنّا لَنصِفُ حَرَّ يومِنا ومُماطَلَتَه[13] ، إذ صَرَّ أُقصى الخيلِ أُذُنَيْه[14] ، وفَحَص الأرضَ بيديه . فوالله ما لَبِثَ أنْ جال ، ثم جَمْحَمَ فَبال ، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعتِ الخيلُ ، وتَكَعْكَعتِ[15] الإبل ، وتقهقرتِ البِغال ، فمِن نافرٍ بشِكاله[16] ، وناهضٍ بعِقاله ؛ فَعَلِمنا أنْ قد أُتينا وأنّه السَّبُعُ ؛ ففَزِع كلُّ رجلٍ منّا إلى سيفه فاستلَّه من جُرُبّانه[17] ، ثم وقفنا [له] رَزْدَقاً (أي صَفّاً) . وأقبل أبو الحارث من أُجمته يَتَظالَعُ في مِشيته من نَعْته[18]

---

1 صُيّاب القوم : خيرتهم وسادتهم .
2 من أفناء العرب : أي لا يدري من أي القبائل هم .
3 أكساء : جمع كُسي وهو مؤخر العجز .
4 اخروّط : طال .
5 عصبت الأفواه : جفت .
6 شالت المياه : قلّت .
7 المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .
8 الصيهد : السراب الجاري وشدّة الحرّ .
9 الضّوج : منعطف الوادي .
10 الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .
11 مُرِنّة : أي مغرّدة .
12 كَنَهْبَل : شجر عظام .
13 المماطلة : الطول والامتداد .
14 صرّ أُذنيه : سوّاهما ونصبهما للاستماع .
15 تكعكعت : تأخرت إلى وراء .
16 الشِّكال : الحبل الذي تشدّ به قوائم الدابة .
17 جُرُبّانة السيف : غمده .
18 ل : بغيه .

كأنّه مجنوبٌ[1] ، أو في هِجارٍ[2] [معصوب] ؛ لِصَدْرِه نَحِيطٌ[3] ، ولِبَلاعِمه غَطِيطٌ ؛ ولِطَرْفِه وَمِيضٌ ، ولأرساغِه نَقِيضٌ[4] ؛ كأنّما يَخْبِط هَشِيماً ، أو يَطأُ صَرِيماً[5] وإذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخدٌّ كالمِسَنّ[6] ، وعَينانِ سَجْراوانِ[7] ، كأنّهما سَراجان يَقِدان ، وقَصَرةٌ رَبِلَة[8] ، ولِهْزِمةٌ رَهِلة[9] ؛ وكَتَدٌ مُغْبَطٌ[10] ، وزَوْرٌ مُفْرط[11] ؛ وساعدٌ مجدول ، وعَضُدٌ مفتول ؛ وكفٌّ شَثْنَة البَراثن[12] ، إلى مَخالِبَ كالمَحاجِن[13] . فضرب بيده فأَرْهَجَ[14] ، وكشَّر فأفْرَجَ ، عن أنيابٍ كالمَعاوِلِ مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفَمٍ أشْدَقَ ، كالغار الأجوف ؛ ثم تمطّى فأسرع بيديه ، وحفز[15] وَرِكَيه برجليه ، حتى صار ظِلُّه مِثْلَيْهِ ؛ ثم أقْعى فاقشعرّ ، ثم مَثَل[16] فاكْفَهَرَّ ، ثم تَجَهَّم فازبَأَرَّ[17] . فلا وذُو بَيْتُه في السماء ما اتَّقيناه إلاّ بأوّل أخٍ لنا من فَزارة ، كان ضَخْمَ الجُزارةِ[18] ، فوقَصَه ثم نفضه نَفْضةً فَقَضْقَضَ متنيه[19] ، فجعل يَلَغُ في دمه . فَذَمَرْتُ أُصحابِي[20] ، فَبَعْدَ لأي ما اسْتَقْدَمُوا . فَهَجْهَجْنا به[21] ، فكَرَّ مُقْشَعرًّا بزِبْرَتِه[22] ،

---

1 المجنوب : المصاب بذات الجنب .

2 الهِجار : حبل يُشدّ في رسغ رجل البعير ثم يشدّه إلى حقوه .

3 نحيط : زفير .

4 النقيض الأرساغ : صوتها .

5 الصريم : الحبّ المقطوع من الزرع .

6 المِسَنّ : الحجر الذي يُسنّ به أو يُسَنّ عليه .

7 عين سجراء أي بيّنة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .

8 القصرة : أصل العنق إذا غلظت ، والربلة : كل لحمة غليظة .

9 اللهزمة : عظم ناتىء أو مضغة عليّة تحت الأذن ، ورهلة : منتفخة .

10 الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغبط : مرتفع .

11 الزور : الصدر .

12 شثن البراثن : خشنها ، والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السّباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .

13 المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .

14 أرهج : أثار الغبار .

15 حفز : دفع .

16 مثل : قام منتصباً .

17 ازبأرّ : تنفّش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

18 ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين يريد أنه عظيم الجسم .

19 وقصه : دق عنقه . قضقض متنيه : كسر متني الظهر .

20 ذمر أصحابه : لامهم وحضّهم وحثّهم .

21 هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكفّ .

22 الزّبرة : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد .

كأنّ به شَيْهَماً حَوْلِياً ،[1] ، فاختلجَ رجلاً أَعْجَرَ ذا حَوايا[2] ، فنَفَضَه نفضةً تزايلَتْ [منها] مفاصله ، ثم نَهَمَ ففَرْفَرَ[3] ، ثم زفر فبرْبَـرَ[4] ، ثم زأرَ فجَرْجَرَ[5] ، ثم لَحَظَ[6] ، فوالله لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرُ من تحت جُفونه ، من عن شِماله ويمينه . فأُرْعِشَتِ الأَيدي ، واصْطَكَّتِ الأَرجُل ، وأطَّتِ الأَضلاعُ[7] ، وارْتَجَّتِ الأَسماعُ ، وشَخَصتِ العيونُ ، وتَحَقَّقتِ الظُّنونُ ، وانْخزلتِ المُتون . فقال له عثمان : اسْكُتْ قَطَع الله لِسانَك ! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين .

[خوفه من الأسد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدَّثني العُمَريّ قال حدَّثني شُعْبَةُ قال : قلتُ للطِّرمّاح بن حكيم : ما شأنُ أبي زُبَيْدٍ وشأنُ الأَسَدِ ؟ فقال : إنّه لَقِيه بالنَّجَفِ ، فلمّا رآه سَلَح من فَرَقه ، وقال مرّة أُخرى : فسَلَّحَه ، فكان بعد ذلك يَصفه كما رأيت .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زبيد في ضربة المكاء]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني أبي عمّن يَثِق به أنّ رجلاً من طيِّءٍ من بني حيّةَ نزل به رجُلٌ من بني الحارث بن ذُهْل بن شَيبان يقال له المُكّاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر ، فلمّا سكِرَ الطائيّ قال : هلُمَّ أُفاخرك : أَبنو حيَّةَ أكرمُ أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيبانيّ : حديثٌ [حسن] ، ومُنادَمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائيّ : والله ما مَدّ رجلٌ قطُّ يداً أطولَ من يَدي . فقال الشيبانيّ : والله لئن أعدتَها لأَخْضِبَنَّها من كُوعِها . فرفع الطائيّ يده ، [فضربها الشيبانيّ بسيفه فقطعها] . فقال أبو زبيدٍ في ذلك : [من الخفيف]

خبَّرَتْنا الرُّكبانُ أن قد فَخَرْتُمْ ... وفَرِحْتُمْ بضَرْبَةِ المُكَّاء

ولَعَمْري لَعارُها كان أدنى ... لَكُمُ من تُقًى وحَقٍّ وفاء

ظَلَّ ضيفاً أخوكُم لأَخينا ... في صَبُوحٍ ونَعْمةٍ وشِواء

1 الشيهم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .
2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممتلىء جدّاً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .
3 نهم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .
4 بربر : صاح .
5 جرجر : ردّد صوته في حنجرته .
6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .
7 أطّت الأضلاع : صوّتت .

ثم لمّـــا رآه لانتْ به الخمـ ـــر وأن لا يريبـــهُ باتّقاء
لم يَهَبْ حُرْمَةَ النَّديم وحُقَّت يـــا لقـــومٍ للسَّوْءة السَّوْءاء

[ما قاله في كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يقال له أَكْدَر ، وكان له سلاحٌ يُلْبسُه أيّاه ، فكان لا يَقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبِسَه سلاحَه ، فلقيَه الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفْلَت منه ، فقال عند ذلك أبو زبيد : [من البسيط]

أحــالَ أَكْــدرُ مُخْتــالاً كعادته حتى إذا كان بين البئر والعَطَنِ[1]
لاقى لدى ثُلَـلِ الأَطْـواء داهيةً أسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل في قَرَنِ[2]
حطَّت بـــه شيمةٌ وَرْهاءُ تطردُهُ حتى تَناهى إلى الحُولات في السَّنَنِ[3]
إلى مُقابَـــلِ خَطْـوِ السَّاعدَيْن له فوق السَّراة كذِفْرى الفالج القَمِنِ[4]
رئبالِ غابٍ فـلا قَحْمٌ ولا ضَرَعٌ كالبغلِ يحتطم العِلجين في شطَنِ

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومُه على كَثرة وصفِهِ للأسد ، وقالوا له : قد خِفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِي أكدر لما لُمْتُموني . ثم أمسك عن وصفِهِ فلم يصِفْه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النُّعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريّ قال حدَّثني هارون بن مُسْلم بن سَعدان أبو القاسم قال حدَّثنا هشامٌ ابن الكلبيّ قال : كان الأجلحُ الكِنْدِيُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال : لقيتُ أبا زُبَيْد الطائيّ فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيتُه وجالستُه . قال قلت : فصِفْه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبْرَش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيَسرُّك أنّه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُوَدها ؛ فقد رأيتُ ملوكَ حِمير في مُلْكها ، ورأيت ملوك غَسّان في ملكها ، فما

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .
2 ثلة البئر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطويّ . القرن : حبل يجمع به البعيران .
3 الحُولات : جمع حُولة وهي الداهية .
4 الفالج : البعير ذو السّنامين . والقمن : السريع .

رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عزاً منه . وكان ظهْرُ الكوفة يُنْبت الشقائق ، فَحَمى ذلك المكانَ ، فنُسِب إليه فقيل «شقائقُ النُّعمان» .

فجلس ذات يوم هناك وجَلَسْنا بين يديه كأنّ على رؤوسنا الطّير ، وكأنّه باز . فقام رجل من الناس فقال له : أبَيْتَ اللعن ؛ أعْطني فإنّي محتاج . فتأمّله طويلاً ثم أَمَر به فأُدْني حتى قَعَد بين يديه ، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مَشاقِص[1] فجعل يَجَأُ[2] بها في وَجْهه حتى سَمِعْنا قَرْعَ العِظام ، وخُضبت لحيتُه وصدره بالدم ، ثم أَمر به فنُحّي . ومكثنا مليّاً .

ثم نهض آخرُ فقال له : أبَيْت اللّعنَ ؛ أعْطِني . فتأمّله ساعةً ثم قال : أَعْطُوه ألفَ درهم ، فأخذها وانطلَقَ .

ثم التفَتَ عن يمينه ويساره وخَلْفِه ، فقال : ما قولُكم في رجلٍ أزْرق أحْمَر يُذْبح على هذه الأَكَمَة ، أترون دمَه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي ؟ فقُلنا له : أنتَ ، أبيتَ اللعن ، أعْلى برأيك عَيْنا . فدعا برجل على هذه الصِّفة فأَمَر به فذُبح .

ثم قال : أَلا تسألوني عمّا صنعتُ ؟ فقلنا : ومن يسألُكَ ، أبيتَ اللعن ، عن أمْركَ وما تصنع ؟ فقال : أَما الأوّل فإنّي خرجتُ مع أبي نَتَصيَّد ، فمررت به وهو بفناءِ بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتناولتَه لأشربَ منه ، فثار إليّ فهراقَ الإناء فملا وجهي وصدري ، فأعطيتُ الله عَهْداً لئن أمكنني منه لأخْضَبنَّ لحيتَه وصدرَه من دم وجهه .

وأمّا الآخر فكانت له عندي يَدٌ كافأته بها ، ولَم أكُنْ أثْبته ، فتأمّلته حتى عرفته .

وأمّا الذي ذبحتُه فإنّ عينا لي بالشام كتب إليّ : إنّ جَبَلة بن الأَيْهَم قد بعث إليك برجُل صِفَتُه كذا وكذا ليغتالَك . فطلبته أيّاماً فلم أقْدِرْ عليه ، حتى كان اليوم .

[مات نديم له في غيبته فرثاه وصبّ الخمر على قبره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان لأبي زُبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غَيْبةً ، ثم رجع فأُخبر بوفاته ، فعَدَل إلى قَبره قبل دخوله منزلَه ، فوقَفَ عليه ثم قال : [من المنسرح]

يا هاجِري إذ جئتُ زائرَهُ ... ما كان منْ عاداتكَ الهَجْرُ
يا صاحبَ القبْر السّلام على ... مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ

1 المِشقص : نصل عريض أو سهم .
2 الوجء : الضرب .

ثم انصرَف . وكان بعد ذلك يجيءُ إلى قبره فيشرَب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .

والأبيات التي فيها الغناءُ المذكور يقولُها في غلامٍ له قَتَلَتْه تغلِبُ ، وكان مُجاوراً فيهم ، فدَلَّ بَهْراءَ على عَوْرتهم وقاتلهم معهم فقُتِل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أخبرني بخَبَره أبو خليفة قال حدَّثني محمد بن سلاّم . وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان أخوالُ أبي زبيد بني تَغْلب ، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيّامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بهراءُ بني تَغْلِب ، فمرّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبي زبيد وقال : انطلقوا أدُلَّكم على عَوْرة القَوْم وأُقاتل معَكم . ففعلوا ، والتقَوْا ، فهُزِمت بهراءُ وقُتِل الغلامُ ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي : [من المنسرح]

هــل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَع ... عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذي فَرَسِ

تَسْعى إلى فِتيــةِ الأَراقِمِ واسـ ... ـتعجلْتَ قَبْل الجمان والقبسِ[1]

في عارضٍ مــن جبال بها الأ ... لُّ مَرَين الحــروب عن دُرَسِ[2]

فَنُهْزَةً مَــنْ لَقُــوا حَسِبْتُهم ... أحْلى وأشْهى من بارِدِ الدِّبِسِ

لا تِــرة عندهــم فتطلبَهــا ... ولا هُــمُ نُهْــزَة لمُخْتَلِسِ

جُـــودٌ كرام إذا هُــم نُدِبُوا ... غَيْرُ لئــامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ[3]

صُمْتٌ عظام الحلُوم إن قعدوا ... عن غير عِــيٍّ بِهم ولا خَرَسِ

تقُــوتُ أفراسَهُــم نساؤُهُــمُ ... يُزْجُون أَجمالَهــمْ مع الغَلسِ

صادفْتَ لمّــا خرجتَ مُنْطَلِقاً ... جَهْــمَ المُحَيّــا كباسلٍ شِرِسِ

تَخــالُ في كفِّــه مثقّفــةً ... تلمَــع فيهــا كَشُعْلة القَبَسِ

بكــفِّ حــرّانَ ثائــرٍ بــدمٍ ... طَلاّبِ وِترٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ

إمّا تَقارَنْ بــك الرِّمــاح فلا ... أبكيــك إلاّ للدَّلو والمَرَسِ

حَمِدتَ أَمْري ولمت أَمرَك إذ ... أمسك جَلْزُ السِّنانِ بالنَّفَسِ[4]

---

1 الجمان والقبس : ناقتان .

2 مرين الحروب : جلبنها . دُرَس : جمع دُرسة وهي الرياضة .

3 كُسس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السّفلى على الحنك الأسفل .

4 جلز السّنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقـــد تصلّيتَ حَـــرَّ نارهـــمُ ... كما تَصَلّى المقرور من قَرَسِ[1]
تَـــذُبُّ عنه كـــفٌّ بهـــا رمق ... طيراً عكوفـــاً كَزُوَّرِ العُرُسِ[2]
عمّـــا قليـــلٍ علـــون جُثّتـــه ... فهـــنَّ مـــن والـــغ ومُنْتَهِسِ

[أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعراً]

فلمّا فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلِب بدِية غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك : [من الوافر]

أَلا أبلغ بني عمرٍو رسولاً ... فإنّـــي في مودّتكم نَفِيسُ

هكذا ذكر ابن سلاّم في خبره ، والقصيدة لا تَدُلُّ على أنّها قِيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه وردَّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب : [من الوافر]

أَلا أبلِغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها : [من الوافر]

فما أَنا بالضعيفِ فتظلِموني ... ولا جافي اللقاء ولا خسِيسُ
أَفي حقٍّ مواساتـــي أَخـــاكم ... بمـــالي ثم يظلِمني السرِيسُ

السريس : الضعيف الذي لا ولد له ـ وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعلّ ابن سلام وهِم .

[هو أحد المعمرين]

وأبو زبيد أَحدُ المُعَمَّرين ، ذكر ابن الكلبيّ أنّه عمر مائةَ وخمسين سنة .

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبرا .

[كان يدخل مكة متنكراً لجماله]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عبد العزيز وأَحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدَّثنا محمد بن عبد الله العبدِيُّ أَبو بَكْرة قال حدَّثني أَبو مِسعرٍ الجُشَمِيّ عن ابن الكلبيّ قال : كان أَبو زبيد الطائيّ مِمَّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّراً لجماله .

[منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأَخبرني إبراهيم بن محمد بن أَيّوب قال حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لمّا صار الوليدُ بن عقبة إلى الرَّقَّةِ واعتزل عليّاً عليه السلام ومعاوية ، صار أَبو زبيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .
2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَل في كلّ أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى . فبينا هو يوم أحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال : [من الطويل]

إذا جَعَل المرءُ الذي كان حازماً ... يُحَـلُّ بـه حَلَّ الحُوارِ ويحملُ

فليس له في العيش خيرٌ يريده ... وتكفينُهُ مَيْتـاً أعـفُّ وأجملُ

[دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه]

ومات فدُفِن هناك على البَلِيخ[1] . فلمّا حضرت الوليدَ بن عقبة الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبي زبيد . وقد قيل : إنّ أبا زبيد مات بعد الوليد ؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .

[قال ابن الكلبيّ في خبره الذي ذكره إسحاق عنه : هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبِّله[2] حلبَ الجُمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له . فلمّا كان يوم حابس ، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زُبيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرّ أبو زبيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة] .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن عليّ الأبوابيُّ المدائنيّ قالا حدَّثنا عقبة المِطرفيُّ قال : كنّا في الحمام ومعي ابـن السَّعْدِيّ وأنـا أقرأ القرآن ، فدخل سعد الرُّواسيّ فغنّى : [من المنسرح]

قـد كنـت في منظرٍ ومستَمع ... عن نصر بهراء غيرَ ذي فرسِ

فقال ابن السعديّ : اسكت اسكت ؛ فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

[أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير]

[أخبرني عمّي والحسن بن عليّ قالا حدَّثني العمريّ قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجمّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطّاب النحويّ : أنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتُضِر لأبي زُبيد بما يُصلِحه في فِصحِهِ وأعياده ، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك . فقال أهله وبنوه لأبي زُبيد : قد علمتَ أنّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنّما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقّك ، فقدِّره لنفسك ما شئت أن تعيش ، وقَوِّمْ ما أُوْصي به لك حتى نعطيك قيمتَه ولا تفضحْنا وتفضح آباءَنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أبو زبيد ذلك ، وقبله منهم] .

1 نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قبّلت العامل العمل ، أي جعلته في كفالته .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تعرفَ الدار من عامين أو عام دارٌ لِهندٍ بجِزع الحُـرج فالدامِ[1]
تحنــو لأطلائِهــا عِـينٌ مُلَمَّعَةٌ سُفْعُ الحدود بعيدات من الرامي[2]

الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوِي . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الذام» هو الذي يذم .

[الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعريّ حين توليته العراق]

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريَّ لما ولّاه عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه العراق . والغناء لمالك ، خفيفُ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً .

1 الحرج والدام : موضعان .

2 الملمّعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 ـ [أخبار متفرقة عن الحطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أنّ العِدّةَ قد تمّت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تعرِف الدار من عامينِ أو عامِ ... دار لهند بجِزعِ الحرجِ فالدامِ

وفيها يقول :

وجحفلٍ كسوادِ الليلِ منتَجعٍ ... أرضَ العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ... ومن تميم ومن حاء ومن حامِ

حاء من مذحج ، وحام من خثعم :

وما رَضِيتَ لهم حتّى رَفَدتهم ... من وائل رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ[1]

فيه الرماح وفيه كلّ سابغة ... جدلاءَ مُحْكَمةٍ من نسجِ سلاّمِ

يعني سليمان النبيّ :

وكلُّ أجردَ كالسِّرحان أضمره ... مسحُ الأكُفّ وسقي بعد إطعامِ

مستحقباتٍ رواياها جحافِلُها ... يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ[2]

الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب[3] الخيل إليها فتضع حجافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجُرُ الطَّيْرَ إن مرّت به سُنُحاً ... ولا يُفِيض على قِدْحٍ بأزلامِ

وقال المدائنيّ : لمّا مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب مَن أراد وكملت العدّةُ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فكتب يلومُه ، فكتب إليه : إنّي اشتريت منه عِرضي ، فكتب إليه : أحسنتَ . قال : وزاد فيه حمّاد الراوية أنّه ، يعني نفسه ، أنشدها بلالَ بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدِم حمّاد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها فقال له : ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد ، فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الحطيئة

---

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقبات : من استحقب الشيء : شدّه في مؤخّر الرحل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أَبا موسى وأنا أروي شعره كلّه ولا أعلم بهذه ؟ أَذِعْها تذهبْ في النّاسِ .

وكانت ولاية أَبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أَهلُها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألاّ يُوَلُّوا عليها إلاّ مَن يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص]

أَخبرني بالسبب في ذلك أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عمر بن شبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ عن أَبي مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال : كان قوم من وجوه أَهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهلَ والجبل ، فقال حسانُ بنُ محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُرّاً وشعيراً ، فيه أنهارٌ مطَّردة ، ونخل باسِقات ، وقلَّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلاّ والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد الرحمن بن حُبَيش : صدقتم ، ودِدت أنّه للأَمير وأنّ لكم أفضلَ منه . فقال الأشتر : تمنَّ للأَمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأَموالنا ، فقال : ما ضَرَّكَ ذلك . والله لو يشاء أَن يكون له لكان . قال : كذبت والله لو أَراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السوادُ إلاّ بستانٌ لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائنيّ فحدَّثني عليُّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبيّ [ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ] قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزُبْداً إذ قال سعيد : السواد بستان قريش ، فما شِئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدَق الأَمير . فوثب عليه القرّاء فضربوه ، وقالوا له : يا عدوّ الله ، يقول الباطِلِ وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلمّا أَصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحِلَق فقالوا : إنّ أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئُنا ومركزُ رماحنا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إنّ قِبَلي قوماً يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفّوا بي . منهم عمرو بن زرارة ، وكُمَيْل بنُ [زياد ، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أَوفى ، ويزيد بن] المكفَّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أَن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازِيَهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإنّي أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتّق الله جَلَّ وعزَّ وأَحسِن السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنّكم قدِمتم بلداً لا يعرف أَهله إلاّ الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدْخِلوا الشكَّ قلوبَهم . فقال له الأَشتر : إنّ الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتّقوا الله ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾ . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيدُ بن صُوحان : إنّ الذين أشخصونا إليك لم يَعجزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسِنُوا جوارنا ، وإن كنّا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إنّي لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتبَ إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلمّا أراد زيد الشخوص كلّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص ، فكانوا بها ، حتى أجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائنيّ حدَّثني الوقاصيّ عن الزهريّ : أنّ أهل الكوفة لمّا قدِموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل ، فلم يحقّقوا عليه شيئاً إلاّ قولَه : «السوادُ بستانُ قريش» ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلاّ كلمةً واحدة ، لم يَنْتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلاّ أن تُثبتوا عليه ما لا يحلُّ لأحد تركُه معه . فانصرِفوا إلى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدّمهم عليٌّ بن الهيثم السدوسيُّ حتى دخل رحبَةَ المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنّا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنّه سيصرفه عنّا ، فردّه إلينا وهو يزعم أنّ السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

[الأشتر يخطب محرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المِنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : مَن كان يرى أنّ للهِ جلّ وعزّ حقّاً فلْيصْبح بالجَرَعة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد : انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطِيم ، فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريّ .

[عثمان يخضع لقوّة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا عفّان قال حدَّثنا أبو مِحْصَنٍ قال حدَّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال حدَّثني جُهَيْمٌ قال : أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنّك استعملت أقاربَك . قال : فليقم أهلُ كلّ مصر فليُسْلِمُوا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنّا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعريّ . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيدٍ : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أنّ عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقّاص : [من الطويل]

فليتَ أبا إسحاق كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أوّلَ هالكِ[1]

يُحَطِّطُ أشراف النساء ويتّقي ... بأبنائهنّ مُرْهَفاتِ النَّيازِكِ[2]

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ومحمدُ بن جرير الطبريّ قالا حدّثنا يحيى بن معين قال حدّثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال : بعثني سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إنّي لم أبعث إلى أحد بأكثر ممّا بعثت به إليك إلاّ شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقال : لشدّ ما تَحْظُر بنو أُمَيّة تراث محمد ﷺ . أمّا والله لَئِنْ وليتُها لأنْفُضَنَّها نفضَ القصّاب لتراب الوذَمةِ .

قال أبو جعفر : هذا غلط إنّما هو لِوِذامِ التَّرِبة[3] .

قال أبو زيد وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ عن السعديّ عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بني أُمَيّة يبعث إلينا ممّا أفاءَ اللهُ على رسوله بمثل قوتِ الأرملة ، واللهِ لئن بقيتُ لأنْفُضَنَّها نفضَ القصّابِ لوِذام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أنساه لي ... أوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلي

أقْطعُ الدّهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ... وأُجلّي غَمْرةً ما تَنجلي

كلّما أمّلتُ يوماً صالحاً ... عَرَضَ المَكْروهُ لي في أمَلي

وأرى الأيّامَ لا تُدْنِي الذي ... أرْتَجي منكِ وتُدْني أجَلي

عروضه من الرّمل ؛ الشِّعرُ لمحمد بن أُمَيّة ، والغناء لأبي حَشيشة ، رملٌ طُنْبوريّ وفيه لَحْن لحسين بن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبي عبد الله الهشاميّ .

---

1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

3 الوذام : جمع وذمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] ـ أخبار محمد بن أُميّة وأخبار أَخيه عليّ بن أُميّة وما يغنَّى فيه من شعرهما

[نسبه]

سألتُ أَحمدَ بن جعفرٍ جَحْظة عن نسبه قُلتُ له : إنّ النّاسَ يقولون ابنُ أُمَيّة وابنُ أبي أُميّة ؛ فقال : هُوَ محمد بن أُميّة بن أَبي أُميّة .

[ومنادمته إبراهيم بن المهديّ]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيم بن المَهْدِيّ ، وربّما عاشَر عليَّ بنَ هِشام ، إلاّ أنّ انقِطاعَه كان إلى إبراهيم ، وربّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطّ والبَيان . وكان أُمَيّة بنُ أَبي أُميّة يكتُبُ للمَهْدِيّ على بَيْتِ المال . وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بِحَضْرته ، وكان يأْنس به لأَدَبِهِ وفَضْلِهِ ، ومكانِه من وَلائِهِ ، فزامَلَه أَربَعَ دَفَعاتٍ حَجّها في ابتدائِهِ ورُجُوعِهِ .

قال جَحظَةُ : وحدَّثني بذلك أَبو حَشيشَة .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهديّ]

وحدَّثني جحظة أيضاً قال حدَّثني أَبو حشيشة عن محمد بن عليّ بن أُمَيّة قال حدَّثني عمِّي محمد بن أُمَيّة قال : كنتُ جالساً بين يديْ إبراهيم بن المهديّ ، فدخل إليه أَبو العتاهية وقد تَنسَّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلاّ في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به ، وأَقبل عليه بوجهه وحديثِهِ ؛ فقال له أَبو العتاهية : أيُّها الأَمير بلغَني خبرُ فتًى في ناحيتك ومن موالِيك يُعْرَف بابن أُمَيّة يقول الشعرَ ، وأُنْشِدْتُ له شعراً أَعجبني ، فما فَعَل ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعلّه أَقربُ الحاضرين مجلساً منك . فالتفت إليّ فقال لي : أنت هو فَدَيْتُك ؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له : أَنا محمد بنُ أُمَيّة جُعلت فداءك ؛ وأَمّا الشعر فإنّما أَنا شابٌّ أَعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمانُ الشعر وإبّانه ، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه ، وما قَصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىء إليه أبلغُ وأَملحُ . وما زال ينشّطني ويؤنسني حتى رأى أنّي قد أنِست به ، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ : إنْ رأى الأَمير ، أكرمه الله ، أَن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر . فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أَنشِده . فأَنشدته :

1 تشوّرت : استحييت .

رُبَّ وعـد منكِ لا أَنساهُ لي أوجـبَ الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأَبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعُه على لحيته وجعل يُرَدّد البيت الأخير منها وينتحِب، ، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج إلى الباب .

[هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أُميّة قـال : كان عمّي محمد بن أُميّة يهوى جاريةً مغنَّية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خالِ المعتصم ، فكان يدعوهـا ، ويعاشره إخوانـه إذا دعـوه بها اتّباعاً لمسرّته . وأَراد المعتصم الخروجَ والتأهُّب للغزو ؛ وأَمر الناس جميعاً بالخروج والتأهّب ، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم ، فلمّا أُضحى النّهار جاءَ من المطرِ أَمرٌ عظيمٌ لم يقدِرْ معه [أحد] أن يُطلِعَ رأسَه من داره ، فكاد محمد أن يموت غمّاً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركِب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر] ولم يقدِر على لقائه : [من الوافر]

تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ من الإلفين إذ جرتِ السيولُ
على أنّي رِكبتُ إليكَ شوقاً ووجـهُ الأرض أودِيـةٌ تجولُ
وكان الشوقُ يَقْدُمُني دليلاً وللمشتـاق معتزِمـاً دليـلُ
فلـم أَجِـد السبيلَ إلى حبيبٍ أُودِّعـه وقـد أَفِـدَ الرحيلُ
وأرسلْتُ الرسولَ فغاب عنّي فيـا للهِ مـا فعـل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً : [من الرمل]

مجلس يُشْفى بـه الوطرُ عـاق عنـه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لي منهما فهُما رحمـةٌ عمّـت ولي ضررُ
مـا على مـولاي مَعْتبـةٌ عـذره بـادٍ ومستتِرُ
شُغِلـتْ عينـي بعبرتهـا واستمالـت قلبيَ الفِكـرُ

قال : ثم بِيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان ، فحجِبت عنه وانقطع ما بينهما إلاّ مكاتبةً ومُراسلةً .

قال محمد بن عليّ فأنشدني يوماً عمّي محمد لنفسه فيها : [من الخفيف]

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ هِجْنَ شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبتْ أن تُرى فلستُ أَراها وأرى أَهلَهـا بكـلّ سبيلِ

وإذا جاءها الرسولُ رآها ... ليْتَ عيني مكان عينِ الرسولِ
قد أتاكِ الرسول يَنْعتُ ما بي ... فاسمعي منه ما يقول وقولي

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

بناحية المَيْدان دربٌ لو آنني ... أُسمِّيهِ لم أرشُد وإن كان مُفْسدي
أخافُ على سكّانه قولَ حاسدٍ ... يشير إليهم بالجفون وباليدِ
وصائفُ أبكارٌ وعُونٌ نواطِقٌ ... بألسنةٍ تشفي جَوى الهائم الصَّدي
يُقارِبْن أهلَ الوُدّ بالقول في الهوى ... وما النجمُ من معروفهنّ بأبعدِ
يزِدن أخا الدنيا مُجُوناً وفِتنة ... ويَشغَفن قلب الناسك المتعبِّدِ
وليلة وافى النوم طيف سَرى به ... إليَّ الهوى منهنّ بعد تجرُّدِ
فقاسَمْتُه الأشْجان نِصْفين بيننا ... وأَوْرَدْتُهُ من لوعةِ الحبّ مَوْرِدي
ونِلْتُ الذي أمَّلتُ بعد تَمَنُّع ... وعاهدتُه عهدَ امرىء متوكِّدِ
فلمّا افترقنا خاس بالعهد بيننا ... وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ[1]
فوا ندماً ألا أكونَ ارتهنتُه ... لأخْبُرَهُ في حفظِ عهدٍ وموعدِ

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال قال لي محمدُ بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغنّي : [من الطويل]

أحبُّكِ حُبّاً لو يُفَضُّ يَسيرُهُ ... على الخَلْقِ ماتَ الخلقُ من شِدَّةِ الحُبِّ[2]
وأعْلَمُ أنّي بعدَ ذاكَ مقصِّرٌ ... لأنَّكِ في أعْلى المَراتِبِ مِنْ قَلْبي

فطَرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهنأ ؟ قال : فتى من الكتّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهديّ . فقال : تَعْني محمدَ بنَ أُميَّة ؟ قال : نعم . قال : أحسَنَ واللهِ ، وما يزال يأتي بالشّيء المليح يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ قال حدَّثني أحمد بن أُمَيّة بن أبي أميّة قال : لَقِي أخي محمّدُ بن أُميّة مُسْلمَ بن الوليد وهُو يَمْشي وطويلته[3] مع بعض رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .
2 يفض : يفرق .
3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيءٌ ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : على أنّه مِزاح لا يُغْضَبُ منه ، قال : هاتِه ولو أنّه شتم . فقال : [من الرمل]

مَنْ رأى فيما خَلا رجُلاً تِيهُـهُ يُرْبِـي على جِدَتِهْ
يَتَباهـى راجـلاً ولـه شاكِـريٌّ في قُلَنْسِيَتِهْ[1]

فسكَتَ عنه مسلم ولم يُجِبْه ، وضحِك منه محمدٌ وافترقا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أُميّةِ بِرْذَوْن يركبه ، فلقِيَه مسلمٌ وهو راجلٌ فقال : ما فعل بِرذونُك ؟ قال : نَفَقَ . قال : الحمد لله ، فنُجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قل لابن ميٍّ لا تكن جازعاً لن يرجع البِرذونُ باللَّيْتِ
طامَـنَ أَحشاءَك فِقدانُـهُ وكنتَ فيه عاليَ الصوتِ
وكنتَ لا تنزلُ عـن ظهرِهِ ولَـوْ مـن الحُشِّ إلى البيتِ
ما مـات من حتف ولكنّهُ مات من الشَّوْق إلى الموتِ

[تعلقه بإحدى الجواري وما كان بينهما]

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا يعقوبُ بن إسرائيل قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أُميّة قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : دخلت أنا ومحمد بن أُميّة منزل نَخّاس بالرَّقة أيّامَ الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينُها على محمد ، ووقعت عينُه عليها ، فقال لها : يا جاريةُ ، أتغنّين هذا الصوت : [من الخفيف]

خبِّريني مَـنِ الرسولُ إليكِ واجعَلِيهِ من لا ينمُّ عليكِ
وأشيري إليّ مـن هو باللحـ ـظِ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلّي المُزاح في المجلسِ اليو م فـإنّ المزاح بين يديكِ

فقالت له : ما أعرِفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقِفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أُميّة .

[تغنّى بشعرٍ له عمرو الغزال فتطيّر إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثني جَحظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني بعضُ مَن كان يختلط بالبرامكة قال : كنتُ عند إبراهيم بن المهديّ ، وقد اصطبحنا وعنده عمرُو بن بانة ، وعبيد الله بن أبي غسّان ، ومحمد بن عمرو الروميّ ، وعمرو الغزّال ، ونحن في أطيب ما

---

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كنّا عليه إذ غنّى عمرو الغَزّالُ ، وكان إبراهيم بن المهديّ يستثقله ، إلاّ أنّه كان يتخفّف بين يديه ويَقصِدُه ، ويَبْلُغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة ، فكان يَحْتَمِلُ ذاك منه ، فاندفع عمرٌو الغزال ، فتغنّى في شعرِ محمد بن أُميّة : [من السريع]

ما تمّ لي يومُ سرورٍ بمَنْ … أَهواهُ مُذْ كنتُ إلى اللّيلِ

أغبطَ ما كنتُ بما نلته … منهُ أتتني الرسْلُ بالرَّيْلِ

لا والذي يعلَمُ كلَّ الذي … أَقولُ ذي العِزَّةِ والطَّوْلِ

ما رُمْتُ مذْ كنتُ لكم سَخْطَةً … بالغَيْبِ في فِعْلٍ ولا قَوْلِ

قال : فتطيّر إبراهيم ، ووضع القَدحِ من يده ، وقال : أعوذُ بالله من شرٍّ ما قلتَ . فوالله ما سَكَتَ ، وأَخذنا نتلاقى في إبراهيمَ ، إذ أُتي حاجبُه يعدو فقال : ما لَك ؟ فقال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أَميرِ المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم : ﴿إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرفع ما كان بين أيدينا ، وتفرّقنا فما رأيت عَمْراً بعدها في داره .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أَخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدَّثني محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال : كنت عند إبراهيم بن المهديّ بالرَّقّة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة في يوم من حزيران ، فلمّا هممنا بذلك هبّت الجَنوب ، وتلطَّخَت السماءُ بغيم ، وتكدَّر ذلك اليوم ، فترك إبراهيمُ بنُ المهديّ الشُّرْبَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمدُ بن أميّة : ما أحبَّ إليّ ما كرِهتموه من الجنوب ! فإن أنشدْتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني : [من البسيط]

إنّ الجنوبَ إذا هبَّت وجدتُ لها … طِيباً يذكِّرني الفِردوسَ إنْ نَفَحا

لّما أَتَتْ بنسيم منكِ أعرِفُه … شَوْقاً تَنَفَّستُ واستقبلتُها فَرِحا

فانصرفتُ معه إلى منزله ، وغنَّيتُ في هذين البيتين وشرِبنا عليهما بقيةَ يومنا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أَهدَتْ جاريةٌ يقال لها خِداعُ إلى محمد بن أُميّة ، وكان يهواها ، تفاحةً مُفلَّجةً[1] منقوشةً مطيَّبة حسنةً ، فكتب إليها محمد : [من المنسرح]

خِداعُ أهديتِ لنا خُدْعةً … تُفَّاحةً طيِّبةَ النَّشْرِ

---

1 مفلجة : مقسّمة .

ما زلتُ أرجوكِ وأَخْشى الهوى مُعْتَصِماً بـالله والصَّبرِ
حتى أَتتني منكِ في ساعةٍ زَحْزَحَتِ الأَحزانَ عن صَدري
حشوتِها مِسْكاً ونقَّشتِها ونَقْشُ كفَّيكِ مِن السِّحرِ
سَقْياً لها تفاحةً أُهْدِيَت لو لَم تكُنْ من خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حدَّثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال : كنتُ أَسيرُ أَنا ومحمد بن أُميّة في شارع المَيْدان ، فاستقبلتْنا جاريةٌ ، كان محمدٌ يَهواها ثم بِيعتْ ، وهي راكبةٌ ، فكلَّمها ، فأجابته بجواب أخفَتْه فلم يفهمه ، فأقبل عليّ وقد تغيَّر لونه فقال : [من البسيط]

يا جعفرُ بن عليّ وابن يقطينِ أَلَيْسَ دونَ الذي لاقيتَ يَكْفِيني
هذا الذي لم تَزَلْ نَفْسي تخوّفُني منها فأَيْنَ الذي كانَتْ تُمَنِّيني
خاطَرْتُ إذ أَقبلتْ نحوي وقلتُ لها تَفدِيكِ نفسي فداءً غيرَ مَمْنونِ
فخاطبتني بما أَخْفَته فانصرفتْ نفسي بظَنَّيْنِ مخشِيٍّ ومأمونِ

[تمثل المنتصر ببيت له]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني أَحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدَّثني أبي قال : كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءَته رُقعَة لا أَعلمُ مِمَّن هي ، فقرأها وتبسَّمَ ثم إنّه أَقبل عليَّ وأَنشد : [من الوافر]

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ وفِطْنةُ شاعرٍ عندَ الجَوابِ

ثم أَقبل عليّ فقال : مَن يقول هذا يا يزيد ؟ فقلتُ : محمد بن أُميّة يا أَمير المؤمنين . فضحك وقال : كأنّه والله يصفُ ما في هذه الرُّقعة .

[عاتبه أخوه وابن قنبر لمّا لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال : كنت أنا وابن قَنْبر عند محمد بن أُميّة بعقب بَيْع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحِقَه عليها ولهٌ كالجنون ، فجعل ابن قنبرٍ وأَخوه عليّ بن أُميّة يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال : [من الطويل]

لـو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يا ابن قَنْبرٍ كوصفك إيّاه لألهاك عن عذْلي[1]

1 لألهاك في ل : لأغناك .

أنــا وأخــي الأدنى وأنت لها الفِدا ... وإن لم نكونــا في مودّتهــا مثلي
أإنْ حُجبــتْ عنّــي أجود لغيرها ... بودّي وهل يُغري المُحبَّ سوى البُخْلِ
أُسَرَّ بــأن قالــوا تَضنّ بودّهــا ... عليك ومن ذا سُرّ بالبخل مــن قبلي

قال : فضحك ابن قَنْبر ، وقال : إذا كان الأمرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك أخوك فاتّفِقا على ذلك ، وأمّا أنا فلستُ أنشط لأن أُساعدك على هذا . وافترقنا .

[قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزوَّر لمحمد بن أُميّة في جارية كان يهواها ، وقطَع الصومُ بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خُرَيْم المريَّ : [من الطويل]

قفــا فابكيــا إن كنتُما تجدان ... كوَجْدِي وإن لم تَبْكِيــا فدَعاني
ففي الدَّمْع ممّا تُضْمر النفسَ راحةٌ ... إذا لم أُطِــقْ إظهــارَه بلساني
أغَصُّ بــأسراري إذا مــا لقيتُها ... فأُبْهَــتُ مشدوهــاً أعَضُّ بناني
فيابن خُريم يا أخي دون إخوتي ... ومــن هُــوَ لِي مِثْلي بكلّ مكانِ
تأمّلْ أحظِّي مــن خِداعَ وحُبِّها ... سوى خُدَع تُذْكي الهوى وأماني
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا ... فيــا ليــتَ شوّالاً أتى بزمانِ

[شعر له فيها استحسنه ابن المعتزّ]

أنشدني جعفرُ بن قُدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتزّ قال أنشدني أبو عبد الله الهشاميُّ لمحمد بن أُميّة ، وفيه غناء لمتمّم ، قال واستحسنه عبد الله : [من الكامل]

صوت

عجَبــاً عجبتُ لُمذنــبٍ متغَضِّبِ ... لــولا قبيــحُ فَعالــه لم أُعْجَبِ
أخِداعُ ، طالَ على الفراش تقلُّبي ... وإليكِ طــولُ تشوّقــي وتطرّبي
لهفــي عليكِ ومــا يــردّ تلهّفي ... قصرت يداي وعزّ وجــه المطلبِ

الغناء لمتيّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتزّ ، وخفيف رمل عن الهشاميّ . وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هَزارُ هذا الصوت[1] يومئذٍ .

1 ل : اللحن .

[أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدَّثني شيبةُ بنُ هِشام قال : دعانا محمد بن أُمَيَّةَ يوماً ووجَّه إلى جاريةٍ كان يحبّها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُحْدرها[1] مع رسوله ، فأبطأ الرسولُ حتّى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا منّي الدراهم ثم ردّوها عليّ ، ورأيتهم مُخْتَلِطين ، ولهم قصة لم يُعَرِّفُونيها ، وقالوا : ليسَتْ هاهنا فإن عادت بعَثْنا بها إليكم . فتنغَّصَ عليه يومُه وتغيَّر وجهُه وتجمَّل لنا ؛ ثم بكَرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوَجَم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حُرْقَة بكائه وهو ينشدني : [من الطويل]

تخطَّى إليَّ الدهرُ من بين مَن أرى ... وسوءُ مقاديرٍ لهنَّ شئونُ
فشتَّتَ شملي دون كلِّ أخي هوًى ... وأقْصَدَني بلْ كلَّهم سَيَبِينُ[2]
ومهما تكُن من ضَحْكة بعد فَقْدها ... فإنّي وإن أظهرتُها لحزينُ
سلامٌ على أيَّامِنا قبل هذه ... إذِ الدّارُ دارٌ والسرورُ فنونُ

قال : ومضَتْ على ذلك مدّةٌ . ثم أخبرني أنّه اجتاز بها ، وهي تنظُر من وراء شُبَّاك ، فسلَّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلَتْ ، فقال : [من الوافر]

تُطالِعُني على وجلٍ خِداعُ ... من الشُّبَّكِ التي عُملت حَدِيدا
مُطالِعتي ، قفِي بالله حتَّى ... أُزَوِّدَ مُقْلَتي نظراً جديدا
فقالتْ إنْ سَها الواشون عنّا ... رجَوْنا أَن تَعُودَ وأَن نَعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا صاحبَ الشُّبَّكِ الذي اسْـ ... ـتَخْفى ، مكانُكَ غيرُ خافِ
أَفَما رأيتَ تلدُّدِي ... بفِناء قَصْرِكَ واختلافِي[3]
أو ما رحمتَ تخشُّعي ... وتلفُّتي بَعْدَ انصرافي[4]

---

1 يحدرها : يرسلها .
2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .
3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : تردّدي .
4 تخشّعي : تضرّعي .

صوت

[من الكامل]

إنّ الرّجـالَ لهـم إليكِ وسيلةٌ إنْ يَأْخذوكِ تكحَّـلي وتخضَّبي
وأَنا امْـرؤٌ إن يأخـذوني عَنْـوَةً أُقْـرنْ إلى سَيْر الرّكابِ وأُجْنَبِ
ويكون مَرْكَبُك القعودَ وحِدْجَه وابنُ النّعامةِ يـومَ ذلك مَرْكبي[1]

عروضه من الكامل . قال ابن الأعرابيّ في تفسير قوله :

وابـنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي

ابن النعامة : ظِلّ الإنسان أو الفَرس أو غيره . قال جرير : [من الكامل]

إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً ويـرى نعامــة ظِلِّـه فَيَحُولُ

يعني بنعامةِ ظِلّه جَسَده . وقال أَبو عمرو الشيبانيّ : النَّعامةُ ما يلي الأَصابع في مُقَدّمِ الرِّجل . يقـول : مَرْكَبي يومئـذٍ رِجْلي . وقال الجاحظ : ذَكر علماؤنا البصريون : أنَّ النعامةَ اسمُ فرسه . يقول : إنِّي أَشُدُّ على ركابي السرج فإذا صارَ للفرس ، وهـو الذي يُسَمَّى النعامـةَ ، ظلٌّ وأَنا مقرونٌ إليه صار ظلّه تحْتي فكنتُ راكباً له . وجعل ظلّها هاهنا ابنَها .

الشعر للحارث بن لوذان بنِ عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلٍ بن ثعلبة . وقال ابن سلام : لخُزَزَ بن لَوْذان . ومن الناس مَن ينسب هذا الشعر إلى عنترةَ ، وذلك خطأٌ . وأَحد من نسبه إليه إسحاق الموصليّ . والغناء لعزّةَ المَيْلاء . وأوّل لحنها : [من الكامل]

لِمَن الديــارُ عرفتها بالشُّرْبُـب ذهب الذين بهـا ولَمّا تذهبِ[2]

وبعده «إن الرجال» .

وطريقتُه من خفيفِ الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتي حمّادٍ وابن المكّيّ . وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعريبَ خفيفُ رمل . وفيه لعزّةَ المرزوقيّة لحن . وقال هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات : هذا اللحنُ لريق ، سلخت لحن «ومخنث شهِد الزفافَ وقبله» فجعلته لهذا ، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ابن سُرَيج وصنعةَ حَكَم في محركاتهما ، فمن هنا يغلط فيه ويظنّ أنّه قديم الصنعة .

---

1 الحِدج : مركب من مراكب النّساء نحو الهودج .

2 الشربب : واد في ديار بني ربيعة .

213 ـ [بعض أخبار لابن أبي عتيق]

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزّة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغِناء عزّة الميلاء كثرَ الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لمَن الديار عرفتها بالشُّرْبُبِ

فسألها يوماً زيارتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرّ بها المجلسُ : يا عزّة ، أحبُّ أن تغنّيني صوتي الذي أنا له عاشق . فغنّته هذا الصوت ، فطرِب كلّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها ؛ فأعلَمتْ [ابنَ أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أحبُّكَ ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولايَ يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزّة الميلاء] ، وأدخلَت الجاريةُ [الرجلَ . وقال لعزّة : غنّي فأعادت الصوت . وخرجت الجاريةُ] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنّها تطلب حاجة ، فقال لها : تعاليْ . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلّت[1] ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[2] ، فوثب ابنُ أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غيرُ مكترث : يا فسّاقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنّية ؟ فضحِك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا سترَ الله تعالى عليك . فقالت له عَزّةُ : يا ابنَ الصِّدِّيق[3] ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أنّ ابنَ أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعبث بها كلّما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها ، فقال لها : أولَم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فَهَيِّئي الرّحى وهيّئي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفْعَلُ يا مولاي . فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِيه الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرِّ كلّه ثم اخرجي من البيت واتركيه . ففعلت ، فلمّا دخل طحنت الجاريةُ

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحَجَلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كفَّتْ الرّحى فإنّ مولاي جاءٍ إليّ أو بعض مَن وكّله بي ، فاطحن حتى نأمَن أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أبي عتيق عدّة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهنّ ويتفقّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلّما أمسك ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كلّما كفَّ : يا فلانة إنّ مولاك مستيقِظ ؛ والساعةَ يعلم أنّك كففت عن الطّحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع مَن كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطّحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد في العمل والجارية تتعهّد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحبّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلمّا فرغ وعلِمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانجُ بنفسك . فقال : أوَقد فعلتِها يا عدوّة الله ! فخرج تعِباً نصِباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألاّ يعودَ إلى كلامِها ، فلم تَرَ منه بعد ذلك شيئاً يُنكَر .

صوت

[من الوافر]

أَجَـدَّ اليــومَ جيرتُك احتمالا وحــثَّ حُداتُهــمْ بهمُ عِجالا
وفي الأظعــانِ آنِسة لعــوب تــرى قتــلي بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكّل الليثيّ ، والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابنِ مِسْجَح ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البِنصِر عنه . وذكر حَبَشٌ أنّ هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاق هزجٌ .

[214] ـ نسب المتوكِّل الليثي وأَخباره

[نسبه]

هو المتوكّل بن عبد الله بن نهشَل بنِ مُسافِع بن وهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعْمَر بن عَوْف بن عامرِ بن لَيْث بن بكر بن عبدَ مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مدرِكة بن إلياس بن مضَر بن نِزارٍ . من شعراء الإِسلام ، وهو من أَهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أَبا جهمة . وقد اجتمع مع الأَخطل وناشده عند قبِيصة بن والقٍ ، ويقال عند عكرمة بن رِبْعيّ الذي يقال له الفيّاضُ ، فقدمه الأَخطل .

وهذه القصيدة التي أوّلها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبْعي وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أُخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أَحمد بن سعيد الدمشقيّ عن الزبير بن بَكّار عن عمِّه .

[تناشد هو والأَخطل الشعر]

وأَخبرني الحسن بن عليّ عن أَحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أُخبرني هارون بن مسلم قال حدَّثني حفص بن عمر العُمَريّ عن لَقيط بن بُكَير المحاربيّ قال : قدِم الأَخطل الكوفة فنزل على قَبِيصةَ بنِ والق ، فقال المتوكّل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأَخطل نستنشِده ونسمع من شعره . فأَتياه فقالا : أَنشِدنا يا أَبا مالك . فقال : إنّي لخاثر[1] يومي هذا . فقال له المتوكّل : أنشدنا أَيّها الرجل ، فوالله لا تُنشِدني قصيدة إلاّ أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا المتوكّل . قال : أُنشدني ويحك من شعرك ! فأَنشده : [من الكامل]

للغانياتِ بذي المجاز رسومُ فببَطن مكّة عهْدُهنّ قديمُ[2]
فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى حِلَلٌ تلوح كأنّهنّ نجومُ[3]

---

1 يقال خثَرت نفسه : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

2 ذو المجاز : موضع بسوق عرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

3 الحلل : جمع حلّة ، وهي جماعة بيوت القوم .

لا تنـهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثله عـارٌ عليك إذا فعلـت عظِيمُ
والهَـمُّ إن لم تُمضِهِ لسبيلـه داءٌ تضمَّنـه الضلـوعُ مُقيمُ

غنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمّاد عن أبيهِ ولم يُجنّسه . قال وأنشده أيضاً : [من السريع]

الشِّعْر لُـبُّ المـرءِ يَعرِضُـه والقـولُ مثـلُ مواقع النَّبْلِ
منهـا المقصِّرُ عـن رميَّتـه ونوافـذٌ يذهبْـنَ بالخَصْلِ[1]

قال وأنشده أيضاً : [من الخفيف]

إنّـا معشرٌ خُلِقْنـا صُـدُورا من يسوِّي الصُّدورَ بالأذنابِ

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكّل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال الطوسيّ قال الأصمعيّ : كانت للمتوكّل بن عبد الله الكنانيّ امرأةٌ يقال لها رُهَيمة ، ويقال أُمَيمة ، وتُكْنى أُمّ بكرٍ ، فأقْعِدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حينَ طلاق . فأبت عليه ، فطلّقها ، ثم إنّها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك : [من الوافر]

طربتُ وشاقني يـا أمَّ بكر دعـاءُ حمامـةٍ تدعو حَماما
فَبِتُّ وبـات همِّي لي نجيّاً أُعَـزّي عنـكِ قلباً مُستَهاما
إذا ذُكِرَتْ لقلبـكَ أُمُّ بكرٍ يبيت كأنّـمـا اغتبـق المُداما
خَدَلَّجة تـرِفُّ غُروبُ فيها وتكسو المَتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما[2]
أبى قلبـي فما يهـوى سِواها وإن كانـت مودّتهـا غراما
ينـام الليـلَ كلُّ خليّ همٍّ [وتأبى العَـينُ منّي أَنْ تَناما
أُراعِـي التّالياتِ من الثريّا] ودَمعُ العَينِ مُنحـدِرٌ سِجاما
على حينَ ارعويت وكان رأسي كأنَّ عـلى مفارقـه ثَغـاما[3]
سعى الواشون حتى أزعجوها ورثَّ الحبـل فانجذَم انجذاما
فلسْتُ بزائلٍ مـا دمتُ حيّاً مُسِرّاً مـن تذكُّرهـا هُياما

---

1 الخصل : الخطر ، وهو السّبَق الذي يتراهن عليه .
2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والسّاقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسّخام : اللّيّن الحسن والأسود .
3 الثَّغام : نبت ، ويُقال أثغم الرأس إذا صار كالثغامة بياضاً .

تُرجِّيها وقد شَحطت نَواها ومنّتك المُنى عاماً فعاما
خدَلّجة لها كَفَلٌ وثِير ينوءُ بها إذا قامت قِياما
مُخَصّرةٌ ترى في الكشْحِ منها على تثْقِيل أسفلِها انهضاما
إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برق تهلّل في الدّجُنّة ثم داما
وإن قامت تأمّل رائياها غمامة صيِّفٍ ولجت غماما[1]
إذا تمشي تقولُ دبيبُ أيْم تعرّجَ ساعةً ثم استقاما[2]
وإن جلست فدُمْيةُ بيتِ عِيدٍ تُصانُ ولا تُري إلاّ لماما
فلو أشكُو الذي أشكو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أُحِبُّ دُنُوّها وتُحِبّ نأْيِي وتعتام التنائيَ لِي اعتياما[3]
كأنّي من تذكُّر أُمّ بكرٍ جريحُ أسنّة يشكو كِلاما
تَساقَطُ أنفُسا نَفْسي عليها إذا شَحطت وتغْتمّ اغتماما[4]
غشِيتُ لها منازلَ مقْفِراتٍ عفَتْ إلاّ الأَياصِرَ والثُّماما[5]
ونؤْياً قد تهدّم جانِباه ومبناها بذي سلم خِياما
صِليني واعلمي أنّي كريمٌ وأنّ حَلاوتي خُلِطت عُراما
وأنّي ذو مُجامَحةٍ صَلِيبٌ خُلِقت لِمَن يماكِسني لِجاما[6]
فلا وأبِيك لا أُنساكِ حتى تُجاوِبَ هامتي في القبرِ هاما

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشباً الشيبانيّ]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكّل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حَوْشباً الشَّيبانيّ ، ويقول فيها : [من الوافر]

إذا وعدَتْكَ معروفاً لوتْه وعَجّلتِ التّجرُّم والمِطالا[7]

---

1 الصَّيِّف : المطر الذي يجيء صيفاً .
2 الأيم : الحيّة .
3 تعتام : تختار .
4 شحطت : بعدت .
5 الأياصر : جمع أيصر ، وهو وتد الطنب ، أو حبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثمام : نبت .
6 يماكسني : يُشاكسني .
7 تجرّم عليه : ادّعى عليه الجرم .

لهـا بشر نقِـيّ اللون صافٍ ومتنٌ خُطَّ فاعتـدل اعتدالا[1]
إذا تمشي تـأوّدَ جانِباهـا وكاد الخصر ينخزِل انخزالا[2]
تنـوء بهـا روادفها إذا ما وُشاحاهـا عـلى المَتْنين جالا
فإن تصبح أُميمـةُ قـد تولَّتْ وعاد الوصل صرْمـاً واعتلالا
فقد تدنـو النّوى بعد اغتراب بهـا وتفـرّقُ الحيِّ الحِلالا[3]
تُعبِّسُ لِـي أُميمة بُعـد أُنس فمـا أُدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فربّ أخٍ مضـافٍ رزئتُ ومـا أُحِبّ بـه بِدالا
أصرمٌ منـكِ هـذا أم دلال فقـد عَنّى الدّلال إذاً وطالا
أم استبدلتِ بي ومللتِ وصلي فبُوحي لِي به ودعي المِحالا[4]
فـلا وأبيكِ مـا أهوى خليلاً أُقاتِلُـه عـلى وصـلي قِتالا
وكم مـن كاشح يـا أُمّ بكرٍ مـن البغضاء يأتكِـل ائتكالا
لبستُ على قنـاعٍ مـن أذاه ولـولا اللهُ كنتُ لـه نكالا

وممّا يغنّى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حُدّثـتَ عنـه عِتاق الطّيرِ تنْدَخـل اندخالا[5]
رأيـت الغانياتِ صدفْـن لِما رأَيْن الشيبَ قد شَمل القَذالا
فلم يُلـووا إذا رحلوا ولكن تولّـت عِيرُهـم بهمُ عِجالا

غنّى فيه عمر الواديُّ خفيف رمل عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .

[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسيّ قال أبو عمرو الشيبانيّ : هجا معنُ بن حمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني لقيط بن يَعمر المتوكّل بن عبد الله الليثيّ ؛ وبلغ ذلك المتوكّل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

---

1 مخطوطة المتن : ممدودة .
2 ينخزل : ينقطع .
3 الحلال : القوم الذين يحلّون موضعاً وفيهم كثرة .
4 المحال : الكيد والمكر .
5 عتاق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوه والمتوكّل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدّيل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليومَ وانتظراني ... فإن الهوى والهمَّ أُمُّ أَبانِ
هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها ... أرى الشمس ما أَسْطِيعُها وتراني
نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت ... بنا بَدَلاً والدّهرُ ذو حَدَثانِ
فهاج الهوى والشوقَ لِي ذكرُ حُرّةٍ ... من المُرْجَحِنّات الثقالِ حَصانِ[1]

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنّسه : [من الطويل]

سيعلم قومي أنّني كنتُ سُورةً ... من المجد إنْ داعي المنون دَعاني
ألا ربّ مسرورٍ بموتِيَ لو أتى ... وآخرَ لو أُنْعى له لَبكاني
خَليليّ ما لامَ امرءاً مثلُ نفسِه ... إذا هي لامت فاربَعا ودَعاني[2]
ندمتُ على شتمِي العشيرةَ بعدما ... تغنّى بها غَورِي وحنّ يماني
قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتني ... رجعتُ بفضلٍ من يدي ولساني
على أنّني لَم أرمِ في الشعرِ مسْلِماً ... ولم أهجُ إلاّ من روى وهجاني
هُمُ بَطِرُوا الحلمَ الذي من سَجِيّتي ... فبدّلت قومي شدّةً بلَيانِ[3]
ولو شئْتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ ... ونحنُ جميعٌ شمْلُنا أخَوانِ
نهيْتُمْ أخاكم عن هجائي وقد مَضى ... له بعد حول كاملٍ سنتانِ
فلجَّ ومَنّاه رجالٌ رأيتُهُم ... إذا قارنوني يكرهون قِراني
وكنتُ امرءاً يأبى لِيَ الضيمَ أنّني ... صَرومٌ إذا الأَمرُ المُهِمُّ عَناني[4]
وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لمُدْبر ... هلمَّ إذا ما اغْتَشّني وعَصاني
خليلَيَّ لو كنتُ امرءاً بِيَ سقطةٌ ... تضعضعْتُ أو زلَّتْ بِيَ القدمانِ
أعيش على بَغْي العُداةِ ورغمِهم ... وآتي الذي أهوى على الشنآنِ
ولكِنّني ثَبْتُ المَريرة حازمٌ ... إذا صاح طُلاّبي ملأت عِناني

1 مرجحنّات : جمع مرجحنّة ، وهي المرأة السمينة .
2 اربعا : توقّفا وكفّا وارفقا .
3 بطروا : كرهوا .
4 عناني في ل : دعاني .

خليليّ كم مــن كاشح قد رميته ... بقافيــةٍ مشهــورةٍ ورمـاني
فكان كذات الحيْض لم تُبْق ماءها ... ولم تُنْــقِ عنهــا غُسْلَها لأوانِ

ثم إنّه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالــدٍ حنّت إليـك مطيّتي ... على بعــد منتاب وهَـوْلِ جَنانِ
أبا خالدٍ في الأرض نأيٌ ومَفْسَح ... لِذِي مِرّة يُرمــى بــه الرَّجَوان[1]
فكيفَ ينام الليــلَ حــرٌّ عَطاؤه ... ثــلاثٌ لرأس الحــولِ أو مائتان
تناهتْ قَلوصي بعد إسآدِيَ السُّرى ... إلى ملكٍ جـزلِ العطـاء هِجانِ[2]
تــرى الناس أفواجـاً ينوبون بابَـه ... لِبكرٍ مــن الحاجات أو لعَوانِ[3]

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال : [من الطويل]

ندِمتَ كذاك العبدُ يندم بعــد مـا ... غُلِبــتَ وسار الشعــر كلَّ مكانِ
ولاقَيْت قَــرْماً في أُرُومــةِ ماجدٍ ... كريمـاً عزيــزاً دائمَ الخَطَرانِ
أنا الشاعر المعروف وجْهي ونسبتي ... أعــفُّ وتحميني يــدِي ولساني
وأغلِبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي ... إلى معشرٍ بِيضِ الوجــوهِ حِسانِ
فهاتِ إذاً يا ابنَ الأَتان كصاحبِ الـ ... ـملوك أبــي ، أسيِّـد كَمُهــانِ
فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تِجدْ ... لهــمْ كفُــوًا أو يُبْعثَ الثقَلانِ

[هو عكرمة بن ربعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا العكليّ عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عَوانة قال : أتى المتوكّل الليثيّ عِكرمةَ بن رِبعيّ الذي يقال له الفيّاض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفْتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبي أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سراً .

[نسيبه بحسناء وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فبينا المتوكّل بالحِيرة وقد رَمِد رَمداً شديداً ، فمرّ بِه قَسٌّ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمِدتُ .

---

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين بـه . ومثل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرَّجَوان» .
2 الإسآد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .
3 أو لعَوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذرّه[1] ، فبينا القسّ عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره ، يفكّر في هجاء عِكرمة ، وذلك غير مطَّردٍ له ولا القولُ في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسَفَرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حُسْناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أُميّةُ . قال : فممّن أنتِ ؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتكِ ؟ قالت : بلغني أنّك شاعر فأحببت أن تنسِب بي في شعرك . فقال : أسفِري . ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّدا ومصوِّبا ، ثم تلثّمت وولّت عنه ، فاطَّرد له القولُ الذي كان استَصعَبَ عليه في هجاء عِكرمة وافتتحه بالنسيب فقال : [من الوافر]

أجِــدَّ اليومَ جيرتُكَ احتمالا ... وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمالا
وفي الأظعـان آنِسَةٌ لَعُـوبٌ ... تـرى قَتْلِـي بغير دمٍ حَلالا
أُمَيّةُ يــوم دَيْرِ القَسِّ ضنَّت ... علينــا أن تُنوِّلنــا نَــوالا
أَبِيني لِي فـربَّ أخٍ مصافٍ ... رُزِئت ومـا أُحبّ بـه بِدالا

وقال فيها يهجو عِكرمة :

أقلني يـا ابــن رِبعي ثَنائي ... وهبْها مِدحـة ذهبت ضَلالا
وهبْها مِدحـــة لم تُغـنِ شيئاً ... وقَــولاً عـــاد أكثرهُ وَبالا
وجدنا العِزَّ مــن أولاد بكرٍ ... إلى الذُّهْلَيْـنِ يَرجع والفِعالا
أعكـرِمَ كنـتُ كالمبتاع داراً ... رأى بَيْـعَ الندامـةِ فاستقالا
بنُــو شَيْبان أكـرمُ آل بكرٍ ... وأمتَنُهـــم إذا عقــدوا حِبالا
رِجـــال أُعطِيتْ أحلامَ عـادٍ ... إذا نطقــوا وأيدِيَهـا الطوالا
وتيمُ اللهِ حــيٌّ حـيُّ صِدقٍ ... ولكــنّ الرّحى تعلو الثِّفالا[2]

صوت

[من الطويل]

سقى دِمنتين لم نجِـد لهما أهلا ... بحقلٍ لكم يا عزَّ قـد رابني حَقْلا
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بِيَ عندكم ... فلا تُكرِميه أن تقولي لــه مهْلا

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .

2 الثِّفال : ما وقيت به الرّحى من الأرض .

كما نحن لو واشٍ وشى بِك عندنا لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سَهْلا
أَلَمْ يأْن لِي يا قلبِ أَن أَترك الجهلا وأَن يُحدِث الشيبُ المِلمُّ لِيَ العَقْلا
على حينَ صار الرأس منّي كأنّما علَت فوقـه ندّافةُ العُطُبِ الغزْلا

عروضه من الطويل . الدِّمَن : آثار الديار ، واحدتها دِمنة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعُطُب هو القطن .

الشعر لكثيِّر كلّه إلاّ البيت الأوّل فإنّه انتحله ، وهو للأَفوه الأوْدِيّ . والغِناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ في الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية . وذكر حبش أنّه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ؛ ذكر ابن المكّي أنّه لمعبد ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى المكّيّ .

[215] ـ نسب الأَفوه الأوديّ وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

الأَفوَه لقب ، واسمه صَلاءة بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف بن منبِّه بن أَوْد بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأَبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأَفوه : [من الطويل]

أَبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدّ عاثِرُ[2]

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدَّثنا ابن أَبي سعد عن عليّ بن الصَّباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أَبيه قال : كان الأَفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومِه وقائدَهم في حروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّ داليته : [من البسيط]

معاشر ما بنوا مجداً لقومهمُ وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا[3]

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأمّا البيت الذي أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنِفاً فإنّه من قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

نُقاتِل أَقواماً فنسْبي نساءَهم ولم يَرَ ذو عِزٍّ لِنِسوتنا حِجْلا
نقود ونأبى أن نُقاد ولا نَرى لقومٍ علينا في مُكارَمةٍ فضلا
وإنّا بِطاء المشي عند نسائنا كما قَيَّدتْ بالصَّيْفِ نجْدِيّةٌ بُزلا
نظلّ غَيارى عند كلّ سَتِيرةٍ نُقلِّب جِيدا واضحاً وشَوًى عَبْلا[5]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سمط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والمزهر 238/2 ، 296 ومنتخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد ألتونجي ، وإليه نشير .
2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصّرماء .
3 وفي الديوان 64 :
فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومُهم ما أفسدوا عادوا
4 ديوانه : ص 100 .
5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان .

ونّا لنعطي المالَ دون دمائنا ونأبى فما نَسْتام دون دمٍ عقلا[1]

[سبب هذه الأبيات]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : قال الأفوه الأودِيّ هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر ، كانت بينه وبينهم دماء ، فأدرك بثأره وزاد ، وأعطاهم دِياتِ مَنْ قُتِل فضلاً على قتلى قومه ، فقبلوا وصالحوه .

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر : أغارت بنو أود ، وقد جمعها الأفوه ، على بني عامر ، فمرِض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله زيد بن الحارث الأوديّ وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعِه ، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتُضارِع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب . فلمّا التقوا عرف بعضهم بعضاً ، فقال لهم بنو عامر : سانِدونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم . فقالت بنو أود ، وقد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتّى نأخذ بطائِلتنا[2] . فقام أخو المقتول ، وهو رجل من بني كعب بن أَوْد فقال : يا بني أَوْد ، والله لتأخُذُنّ بطائلتي أو لأنْتحِيَنَّ على سيفي . فاقتتلت أود وبنو عامر ، فظفِرت أود وأصابت مغنماً كثيراً . فقال الأفوه في ذلك[3] : [من الوافر]

صوت

ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي قبائلَ عامرٍ يوم الصبيبِ[4]

غداة تجمّعت كعبٌ إلينا حلائبَ بين أفناء الحروبِ[5]

فلمّا أن رأَوْنا في وَغاها كآساد الغَريفة والحجيبِ[6]

تداعَوْا ثم مالُوا عن ذراها كفعل الخامعات من الوجيبِ[7]

وطاروا كالنَّعامِ ببطن قَوٍّ مُواءلَة على حذر الرقيبِ[8]

---

1 العقل : الدية .

2 الطائلة : الثأر والوتر .

3 ديوانه : ص 59 .

4 شهدت في ل : شدَّت .

5 الحلائب : الجماعات . والأفناء : الأخلاط . وأفناء الحروب في ل وفي الديوان : أبناء الحريب .

6 الغريفة : الأجمة وفي الديوان العرينة . الحجيب : موضع .

7 الخامعات : الضباع ، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب ، والوجيب : الخوف .

8 بطن قوّ : موضع ، والمواءلة : طلب النجاة .

216 ـ [خبر النشناش اللص]

صوت

[من الطويل]

كأن لم تَريْ قبلي أسيراً مُكبّلا ولا رَجُلاً يُرمى بـــه الرّجَوانِ
كأنّي جوادٌ ضَمَّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حَلبــةٍ ورهانِ

الشعر لرجلٍ من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النَّشْناش ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبِنصر من روايتي عليّ بن يحيى والهِشاميّ .

[النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال حدَّثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب قال : كان أبو النّشناش من مَلاصّ[1] بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شُذّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشامِ فيجتاحها . فظفِر به بعض عمّال مروان فحبسه وقيّده مدّة ، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب ، فمرّ بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب ، فجزِع من ذلك . ثم مرَّ بحيٍّ من لِهْبٍ فقال لهم : رجل كان في بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتِف ريشه وينعَب . فقال له اللهْبيّ : إن صدقتِ الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفِيك . وأنشأ يقول : [من الطويل]

وسائلــةٍ أيــن ارتحــالي وسائلٍ ومَن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهِبُهْ
مذاهِبـــه أنّ الفِجــاج عرِيضةٌ إذا ضنّ عنــه بالنّــوالِ أقارِبُهْ
إذا المرءُ لَم يسْرَحْ سَواما ولَم يُرِح سَواما ولم يبسُط له الوجهَ صاحبُهْ
فَلِلْموتِ خيرٌ للفتى مــن قُعُودِهِ عديماً ومِن مولًى تُعاف مشاربُهْ[2]
ودَوِّيّــةٍ قفــرٍ يَحارُ بهــا القطا سرَت بأبي النّشْناشِ فيها ركائبُهْ[3]

---

1 ملاص : جمع مَلصة وهم اسم جمع للص .
2 تعاف مشاربه في ل : تدبّ عقاربه .
3 دويّة : مفازة .

لِيُدرِكَ ثـأراً أو لِيَكْسِبِ مغْنَما ... ألا أنّ هـذا الدَّهرَ تترى عجائبُهْ
فلَـم أَرَ مثلَ الفقرِ ضاجَعه الفتى ... ولا كسوادِ الليـل أَخفـق طالِبُهْ
فعِش مقتراً أو مُـتْ كريماً فإنّني ... أُرى الموتَ لا يبقي على مَن يطالِبُهْ

صوت

[من الطويل]

أَصادِرَةٌ حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كلِّ فتلاء الذراعين مِحْنَقِ
أَقـام قنـاة الودّ بينـي وبينه ... وفارقنـي عـن شيمة لم تُرَنَّقِ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارِد ، وأصله من ورودِ الماء والصَّدَرِ عنه ، ثم يقال لكلِّ مقبِلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كِنانة . وكان كثيّر ينتمي وينمي خزاعة إليهم . ومِحنِق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنَّق : تكدّر . والرنَق : الكدر .

الشعر لكثيِّر عزّة يرثي خَنْدَقاً الأَسديّ ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لِسياطٍ رملٌ بالبِنصر عنه وعن الهِشاميّ وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه . وفي رواية حمّاد عن أَبيه أنّ لحن الهذليّ من الثقيل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد . وذكر أَحمد بن عبيد أنّ الذي صحَّ فيه ثقيل أوّل أو ثاني ثقيل .

[217] ـ خبر كثيِّر وخندق الأسديّ الذي من أَجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأَخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أَبيه . وأَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة عن ابن داحةَ ، قالوا : كان خَنْدَقُ بنُ مرّة الأَسدِيّ ، هكذا قال النوفليّ . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثيِّر ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشبيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسِم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عِيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغَصْبَهم إيّاهم على حقّهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أَبي بكر وعمر . فضمِن كُثَيِّر عِياله ، فقام ففعل ذلك وسبّ أَبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرّأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أَيّها الناس إنّكم على غير حقّ ، قد تركتم أَهل بيتِ نبيكم ، والحقُّ لهم وهم الأئمّة ، ولم يقل إنّه سبَّ أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفِن خندق بِقَنَوْنى[1] . فقال إذ ذاك كُثَيِّر يرثيه : [من الطويل]

أُصادِرة حُجَّـــاج كعبٍ وماللكٍ ... على كلّ عَجْلَى ضامرِ البطنِ مُحْنِقِ
بمرثيـــةٍ فيهـــا ثنـــاء مُحبَّـــرٌ ... لأَزهـــرَ مـــن أَولادِ مرّة مُعْرِقِ
كأَنَّ أَخـــاه في النّوائـــبِ مُلْجأ ... إلى علمٍ من رُكنِ قُدْسَ المُنطَّقِ[2]
ينـــال رجـــالاً نفعـــه وهْو منهمُ ... بعيـــدٌ كعيُّـــوق الثريّـــا المعَلَّقِ[3]
تقول ابنة الضَّمريّ ما لكَ شاحباً ... ولونُـــك مصفرٌّ وإن لَم تَخلَّقِ[4]
فقلت لها لا تعجبي ، مَن يَمُتَ له ... أَخٌ كأَبـــي بـــدرٍ وجَـــدِّك يُشْفَقِ
وأَمرٍ يُهِـــمُّ النـــاسَ غِبُّ نِتاجِهِ ... كفَيْتَ وكرْبٍ بالدَّواهي مطرِّقِ[5]

---

1 قنونى : واد من أَودية السراة يصبّ إلى البحر في أوائل أَرض اليمن من جهة مكّة .

2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .

3 العيّوق : نجم أَحمر مضيء في أَطراف المجرّة الأَيمن يتلو الثريّا لا يتقدّمها .

4 تخلّق : تطيّب بالخلوق .

5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا ... وعضَت ملاقي أمرِهـم بالمخنّقِ[1]
وخَصمٍ أبـا بـدر ألـدَّ أبَتَّه ... على مثـل طعـم الحنظل المتفلّقِ[2]
جزى الله خيراً خَندقاً من مكافىءٍ ... وصاحبِ صِدقٍ ذي حِفاظٍ ومَصْدقِ
أقـام قنـاةَ الـودّ بيني وبينه ... وفارقنـي عـن شيمةٍ لم تُرنَّقِ
حلفْت ، على أن قد أجنّتْكَ حفرةٌ ... ببطن قَنَوْنـى ، لـو نعيش فنلتقي
لألفيتني بـالوُدّ بعـدك دائماً ... على عهدنـا إذْ نحن لم نتفرّقِ
إذا مـا غدا يهتزّ للمجدِ والنّدى ... أشمَّ كغصـن البانـةِ المتورِّقِ
وإنّي لجـازٍ بـالذي كان بيننـا ... بني أسدٍ رهط ابنِ مـرّة خَنْدَقِ

[كثيّر وإنكار الطُّفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة : إنّ كثيِّراً لمّا انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الدِّيليّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفَيل بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثيّر وانتسابَه إلى كِنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيِّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرّمح ، فكلّمه فيه خندق الأسديّ ، وكان صديقاً له ولكثيِّر ، فوهبه له ، واجتمعا بمكّة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفَيْت لك بيميني ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعُهُ وهو منهمُ ... بعيـدٌ كعيّوق الثريّا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيبه بعزّة]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن إسماعيل قال حدَّثني حُميدُ بن عبد الرحمن أحد بني عِتوارَة بن جُدَيّ قال : كان كثيّر قد سلّطه الله يَنْسِبُ بعزّةَ بنتِ عبد الله ، أحدِ بني حاجب بن عبد الله بن غِفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينَها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهلَ تهامةَ فيه حَطْمةٌ شديدةٌ ، وكانت عزَّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قطُّ ، إلاّ أنّه استُهيمَ بها قلبُه لِما ذُكِر له عنها . فلقيه رجال من الحيّ لِما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنّك قد شهَرْت نفسَك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإنّي لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالِينَ إلى

---

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .
2 أبتّه : الفعل أصله أبات .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فِتيةٌ من جُدَيّ ، قال : وكان بنو ضَمْرة كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لِما يعرفون من براءتها ، إلاّ ما كان من بني جُديّ فإنّهم كانوا صُمْعاً غُيُراً[1] . فقعد له عون ، أحد بني جديّ في تسعة نفر على مَحالج[2] ، فلمّا جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربَطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسديّ ، فسمع استغاثته ، وهو خَنْدق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَن هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثيِّر في ذلك . قال الزبير أنشدنيها عُمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة معْمَر بن المثنّى : [من الطويل]

أصادِرةٌ حُجَّاجُ كعبٍ ومالكٍ على كلّ فتْلاء الذراعين مُحنِقِ

وذكر القصيدة كلَّها على ما مضت .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عبيدة قال : خَندقٌ الأسديّ هو الذي أدخل كُثيِّراً في مذهب الخَشبيّة[3] .

[كثيِّر يرثي خندقاً حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا محمد بن حبيب قال : لمّا قُتِل خَنْدقٌ الأسديّ بعرفةَ رثاه كثيِّر فقال : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادي بغير مَشُورةٍ عَرَضاً فؤادي

أغاضِرُ لَوْ شهدتِ غداة بِنْتم حُنوَّ العائداتِ على وِسادي

أويتِ لعاشقٍ لم تَشكُميه نوافِذه تَلذّع بالزّنادِ[4]

ويومَ الخيلِ قد سفَرت وكفّت رِداءَ العَصْب عن رَتَل بُرادِ[5]

الرَّتِل : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاءَ تَدْمَع في بياضٍ إذا دَمعت وتنظُر في سوادِ

---

1 صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور .

2 المحالج : جمع مِحلَج ، وهو الخفيف من الحمر .

3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إنّ الله تعالى لا يتكلّم ، وإن القرآن مخلوق .

4 أويت : رثيت وأشفقت . لم تشكميه : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .

5 البراد : البارد .

وعن متكاوسٍ في العَقْصِ جَثْلٍ ... أثيثِ النبتِ ذي غُذَرٍ جِعادِ[1]

وغاضِرةُ الغـداةَ وإن نـأَتْنا ... وأصبح دونهـا قُطـر البِلادِ

أحـبُّ ظعينةٍ وبناتُ نَفْسي ... إليهـا لـو بَلِلْن بها صَوادِي

ومِنْ دونِ الذي أمّلـت وُدّاً ... ولَـو طالبتُهـا خَـرْطُ القَتادِ

وقـال الناصحون تحـلَّ منها ... ببـذل قبْـل شيمتها الجمادِ

تَحَلَّ : أصِب . يقال : ما حَلِيت من فلان بشيءٍ ولا تحلّيت منه بشيء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقـد وعدَتْك لـو أقبلتَ وُدّاً ... فلجَّ بـك التدلّـل في تَعادِ[2]

فأسررتَ الندامـةَ يـوم نادى ... بـردّ جِمال غاضِرةَ المُنادِي

تمادى البعـدُ دونهمُ فأمستْ ... دموعُ العينِ لجَّ بهـا التّمادي

لقـد مُنِـع الرقادُ فبتُّ لَيْلي ... تجافينـي الهمومُ عـن الوِسادِ

عَـداني أن أزورَكَ غيرَ بُغْضٍ ... مُقامُك بـين مُصْفَحَة شِدادِ[3]

وإنّـي قائـل إن لَـم أزره ... سَقَتْ دِيَمُ السَواري والغوادي

محـلَّ أخـي بنـي أسدٍ قَنَوْنى ... فمـا والى إلى بَـرْك الغِمادِ[4]

مقيـم بالمجازَة مـن قَنَوْنى ... وأهلـكَ بالأُجَيْفِرِ والثمادِ[5]

فـلا تَبعَـدْ فكلّ فتًى سيأتي ... عليـه الموتُ يطرُق أو يُغادِي

وكلُّ ذخيرةٍ لا بـدّ يومـاً ... ولـو بقِيـتْ تصير إلى نَفادِ

يعـزُّ عـليّ أن نغدو جميعاً ... وتصبحَ ثاويـاً رَهْنـاً بِوادِ

فلَو فُودِيتَ مـن حدَث المنايا ... وقيتُـك بالطَّريـف وبالتّلادِ

في هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نِسبتها قد جُمِعَت .

---

1 المتكاوس : المتراكب . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والغذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .

2 التعادي : التباعد .

3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .

4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ ممّا يلي البحر .

5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والثماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضرَ لـو شهدتِ غداةَ بِنتم حُنـوَّ العائداتِ على وِسادي
رثيـتِ لعاشقٍ لَـم تشكُميه نوافِـذُه تَلـذَّع بـالزنادِ
عـداني أن أزوركَ غير بغضٍ مقامـكَ بـين مُصفَحةٍ شِدادِ
فـلا تبعَـدْ فكلّ فتًى سيأتي عليه الموت يطـرُق أو يُغادي

لمعبد في البيتين الأوّلين لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطي عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد . وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكيّ . ومن الناس مَن ينسُب لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً . وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مَجْرى الوُسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما . ويقال : إن لابن سُريج وابن محرِزٍ وابن جامعٍ فيهما ألحاناً .

غاضِرةُ هذه التي ذكرها كثيِّر مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِي في ذكره إيّاها غير خبرٍ مختلف .

[أمّ البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثيّر]

فأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ قال حدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : حجَّتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيِّر ووَضّاح : انسُبا بِي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيِّر فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعـانُ غاضِرةَ الغوادِي بغير مشورة عرضـا فـؤادِي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتَل وَضّاحاً ولَم يجِد على كُثَيِّر سبيلاً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ عن مُحْرِز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال : قدِمت أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي عند الوليد بن عبد الملك ، حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيِّر ووضّاح أن انسُبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيِّر بجارِيتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعـانُ غاضرة الغوادي

قال : وكان معها جَوارٍ قد فَتنّ الناسَ بالوَضاءة .

[لابن قيس الرقيات في أمّ البنين]

قال بُديح : فلقِيت عُبيد الله بن قيسِ الرقيّاتِ فقلتُ له : بمَن نَسبتَ من هذا القطِين[1] ؟

1 القطين : الحشم والإماء .

فقال لي : [من الهزج]

ما تصنعُ بالشرِّ … إذا لَم تَكُ مجنونا
إذا قاسيت ثِقْل الشـ … ـرّ حَسَّاكَ الأَمرِّينا
وقد هِجتَ بما قد قُلْـ … ـتَ أمراً كان مدفونا

قال بُديح : ثم أخذ بيدي فخلا بِي وقال لي : يا بديح ، احفظ عنّي ما أقول لك فإنّك موضِع أمانة ؛ وأنشدني : [من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أُمّ البنيـ … ـن وذِكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ امرئ … لم يَقْلِ حملَ إخائها
من خيفةِ الأعداءِ أن … يُوهُوا أُديمَ صفائها
قُرشيّة كالشّمس أشـ … ـرَقَ نورُها ببهائها
زادت على البِيضِ الحسا … نِ بحسنها ونقائها
لما اسْبكرّت للشّبا … ب وقُنِّعت بردائِها[1]
لم تلتفِت لِلِداتها … ومضت على غُلَوائها

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأُوَل لحناً من الثقيل الأولِ عن الهِشاميّ عن يحيى المكيّ . وفي الرابع وما بعده لحُنينٍ لحنانِ : أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر ، والآخرُ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابنه وغيره . وغنّى إبراهيم الموصليّ في الأربعة الأول لحناً آخرَ من الثقيل الأولِ وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الثاني لابن مُحرِز .

قال : فقتل الوليد وضّاحاً ولم يجِد على كثيِّر سبيلاً . قال : وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجَتْ ولم تكلِّم أحداً ولَم يرها ، فقال لي : يا بُديح : [من المنسرح]

صوت

بان الخلِيطُ الذي به نثِقُ … واشتدّ دون المِليحة القَلَقُ
من دون صفراء في مفاصِلها … لِينٌ وفي بعض بطْشها خُرُقُ
إن خَتَمت جاز طِينُ خاتَمها … كما تجوز العَبْدِيّة العُتُقُ[2]

غنّى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمْح لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر ، عن عمرو ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحرز ، وهو ممّا يشبه غناءهما جميعاً وينسَب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .
2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . والصحيح أنّه لابنِ مسجح . وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّيّ . وذكر حبش أنّ لِسِياط فيها لحناً ماخُوريّاً بالوسطى . وفي هذه الأبيات زيادة يُغنّى فيها ولم يذكرها الزُبير في خبره ، وهي :

إنّي لأخْـلي لهـا الفِراش إذا قَصَّعَ في حِضْنِ زوجه الحَمِقُ[1]

عن غيرِ بغضٍ لهـا لديّ ولـ ـكن تلك مِنّـي سَجِيّة خُلُقُ

قال الزُبير : أراد بقوله في هذه الأبيات :

إن ختمت جاز طينُ خاتِمَها

أنّها كانت عند سلطان جائزِ الأمر . والعبدية هي الدنانير ، نسبها إلى عبد الملك . ثم وصل ابنُ قيس الرقيّات هذه الأبيات ، يعني الهائية ، بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال : [من مجزوء الكامل]

صوت

اسمـعْ أمير المؤمنيـ ـن لِمِدحتـي وثَنائها

أنـت ابن عائشة التي فَضَلت أُرُوم نسائها[2]

متعطّف الأَعْياصِ حو لَ سريرهـا وفِنائها[3]

وَلَـدَتْ أغـرَّ مُباركاً كالبـدر وسْطَ سمائها

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه . وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد .

[إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة في شعره]

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ : أن عبد الملك لمّا وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنه ، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول : [من مجزوء الكامل]

اسمـع أمير المؤمنيـ ـن لِمدحتي وثنائِها

أنـتَ ابن مُعْتَلج البِطا حِ كُدَيِّهـا وَكَدائِها[4]

ولِبَطْـنِ عائشةَ التـي فضَلَـت أرومَ نسائِها

---

1 قصّع : لزم البيت ولم يبرحه .

2 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

3 الأعياص من قريش : أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .

4 كدي وكداء : موضعان بمكة .

فلمّا أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلاّ «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسْحَنْفِر[1] الآن . قال : وعائشة أُمّ عبد الملك بنت معاوية بن المُغِيرة بن أَبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكّار .

وقد حدَّثنا به في خبر كثيِّر مع غاضِرةَ هذه بغير هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن أَبي عبد الرحمن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السَّدُوسيّ راوية كثيِّر قال : والله إنّي لأسير يوماً مع كثيِّر ، حتى إذا كنّا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أَميال) إذ أَنا بامرأة في رِحالةٍ[2] متنقِّبة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جَنابِي فسلّمتْ ثم قالت : مِمّن الرجل ؟ قلت : من أَهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثيِّر شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أَما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أَن أَرى كثيِّراً وأَسمعَ شعره ، فهل تروي قصيدته : [من الطويل]

أَهاجك برقٌ آخِرَ الليلِ واصِبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إيّاها إلى آخرها . قالت : فهل ترِوي قوله : [من الطويل]

كأنّك لم تسمعْ ولَم تَرَ قبلها تَفــرُّقَ أُلاّف لهــنّ حنينُ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزّةَ من أَيّام ذي الغُصْن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أَأَطلالَ سُعدى باللوى تَتعهّد

قلت : نعم وأنشدتها حتّى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلَم أَرَ مثلَ العين ضنّت بمائها عليّ ولا مثلي على الدَّمعِ يَحسُدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثيِّر أَحدٌ على الأرض . والله لأن أَكون رأيت كثيِّراً ، أو سمِعتَ منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذاكِ الراكبُ أَمامك ، وأَنا السائب راويته . قالت : حيّاك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثيِّر ؟

---

1 اسحنفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لكِ ويلك ! فقالت : أنتَ الذي تقول : [من الطويل]

إذا حُسرتْ عنه العِمامةُ راعها جميلُ المحيَّا أغفلتْه الدواهِنِ

والله ما رأيت عربيّاً قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأمَ منكَ . قال : أنتِ والله أقبح منى وألأم .

قالت له : أولسْتَ القائل : [من الطويل]

تَراهنّ إلاّ أن يؤدّين نظرةً بمُؤْخِرِ عينٍ أو يُقلّبن معصَما

كواظِمَ ما ينطِقْن إلاّ مَحُورة رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفَهَّما[1]

يحاذرْن منّي غَيْرةً قد عرفْنها قديماً فما يضحكْن إلاّ تبسُّما

لعن الله من يفرّق منك . قال : بل لعنكِ الله . قالت : أوَلست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَست فنِكها فإن عُطاسَها طرَفُ الوِداقِ[2]

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرِفني ولا مَن أنا . قال : والله إنّي لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرةِ . قالت : حَيَّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليَّ وجهاً ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ . قالت : أتعرفني ؟ قال : أعرف أنّك لئيمة من اللئام . فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضرة أمّ ولدٍ لبشْر بن مروان . قال : وسايَرَها حتى سندنا[3] في الجبل من قِبَل زَرود[4] . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بِشر بن مروان إن قدِمتَ عليه . قال : أفي سبِّكِ إيّاي أو سبّي إيّاكِ تضمنين لِي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلمّا قامت تودّعه سفَرَت ، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدّنيا وجهاً . فأَمَرتْ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شَدٍّ ما قبلِها وأمرتْ لِي بخمسة آلاف درهم . فلمّا ولَّوا قال : يا سائبُ أين نُعنّي أنفسَنا إلى عِكرمةَ ، انطلِق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لمّا فارقَتْنا : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضِرةَ الغوادي بغير مشيئةٍ عرضا فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثيّر وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان بن عيّاش

1 المحورة : الجواب .

2 الوداق في كل ذات حافر : الغلمة .

3 سندنا : علونا .

4 زرود : اسم جبل .

السعديُّ قال : كان كثيِّر يلقى حاجَّ المدينة من قريش بقُديد[1] في كلّ سنة ، فغَفَل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيْداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثَقالاً[2] واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قُديداً وقد كلّ وتعِب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلّف فتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرِد[3] . قال الفتى القرشيّ : فجلس كثيِّر إلى جنبي ولم يسلّم عليّ ، فجاءت امرأة وسِيمة جميلة ، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُديد واستقبلت كثيِّراً فقالت : آأنت كثيِّر ؟ قال : نعم : قالت : ابن أبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول : [من الطويل]

لعزّة أطلالٌ أبـت أن تكلّما

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها : [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جئتُ أجللْن مجلسي ... وأظهرْن منِّـي هَيْبـةً لا تَجهُّما

فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجِر وقال : مَن أنتِ ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل المولِيات اللواتي في الخِباء بقديد عنها ، فلم يخبِرنه شيئاً ، فضجِر واختلط . فلمّا سكن من شأوه[4] قالت : آأنت الذي تقول : [من الطويل]

متى تَحسِروا عنّي العِمامة تُبْصِروا ... جميـل المُحيَّـا أغفلته الدّواهنُ

أهذا الوجه جَميل المُحيّا ؟ إن كنتَ كاذباً فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين . فاختلط وقال : والله ما عرفتكِ ، ولو عرفتكِ لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلمّا سكن من شأوه قالت : آأنت الذي تقول : [من الطويل]

يروق العيون الناظراتِ كأنّه ... هِرَقليٌّ وزنٍ أحمرُ التّبرِ راجحُ[5]

أهذا الوجهُ يروق العيونَ الناظراتِ ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنّكِ وقومَك بالهجاء . ثم قام فالْتفتُّ في أثره ، ثم رجعت طرْفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد : لكِ الله عليّ إن أخبرتني مَن هذه المرأة لأطْوِينّ لكِ ثوبيَّ هذين إذا قضيتُ حَجّي ثم أعطِيكِهما . فقالت : والله لو أعطيتني زِنَتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكّة .
2 ثقالاً : بطيئاً .
3 أبرد : دخل في آخر النهار .
4 الشأو : الحزن .
5 الهرقليّ : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أخبرتك مَنْ هي ؛ هذا كثيِّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أُخبِره . قال الفتى القرشيّ : فرُحت والله وبي أشدُّ ممّا بِكثيِّر .

قال سليمان : وكان كُثيِّر دميماً قليلاً[1] أحمرَ أقيشِرَ[2] عظيمَ الهامةِ قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنّى به

منها : [من الطويل]

صوت

أشاقك بـرقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ تضمَّنه فـرْش الجَبا فالمسارِبُ[3]

كما أَوْمَضَتْ بالعينِ ثم تبسَّمتْ خريعٍ بدا منهـا جبينٌ وحاجِبُ[4]

وهَبْـتُ لِليـلى مـاءه ونباتَـه كما كلُّ ذي وُدّ لَمـن ودّ واهِبُ

عروضه من الطويل . الواصِب : الدائم ، يقال وصب يصِب وُصُوباً أي دام . قال الله سبحانه : ﴿وَلَهُ الدِّينُ واصِباً﴾ أي دائماً .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لِعزّة مـن أيّامِ ذي الغُصْنِ شاقني بِضاحِـي قَـرارِ الرَّوضَتينِ رُسُومُ

هي الدار وَحْشاً غير أَن قَدْ يَحُلُّها ويَغْنى بِهـا شخصٌ عـليَّ كريمُ

فما برسوم الدَّارِ لو كنتَ عالِماً ولا بالتِّـلاع المُقْويـاتِ أَهِيمُ

سألت حكيماً أين شطَّت بِها النَّوى فخبَّرَني مـا لا أُحِـبُّ حكيمُ

أَجـدّوا فأمَّا آلُ عـزَّة غُدوة فبانـوا وأمَّـا واسط فمقيمُ[5]

لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى بغـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ

حكيمٌ هذا هو أبو السائبِ بن حكيم راوية كثيّر . ذكر ذلك لنا اليزيديّ عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما في الثلاثة الأوَل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحَبشٍ ، وفي الثلاثة الأُخَر التي أوّلها :

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .

2 الأقيشر : مصغّر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .

3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .

4 الخريع : المرأة الحسناء .

5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطَّتْ بهـا النوى

له أيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حَبَشٌ خاصةً أنّ فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشاميّ. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة ألحان: ثقيل أوّل وخفيفه، وخفيفُ رمل.

أُخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني المؤمَّليّ أنّ ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثيِّر: [من الطويل]

لعزَّةَ من أيّامِ ذي الغصن شاقني بِضاحـي قَـرار الروضتين رسومُ

يَتحازنُ حتى نقول: إنّه يبكي.

[تمثّل الحزين الكنانيّ بشعر لكثيِّر]

أُخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي عن الضَّحَّاك بن عثمان قال: قال عروةُ بن أذينة: كان الحزين الكنانيّ الشاعرُ صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قَيْنةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها، فبِيعت وأُخرجتْ عن المدينة، فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسِفٍ، فقال له أبي: يا أبا حكيمٍ ما لك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيِّر: [من الطويل]

لَعَمرِي لئن كان الفؤادُ من الهَوى بَغـى سَقمـاً إنّـي إذاً لَسقيمُ
سألت حكيماً أين شطّت بها النّوى فخبَّرني مـا لا أُحِـبُّ حكيمُ

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

[قصيدة كثيِّر في عزّة لمّا أخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثيِّر في عزّة لمّا أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها: [من الطويل]

ولست براءٍ نحْـوَ مصرَ سحابةً وإن بَعُـدَتْ إلاّ قعدتُ أشيمُ[1]
فقد يوجَد النِّكْسُ الدنيّ عن الهوى عَزُوفاً ويَصبو المـرء وهْـوَ كريمُ
وقـال خليـلي ما لهـا إذ لقيتَها غـداةَ الشَّبا فيهـا عليك وُجومُ[2]
فقلـت لـه إن المـودّة بيننا على غير فُحْشٍ والصفـاءُ قديمُ
وإنّي وإن أعرضتُ عنهـا تجلُّدا على العَهْـدِ فيمـا بيننـا لَمُقِيمُ

1 أشيم: أنظر.
2 الشبا: واد بالأثيل من أعراض المدينة.

وإن زماناً فرَّقَ الدَّهرُ بيننا وبينكُمُ في صرفِهِ لَمشُومُ
أَفي الحقِّ هذا أنَّ قلبَكِ سالِمٌ صحيحٌ وقلبي في هواكِ سَقيمُ
وأنّ بجسمي منكِ داءً مخامراً وجسْمُكِ موفورٌ عليكِ سليمُ
لعمرُكِ ما أَنْصفتِني في مودَّتي ولكنّني يا عزَّ عنْكِ حليمُ
فإمّا تَرَيْني اليومَ أُبْدِي جَلادةً فإنِّي لعمري تحت ذاكِ كَليمُ
ولسْتُ ابنةَ الضَّمْرِيِّ منكِ بناقِمٍ ذُنوبَ العِدا إنّي إذاً لَظَلومُ
وإنّي لَذُو وجْدٍ إذا عاد وصلها وإنّي على ربِّي إذا لكريمُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

لعـزَّةَ أَطْلالٌ أَبَتْ أن تكلَّما تهيجُ مغانيها الفؤادَ المتيَّما
وكنتُ إذا ما جئْتُ أجلَلْنَ مجلسي وأظهرنَ منّي هيبةً لا تَجهُّما
يُحاذِرْنَ منّي غَيْرَةً قد عرفنها قَديماً فما يضحكْنَ إلاّ تبسُّما

عروضه من الطويل . غنّى فيه مالك بن أبي السَّمْح لحنين عن يونس . أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغيرُه ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن حَبَشٍ ، وفيه لابن مُحرِز خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو والهشاميّ . وغيره يقول : إنّه لحن مالك . وفيه لابن سُرَيج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارونُ قال حدَّثني مَن أَثِق به عن مسرور الخادم : أنّ الرشيد لمّا أراد قتل جعفرِ بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحداً بتّة . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليومَ بمَن تأنس به واصطَبح فإنّي مصْطَبِح مع الحُرَم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولَم يزل برّ الرشيد وألطافه[1] وتُحفه وتحياته تَتابع إليه لئلاّ يستوحش . فلمّا كان في الليل دعاني فقال لي : اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضَمَّ إليّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزلَه . وإذا أبو زَكّار الأعمى يغنّيه بقوله : [من الوافر]

فلا تَبْعَدْ فكلّ فتًى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجِب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللّطف ، بالتحريك : واحد الألطاف ، وهو الهدية .

جعلني الله فداءك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال : الله الله ، راجعْ أميرَ المؤمنين فيّ . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأَعْهَدُ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بَقيتْ واحدة . قلت : هاتِها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أُخاطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعاوِدْه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكّار الأعمى : نشدتُك اللهَ إن قتلتَه إلاّ ألحقتَني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أُعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغناني عمّن سواه ، فما أحبّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكّلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلمّا رآني قال : أين رأسه ويلَك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى ، فلمّا كان بعد مدّة أمرني بإحضاره ، فأحضرته ، فوصله وبرّه وأَمَر بالجِراية عليه .

[شعر في خولة غنّى فيه]

صوت

[من الوافر]

قِفـا في دار خولةَ فاسألاها ... تَقـادمَ عهدُهـا وهَجرْتُماها

بمِحْلالٍ يفـوح المسكُ منه ... إذا هبَّـت بأبْطَحه صَباها[1]

أَتَرْعى حيثُ شاءَت من حِمانا ... وتمنعُنا فـلا نرعـى حِماها[2]

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فَزارة . والغناءُ ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّه لمعبَد ، وذَكَر عنه في موضع آخر أنّه لابن مِسْجَح . وطريقتُه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى .

1 المحلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

2 فلا في ل : إذا .

218 ـ [أخبار منظور بن زبّان]

[نسبه]

وهذا الشعر يقوله الفَزاريّ في خَوْلة بنتِ منظور بن زَبّان بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وكان منظورُ بن زَبَّان سيدَ قومه غيرَ مدافَع ، أمّه قِهطِم بنت هاشم بن حَرْمَلةَ ، وقد ولدَتْ أيضاً زُهَير بن جَذِيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد مَن طالَ حَمْلُ أمّه به .

[سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكّار أجاز لنا الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطّوسيّ روايتَه عنهما ممّا حدّثا به عنه حدَّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عَدِيّ . قال الزّبير وقد حدَّثني هذا الحديث أيضاً إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدَّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً : حملت قهْطِم بنتُ هاشمٍ بمنظور بن زبَّانَ أربعَ سنين ، فولدته وقد جَمع فاهُ فسمّاه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة : [من الكامل]

مـا جئتَ حتّى قيل ليس بـواردٍ ... فسُمّيتَ منظوراً وجئْتَ على قدْرِ

وإنّي لأَرجـو أن تكونَ كَهاشمٍ ... وإنّي لأَرْجُـو أن تسودَ بَني بَدْرِ

[تزوّج مليكة زوج أبيه ففرّق عمر بينهما فتبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن الكلبيّ وابن عيّاشٍ ، وذكر بعضَه الزُّبير بن بكّارٍ عن عمِّه عن مجالد : أنّ منظورَ بن زبّان تزوّج امرأة أبيه ، وهي مُلَيْكةُ بنت سِنانَ بن أبي حارثة المُرّيّ ، فولدت له هاشماً وعبد الجبَّار وخَوْلَةَ ، ولَم تزلْ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطّابِ رضي الله عنه . وكان يشربُ الخمرَ أيضاً ، فرُفِع أمرُه إلى عُمَر ، فأحضره وسأله عمّا قيل ، فاعترف به وقال : ما علِمت أنّها حرام . فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر ، ثم أحْلفه أنّه لم يعلم أنّ الله جلَّ وعزَّ حرّم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يميناً . فخلّى سبيلَه ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنّك حلفتَ لضربت عنقَك .

قال ابن الكلبيّ في خبره : إنّ عمرَ قال له : أتنكِحُ امرأة أبيك وهي أُمّك ؟ أو ما علِمتَ أنّ هذا نِكاح المقتِ[1] ! . وفرّق بينهما . فتزوّجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أنْ يتزوّج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبيّ في خبره : فلمّا طلّقها أَسِف عليها وقال فيها : [من الطويل]

ألا لا أُبالي اليومَ مـا صَنَع الدّهرُ إذا مُنِعتْ منّـي مُلَيكَةُ والخمرُ
فإن تَكُ قد أَمسَتْ بعيداً مَزارُها فحَيٍّ ابنةَ المـرّيِّ مـا طَلَعَ الفجْرُ
لَعَمْرِيَ مـا كانتْ مُلَيكـةُ سَوْءَةً ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمـرُ أبـي ، دِيـنٌ يُفَرِّق بيننا وبينَـك قَسْراً إنّـه لَعظيمُ

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيينة بن حصْن بن حُذيفة لمنظور : [من البسيط]

لَبِئس مـا خلـفَ الآبـاءَ بعدَهُمُ في الأُمَّهاتِ عِجالُ الكلبِ منظورُ
قد كنْتَ تَغمِزُها والشيخ حاضِرُها فالآن أنـت بطُـول الغمزِ مغْذُورُ

[تزوّجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أَبو الفرج الأصفهاني : أَخطأَ ابن الكلبيّ في هذا . وإنّما طلحةُ بن عبيد الله الذي تزوّجها ؛ فأَمّا محمد فإنّه تزوّجَ خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أَعرجَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فتزوّجها الحسن بن عليٍّ عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحةَ نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن عليّ بعضَ ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال عليّ عليه السلام ، فقال الحُسينيّ لأَمير المدينة : هذا الظالم الضالِع[1] الظالِع ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إنّي لأُبغِضُك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قَتَل أَبي أَباك وجدَّك ، وناكَ عمِّي أُمَّك ؟ ، لا يَكني ، فأمر بهما فأُقِيما من بين يدي الأَمير .

[لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبيّ قال : فلمّا فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مُليكةُ ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلّمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حِرِ مُليكة ؟ قال : كما رأيتَ أثَر أيرِ أبيك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوّج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له

1 الضالع : الجائر .

إبراهيم وداود وأُمّ القاسم بني محمد بن طلحةَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فخَلَف عليها الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزاميّ عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور ، زوّجه إيّاها عبد الله بن الزُّبير وكانت أُختُها تحتَه .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسن قال حدَّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظورَ بن زبَّان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنَتِه ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلاّ دخل تحتها ، فقيل لمنظور بن زبّان : أين يُذْهَبُ بك ؟ تَزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلمّا كان بقُباءٍ جَعلتَ خولةُ تُندِّمُه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة . فقال : تلبَّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحِقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عبّاس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفير العبْسيّ : [من البسيط]

إنّ النَّدى من بني ذُبيانَ قد عَلِموا والجُودَ في آل منظورِ بنِ سيَّارِ

الماطِرين بأيديهم نَدًى دِيَماً وكلَّ غيثٍ من الوَسْمِيّ مِدرارِ[1]

تَزُورُ جاراتِهم وهْناً فواضِلُهم وما فَتاهم لها سرّاً بِزوّارِ[2]

تَرضى قريشٌ بهم صِهراً لأنفسهم وهُمْ رضاً لبني أختٍ وأصهارِ

[لمّا أسنّت خولة بنته برزت للرجال وغنّاها معبد بشعر قيل فيها فطربت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن مَعْبَد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلمّا أسنَّت مات عنها أو طلَّقها ، فكشفَت قِناعَها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتُها ذات يوم أُطالبها بحاجةٍ ، فغنّيتها لَحْني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فَزارة ، وكان خَطَبها فلم يُنكِحها أبوها : [من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .

2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قِفـا في دار خولـة فاسألاها ... تقـادم عهدُهـا وهَجرتُماها

بمحـلالٍ كأنّ المسك فيـه ... إذا فاحـت بأبطَحِـه صَباها

كأنّكِ مُزْنَـةٌ بَرقَـت بلَيْلٍ ... لِحِـرّانٍ يُضِيءُ لـه سَناها

فلـم تُمْطِرْ عليـه وجاوزَتْه ... وقد أشْفى عليهـا أو رَجاها

ومـا يَمْـلا فُؤادي فاعلَميه ... سُلُوُّ النّفسِ عنـكِ ولا غِناها

وتَرعى حيث شاءَت من حِمانا ... وتمنعُنا فَـلا نَرْعـى حِماها

قال : فطرِبت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قَطَن ، أنا والله يومئذٍ أحسَنُ من النارِ الموقَدةِ في الليلة القَرَّةِ .

صوت

[من الكامل]

للّهِ درّ عِصابـةٍ صاحبْتُهـم ... يومَ الرُّصافةِ مثلُهُم لم يُوجدِ

متقلّديـن صَفائحـاً هِنْدِيّـة ... يتركْن مَن ضَرَبُوا كأن لم يُولَدِ

وغدا الرّجال الثائرون كأنّما ... أبصارهم قِطَعُ الحديدِ الموقَدِ

عروضه من الكامل . الشعر للجحّافِ السُّلميّ الموقِع ببني تغلِب في يوم البِشر . والغناء للأَبْجَرِ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] ـ خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعيّ بن مُحاربيّ بن فالج بن ذَكْوانَ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور .

[قصّته يوم البشر وسبب ذلك]

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليٌّ بن سليمان الأخفش قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ عنِ محمد بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيّ ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ وحبيبُ بن نصرٍ المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبَّةَ ، وقد جَمَعْتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب : أنّ عُميرَ بنَ الحُباب لمّا قَتَلَتْهُ بنو تغلِب بالحشّاكِ ، وهو إلى جانب الثَّرْثار ، وهو قريبٌ من تَكْريتَ ، أتى تميمُ بنُ الحُباب أخوه زُفَرَ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكرِه ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُباب بمَن تَبِعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العُقَيْليّ . فلمّا توجّهوا نحو بني تغلِبَ لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألقَ الشَّيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنّه لعارٌ عليك ، ولئن ظفِروا إنّه لأشدّ ؛ قال زُفَر : فاحبِس عليّ القوْمَ ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحَرَّضهم ، ثم شخَص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ، وسار حتى انتهى إلى الثَّرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجَّه زُفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء إلى بني فَدَوْكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرىء القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيلَ إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسْلِمَ بن ربيعة إلى ناحية أُخرى فأسرع في القتل . وبلغَ ذلك بني تَغْلِبَ واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة ، فلحِقهم زُفَرُ بالكُحَيْل ، وهو نهرٌ أسفل الموصِل ، مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوهم من لَيْلَتهم ، وبَقَرُوا ما وجدوا من النساء . وذُكِر أن مَن غرِق في دِجلة أكثرُ مِمَّن قُتِل بالسيف ، وأنّ الدم كان في دِجلة

قريباً من رَمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أنّ زفرَ دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل ، فتذامروا[1] وقالوا : لئن قُتِل شيخُنا لَما صَنَعْنا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دِجلة يصيح بالناس ، وتغلِبُ قد رمَت بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنّهم أُحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاّ يلقَوْا أحداً إلاّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبِل الشَّمال في جماعة مِنْ أصحابه ، حتّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ[2] بالكُحَيل أحداً ، والكُحَيلُ على عشرة فراسخَ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قِبلَ رأس الأثيل ، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلِب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلِبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تَغلِب ليلة الهرير . ففي ذلك يقول زُفَر بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنّها لغيره : [من الوافر]

ولمّا أن نعى النّاعي عُمَيْراً ... حسبتُ سماءهم دُهِيت بليلِ

دهِيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنّ ليلاً دهاها .

وكان النجمُ يطلُعُ في قَتامٍ ... وخاف الذُّلَّ مِنْ يَمَن سُهَيْلُ[3]
وكنتُ قبيْلَها يا أُمَّ عمرٍو ... أُرَجِّلُ لِمَّتي وأَجُرُّ ذيلي[4]
فلو نُبِش المقابرُ عن عمير ... فيخبَرَ مِنْ بلاء أبي الهذيلِ
غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتّى ... جرى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ
قبيلٌ يَنْهَدون إلى قبيلٍ ... تساقى الموت كيلاً بعد كيلِ

وفي ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطل : [من الكامل]

أَنسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقِبُه عليك وبالا !
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها ... شُعْثاً عوابسَ تحمِل الأبطالا

---

1 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
2 ل : يخلّف .
3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .
4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

ما زلتَ تحسِبُ كلّ شيء بعدهم خيــلاً تكُـرُّ عليكمُ ورجالا
زفرُ الرئيسُ أبـو الهذيل أبارَكم فسَبى النساء وأحـرز الأموالا

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفرّ إلى الروم]

فلمّا أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتِل عبد الله بن الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بنِ مروانَ ، وتكافَّتْ قيس وتغلِبُ عن المَغازي بالشام والجزيرة ، وظنّ كلٌّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلّم عبدُ الملك في ذلك ولم يُحْكم الصلح فيه ، فبينا هـم على تلك الحـال إذ أنشد الأخطـلُ عبدَ الملك بن مـروان وعنده وجوه قيس قولَه : [من الطويل]

ألا سائِل الجحّافَ هــل هو ثائرٌ بِقَتْلى أُصِيبتْ مِــنْ سُلَيْم وعامرِ
أجحّافُ إنْ نهبِطْ عليك فتلتقي عليك بحــورٌ طامِيــاتُ الزواخرِ
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى بِــهِ البحرُ تزهاهُ ريـاحُ الصراصِرِ[1]

فوثب الجحّاف يجرّ مُطْرَفه وما يَعْلَمُ من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلاّ قد كَسَبْتَ قومَك شرّاً . فافتعل الجحّاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلِب ، وصحبِه من قومه نحوٌ من ألف فارسٍ ، فثار بهم حتّى بلغ الرُّصافة ، قال : وبينها وبين شطّ الفرات ليلةٌ ، وهي في قِبْلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعرَ الأخطل ، وقال لهم : إنّما هي النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فَلْيُقْدِم ومن كرِه فلْيَرْجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خير وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْنَ بعدُ رؤبة[2] من الليل ، وهي في قِبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبّحوا عاجنة الرَّحوب في قِبلةِ صُهَيْنَ والبِشر ، وهو وادٍ لبني تغلِب ، فأغاروا على بني تغلِب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومَن كانت غيرَ حامـل قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره : سمعت أبي يقول : صعِد الجحّافُ الجبلَ ، فهو يوم البِشر ، ويقال له أيضاً يومُ عاجنة الرَّحوب ، ويومُ مخاشِن ، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر ، وهو مرج السَّلَوْطَح لأنّه بالرحوب ، وقَتَل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ ، ففي ذلك يقول جرير له : [من الوافر]

شرِبتَ الخمر بعـد أبي غِياثٍ فلا نعِمت لك السَّوءات بالا[3]

قال عمرُ بن شبّة في خبره خاصّةً : ووقع الأخطلُ في أيديهم ، وعليه عباءةٌ دَنِسة ، فسألوه

1 زهت الريح الشجر تزهاه : هزّته وحرّكته .
2 رؤبة : قطعة ، وأصلها القطعة يسدّ بها ثلمة الإناء .
3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنّه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَفّار في ذلك : [من الكامل]

لَـم تنـج إلاّ بالتعبُّدِ نفسُه لَـمَّـا تيقّـن أنّـهمْ قـومٌ عِدا
وتشابهت بُـرْقُ العَباء عليهمُ فنجا ولو عرفـوا عباءته هوى[1]

وجعل يُنادي : مَن كانت حاملاً فإليّ ، فصعِدْنَ إليه ، فجعل يبقَرُ بطونهنّ . ثم إنّ الجحّاف هرب بعد فِعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحِق الجحافَ عُبَيدَةُ بن همامٍ التغلبيّ دون الدَّرْبِ ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابَه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فإن تَطْرُدوني تطردوني وقد مضى من الوِرْدِ يـومٌ في دماء الأَراقمِ[2]
لدن ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تَلَبَّسَتْ ظلاماً بركض المُقْرَبات الصلادِمِ[3]

[رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثّل بشعر الأخطل]

حتّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلَّمتْهُ القَيْسيّة في أن يُؤَمِّنه ، فَلانَ وتلكأ ، فقيل له : إنّا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مُقامُه بالرّوم ؛ فأمّنه ، فأقبل فلمّا قدِم على عبد الملك لقِيه الأخطلُ فقال له الجحاف : [من الطويل]

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتَني على القتل أمْ هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إنّـي أطعتُـك في التي حضضتَ عليها فعلَ حَرّانَ حازمِ
فإن تدعُني أخرى أُجِبْك بمثلها وإنّي لَطَبٌّ بالوَغـى جِـدُّ عالِمِ

قـال ابـن حبيب : فزعمـوا أنّ الأخطـلَ قـال لـه : أراك والله شيخَ سَوْءٍ . وقـال فيـه جرير : [من الطويل]

فإنّـك والجحافَ يـوم تَحُضُّه أردتَ بذاك المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ
بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِـئُ اللهُ دمعَه ألا إنّما يبكـي مِنَ الذُّلِّ دَوبلُ[4]

---

1 الأبرق : كلّ شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .
2 الأراقم : حيّ من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سمّوا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .
3 المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قريبة معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .
4 رقأ الدمع : جفّ وسكن . الدويل : الخنزير أو ولده .

وما زالت القتلى تَمورُ دماؤهم بدِجلة حتى ماءُ دجلةَ أَشْكَلُ[1]

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سَمَّتْني أُمّي دَوْبلاً إلاّ وأنا صبيٌّ صغير ثم ذهب ذلك عنّي لما كبِرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أُوقع الجحّافُ بالبِشْرِ وقعةً إلى اللهِ منها المُشْتكى والمُعَوَّلُ

فسائل بني مروان ما بالُ ذمّةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوصَّلُ

فإلاّ تُغَيِّرْها قريش بمِلْكِها يكن عن قريشٍ مسترادٌ ومَزْحَلُ[2]

[حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أينَ يا ابنَ النَّصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى لك لو قلتَ غيرها ؛ قال : ورأى عبدُ الملك أنّه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِمِ الأمر ، فأمر الوليدَ بنَ عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحّاف قتلى البِشر ، وألزمه إيّاها عقوبةً له ، فأدّى الوليد الحِمالات ، ولم يكن عند الجحّاف ما حُمِّل ، فلحِق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنّه من هوازن ، فسأل الإذنَ على الحجّاج ، فمنعه . فلقي أسماءَ بنَ خارجة ؛ فَعَصَبَ حاجته به فقال : إنّي لا أَقدِرُ لك على منفعة ، قد علِم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا أُلْزِمُها غيرك أَنْجَحَتْ أو أَكْدت[3] ، فلمّا بلغ ذلك الحجّاج قال : ما له عندي شيء ، فأبْلِغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكونَ أنت الذي تُوئسُه فإنّه قد أبى ، فأذن له فلمّا رآه قال : أعهدتني خائناً لا أبا لَكَ ! قال : أنت سيّدُ هوازن ، وقد بدأنا بِك ، وأنت أميرُ العراقين[4] ، وابنُ عظيم القريتين[5] ، وعَمالتُك في كلّ سنة خمسمائة ألفِ درهم ، وما بِك بعدها حاجة إلى خِيانةٍ ؛ فقال : أشهد أنّ الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفُها العام ، فأعطاه وادَّوا البقية .

[تنسك وخرج إلى الحجّ في زيّ عجيب]

قال : ثم تألّه[6] الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحجّ ، فأذِن له ، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبرَوا أنوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها

1 أمار الدم : جرى ، والأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .
2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعد .
3 أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .
4 العراقان : الكوفة والبصرة .
5 القريتان : مكة والطائف .
6 تألّه : تعبّد وتنسّك .

البُرى[1] ، ومشوا إلى مكّة فلمّا قدِموا المدينة ومكّة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويَعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ اغفِرْ لي وما أُراك تفعل ؛ فقال له ابنُ عمر : يا هذا ، لو كنت الجحافَ ما زِدت على هذا القول ؛ قال : فأنا الجحافُ ، فسكت . وسمِعه محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك !

قال عمر بن شبّة في خبره : كان مولد الجحّاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحويُّ : كان الجحافُ معي في الكتابِ ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولمّا أمّنه عبد الملك دخل عليه في جُبَّةِ صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدْني بعضَ ما قلتَ في غزوتك هذه وفَجْرَتِك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صبرتْ سليـمٌ للطعان وعامرٌ ... وإذا جزِعنا لَم نَجِد مَن يصبِرُ

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر مَن يصبر ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحــنُ الذين إذا علَوا لَمْ يَفْخَروا ... يــوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقتَ ، حدَّثني أَبي عن أَبي سفيان بن حرب أنّكم كنتم كما وصفت يومَ فتحِ مكّةَ .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حُدِّثْتُ عن الدمشقيّ عن الزبير بن بكّار ، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنّه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضرٌ في مجلسه ينشد : [من الطويل]

ألا سائِل الجحّاف هل هــو ثائرٌ ... بِقَتْلى أُصيبت مــن سليم وعامِرِ

قال : فتقبّض وجهُه في وجه الأخطل ، ثم إنّ الأخطل لمّا قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعَــمْ سوفَ نَبْكِيهِم بكــلّ مُهَنَّدٍ ... ونبْكِي عميراً بالرماحِ الخواطرِ[2]

ثم قال : ظننتُ أنّك يا ابن النصرانية لم تكن تجترىء عليَّ ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوْعده ، فما برح الأخطلُ حتّى حُمَّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه ؛ قال : هذا أجرْتَني منه يقظانَ ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال : فأمّا قولُ الأخطل : [من الطويل]

---

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتزّ فهو خاطر والجمع خواطر .

أَلا سائل الجحافَ هل هــو ثائرٌ بقتــلى أُصيبتْ مــن سُلَيم وعامرِ

فإنّه يعني اليوم الذي قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُباب السُّلميّ .

وكان السببُ في ذلك فيما أُخبرني به عليّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيد السكريُّ عن محمّد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل : أنّ قيساً وتغلب تحاشدوا لِما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بِمَرْج راهطٍ ، فكانوا يتغاورون[1] . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوْباذ وما حوله ، وجَلَبَتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها ، إلاّ أنّ بكر بن جُشَم لم تجتمع أُحلافُهم من النَّمرِ بنِ قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم . وكانت تغلبُ بدوًا بالجزيرة لا حاضرة لها إلاّ قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعةَ وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلِب ، وأرسلت تغلِبُ إلى مهاجِريها وهم بأذْرَبيجان ، فأتاهم شعيبُ بنُ مُلَيْل في ألفيّ فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أيا أَخَوَيْنــا مــن تميم هُدِيتُما ومن أسدٍ هــل تسمعانِ المُنادِيا

أَلَم تعلما مُذْ جاء بكرُ بنُ وائل وتغلِــبُ ألفافــاً تَهُــزّ العواليا

إلى قومِكم قــد تعلمــون مكانهم وهم قُرْبُ أُدنى حاضِرين وبادِيا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكـر بن وائـلٍ المُجَشَّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذُهلٍ بن شيبان ، وكان من سادات شيبانَ بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميمُ بن الحباب بعد يوم الحشّاك : [من الطويل]

فإن تحتجزْ بالمــاء بكرُ بنُ وائلٍ بنــي عمّنــا فالدَّهــر ذو مُتَغيِّرِ

فسوف نُخيضُ الماء أو سوف نلتقي فنقتصَّ من أبنــاء عــمّ المُجَشَّرِ[2]

وأتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مُرّة في جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار ، فقُتِلٍ . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله بنُ زيادِ بن ظَبْيان ، ورهصة بنُ النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همّام ، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزبير على أبانِ بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السببِ كانت فُرْقَةُ عبيد الله لمصعبٍ ، وجمعت تغلِبُ فأكثرت ، فلمّا أتى عميراً كثرةُ مَن أتى من بني تغلِب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم : [من الوافر]

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أُناديهم وقد خَذَلَتْ كلاب ... وحولي من ربيعةَ كالجِبالِ
أُقاتِلُهم بحيّ بني سُلَيْمٍ ... ويَعْصُرَ كالمصاعِيبِ النِّهالِ[1]
فِدًى لفوارس الثرثار قومي ... وما جَمَّعْتُ من أَهلي ومالي
فإمّا أُمْسِ قد حانت وفاتي ... فقد فارقتُ أعصرَ غير قالِ
أَبَعْدَ فوارسِ الثرثار أَرجو ... ثَراءَ المالِ أَو عددَ الرِّجالِ ؟

ثم زحف العسكرانِ ، فأَتت قيسٌ وتغلِبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والكُحَيْل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بنُ مُلَيْلٍ وثعلبةُ بنُ نِياطٍ التغلبيّان قدِما في أَلفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لِبٌّ على شاطىء دِجلةَ بين تكريت وبين الموصِل ، ثم توجّهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخِنِ[2] قَيس ، فقال لثعلبة بن نِياط : سِر بنا إليهم ، فقال له : الرأيُ أن نسير إلى جماعةِ قومِنا فيكون مقاتلُنا واحداً ، فقال شعيبٌ : والله لا تَحَدَّثُ تغلِبُ أنّي نظرتُ إلى دواخِنِهم ثم انصرفتُ عنهم ، فأَرسل ناساً من أَصحابه قُدَّامه وعميرٌ يقاتِل بني تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلِب حنظلةُ بنُ هَوْبَرٍ ، أَحدُ بني كنانة بن تميم ، فجاء رجلٌ من أَصحاب عميرٍ إليه فأَخبره أنّ طلائع شعيب قد أَتته ، وأَنّه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوبرٍ ، ومضى هو في جماعة من أَصحابه ، فأَخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلّهم غيرَ رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قَتَبُ بنُ عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أَخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أَتاك شعيب بن مليل في أَصحابه . وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيباً ، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ ، فقاتل معه القيسيّة ، فقُتِل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فما صُلِّيت العصر حتى قُتِل شعيب وأَصحابه أَجمعون ، وقُطِعت رِجلُ شعيب يومئذٍ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول : [من السريع]

قد علِمت قيسٌ ونحن نعلم ... أَن الفتى يفتِك وهْوَ أَجذَمُ[3]

فلما قتِل شعيب نزل أَصحابه ، فعقروا دوابَّهم ، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عمير قتيلاً قال : من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقِيراً فها هو ذا . وجعلت تغلِبُ يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول : [من الرجز]

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .
2 الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .
3 أجذم : أقطع .

انْعَوَا إياساً واندُبوا مُجاشعاً كلاهما كان كريماً فاجِعا

وَيْهِ بني تغلب ضرباً ناقِعا[1]

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأَبلغ بني تغلِب مقتل شعيبٍ ، فحمِيتْ على القتال وتذامرت على الصبرِ ، فقال مِحصنُ بنُ حصين بن جنجور أحدُ الأبناء : مضيت أنا ومَن أَفْلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهِباً في صومعته ، فسأَلنا عن حالنا ، فأَخبرناه ، فأَمر تلميذاً له ، فجاءه بِخِرَق فداوى جِراحَنا ، وذلك غداةَ يوم الجمعة . فلمّا كان آخر ذلك اليوم أَتانا خبرُ مقتلِ عمير وأَصحابه ، وهرب مَن أَفلتَ منهم : [من الخفيف]

صوت

إنَّ جنبي على الفراش لنابِ كتجافي الأَسَرِّ فوق الظِّرابِ

من حديثٍ نَمى إليّ فما أَطْـ ـعَمُ غُمْضاً ولا أُسيغُ شرابي

لِشُرَحْبِيلَ إذ تعاوَرَه الأر ماحُ في حالِ شدَّة وشبابِ

فارس يطعَنُ الكُماةَ جريء تحته قارِحٌ كلونِ الغرابِ[2]

عروضه من الخفيف . الأَسَرّ : البعيرُ الذي يكون به السَّرَرُ ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرَتِه ، لا يقدرُ أن يَبْرَكَ إلاّ على موضعٍ مُسْتوٍ من الأرض ، والظرابُ : النشوزُ والجبال الصغار ، واحدها ظِربٌ . والشعرُ لِغَلْفاءَ ، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرار الكِنديّ يرثي أُخاه شُرَحبِيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

1 ويه : إغراء وتحريض .

2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

220 ـ [قصة يوم الكُلاب الأول]

وكان السببُ في مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليٌّ بن سليمان الأخفشُ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباد ملك فارسَ لَمّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النُّعمان بن الشُّقَيِّقة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّي ذا القرنين لأنّه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذرَ الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولدِه ، فانطلقت ربيعة إلى كِندة ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، فملَّكوه على بكر بنِ وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكُنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذرَ بجيش . فلمّا رأى ذلك المنذِرُ كتب إلى الحارث بن عمرٍو : إنّي في غير قومي ، وأنت أحقّ مَنْ ضَمَّني ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوّله إليه وزوَّجه ابنته هنداً . ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرَحبيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيّد ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرِّبابِ ، وصار معدِيكربُ بن الحارث ، وهو غَلْفاء ، في قيس ، وصار سَلَمة بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة . فلمّا هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه ، وتفرّقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحبيل ومَنْ معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكُلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومَن معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رقيَّة ، وهي أُمٌّ لهم ينتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكُلاب . وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلَمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوء مغبّتها ، فلم يقبلا ولم يبرحا ، وأبيا[1] إلاّ التتابعُ واللجاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بنُ حُجْر في ذلك : [من السريع]

أنَّى عليّ استتبَّ لومُكما ... ولَم تلوما عَمْراً ولا عُصُما
كَلاَّ يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالَنا بني جُشَما
حتى تزور السباعُ ملحمةً ... كأنّها من ثمودَ أوْ إرَما

---

1 ل : وأقاما على .

وكان أوّلَ من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيان بن مُجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تَغْلب مع إخوته لأمّه ، فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنين له ، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعةَ بن ذُهْل بن شيبان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيـخُ شيخٌ ثكـلانْ والجوفُ جوفٌ حرّانْ
والـوردُ وردٌ عجـلانْ أنْعى مُـرّةَ بـنَ سُفْيانْ

وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الوافر]

شيوخٌ منهُمُ عُدُسُ بنُ زيد وسفيانُ الذي ورد الكُلابا

وأوّل مَن ورد الماء من بني تغلب رجلٌ من بني عبدِ بن جُشَمَ يقال له النُّعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبدُ يغوث بن دَوْسٍ ، وهو عمّ الأخطل ـ دوسٌ والفَدَوْكَسُ أخوان ـ على فرس له يقال له الحَرُون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمةُ ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذٍ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زُهَير بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إنّ الكُلاب ماؤنـا فَخَلُّوه وساجراً والله لَن تَحُلُّوهُ[1]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثَبَتَ بعضُهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النّهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلة وعمرُو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائلٍ : بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمةَ : مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل ، وكان شُرَحْبيل نازلاً في بني حنظلةَ وعمرو بن تميم ، ففَرُّوا عنه ، وعَرَفَ مكانه أبو حَنَش ، وهـو عُصْمُ بنُ النُّعمان بن مالكِ بن غياثٍ بن سعدِ بن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيب ، فَصَمَدَ نحوه ، فلمّا انتهى إليه رآه جالساً وطوائفُ الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه . ويقال إنّ بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ ، فلحِقه ذو السُّنَيْنَة ـ واسمه حبيب بن عُتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ ـ فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبته ، فأطنّ[2] رجلَه ، وكان ذو السنينة أخا أبي حَنَشٍ لأمّه ، أُمُّهما سَلْمى بنتُ عديّ بن ربيعة بنتُ أخي كليبٍ ومهلهلٍ ، فقال ذو السنينة : قتلني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلني الله إنْ لم أقتلْه ، فَحَمَلَ عليه ، فلمّا غَشِيَه قال : يا أبا حنش ،

---

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .
2 أطنّ رجله : قطعها .

أَمِلكاً بسوقة ؟ قال : إنّه قد كان مَلِكي ، فطعنه أَبو حنش ، فأَصاب رادفة[1] السّرج ، فورَّعَت[2] عنه ، ثم تناوله فألقاه عن فرسه ، ونزل إليه فاحتزّ رأسه ، فبعث به إلى سلمة مع ابنِ عمٍّ له يقال له أَبو أَجأ بنُ كعب بن مالك بن غيّاث ، فألقاه بين يديه ؛ فقال له سلمة : لو كنت أَلقيته إلقاء رفيقاً ؛ فقال : ما صَنَع بي وهو حيٌّ أَشدُّ من هذا ، وعرف أَبو أَجأ الندامةَ في وجهه والجزَع على أخيه ، فهرب وهرب أَبو حَنَش فتنحّى عنه ، فقال معدِيكربُ أَخو شرحبيل ، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن جميع هذه الحروب : [من الوافر]

أَلا أَبلِـغْ أَبـا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيءُ إلى الثوابِ !
تعلّـمْ أَنّ خيرَ الناس طُـرّاً ... قتيلٌ بـين أَحجار الكُلابِ
تداعت حولـه جُشَمُ بن بكر ... وأَسلمـه جعاسيسُ الرِّبابِ[3]
قتيلٌ ما قتيلُك يا ابن سَلْمى ... تضُرُّ بـه صديقـك أو تُحابي

فقال أَبو حَنَش مجيباً له : [من الوافر]

أحـاذر أَن أجيئكُمُ فَتَحْبُـو ... حِبـاءَ أَبيك يـوم صُنَيْبعاتِ[4]
فكانت غـدرةً شنعـاء تهفو ... تَقَلَّدهـا أَبـوك إلى المَماتِ

ويقال : إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث : وقال معديكرب المعروف بغَلْفاءَ يرثي أخاه شَرحبيل بن الحارث : [من الخفيف]

إنّ جنبي عـن الفراش لنابي ... كتجافي الأَسَرِّ فـوق الظِّرابِ
مـن حديثٍ نَمى إليّ فلا تر ... قَـأُ عينـي ولا أُسيغُ شرابي
مُـرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمهـا النا ... سَ على حَـرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ[5]
من شَرحبيلَ إذ تَعـاوَرُه الأر ... ماحُ في حـال لـذّة وشبابِ
يا ابن أُمّي ولو شهِدتُك إذ تد ... عو تميماً ، وأنت غيرُ مجابِ
لتركتُ الحسام تجري ظُباه ... من دماء الأعداء يوم الكُلابِ

1 رادفة السرج : مؤخرته .
2 ورّعت عنه : منعت .
3 جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .
4 صنيبعات : موضع أو ماء .
5 الملّة : الرماد الحار .

ثم طاعنتُ من ورائك حتى تبلغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابي[1]
يوم ثارت بنو تميم وولّت خيلُهم يتّقين بالأذْناب
ويْحَكم يا بني أُسَيِّدَ إنّي ويحكم ربُّكُم وربُّ الرِّباب
أين معطِيكمُ الجزيلَ وحابيـ ـكم على الفقر بالمئين الكُباب[2]
فارس يضرب الكتيبةَ بالسيـ ـف على نحره كنَضْحِ المَلاب[3]
فارسٌ يطعُنُ الكماة جريء تحته قارحٌ كلون الغراب

قال : ولمّا قُتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عِياله ، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى أُلحقوهم بقومهم ومأمنهم . وليَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطاردِ بن عوف بن سعد بن كعبٍ ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]

ألا إنّ قوماً كنتمُ أمسِ دونهم هم استنقذوا جاراتكم آلَ غُدْرانِ
عُوَيْرٌ ومَن مثلُ العوير ورهطِه وأسعدَ في يوم الهَزاهِز صَفْوانِ[4]

وهي قصيدة معروفة طويلة : [من الطويل]

صوت

وعينُ الرّضا عن كلّ عيب كليلةٌ ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيا

الشعرُ لعبد الله بن معاوية بنِ عبد الله الجعفريّ ، يقوله للحسين بن عبدِ الله بنِ عبيد الله بن العبّاس ؛ هكذا ذكر مصعبٌ الزبيريّ . وذكر مؤرِّج فيما أُخبرنا به اليزيديّ عن عمّه أبي جعفر عن مُؤَرِّج ، وهو الصحيح ، أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيّ بن ذَكْوان ، وكان قد عتب عليه . وأوّل الشعر : [من الطويل]

رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلفَّفاً فكشَّفَه التمحيصُ حتّى بدا لِيا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجاتِ إلاّ تنائيا

والغناء لبنان بن عمرون رملٌ بالوسطى . وفيه الثقيلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبي العَنْبس وغيره .

1 تبز ثيابي : أي تنزع عنّي بموتي .
2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللّباب .
3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .
4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتزّ فيها النّاس .

[221] ـ خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبد الله بنِ جعفرِ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأُمُّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بني جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْسِ بن مَعْد[1] بن تميم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن أَفْتَل ، وهو خُماعة بن خَثْعَم بن أنمار . وأمُّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأةٌ من جُرَش . هذه الجُرَشيَّة أكرمُ الناس أحماء ؛ أحماؤها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعبّاسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنّما صار رسولُ الله ﷺ من أحْمائها أنّه كان لها أربعُ بناتٍ : ميمونةُ زوجةُ رسول الله ﷺ ، وأُمُّ الفضل زوجةُ العبّاس وأُمّ بنته ، وسَلْمى زوجة حمزةَ بن عبد المطّلب ، بناتُ الحارث ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنَّ لأُمّهنّ ؛ كانت عند جعفرِ بن أبي طالب ، ثم خلَف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنّ : «إنّهنّ مؤمِناتٌ» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بنُ عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدَّراوَرْدِي عن إبراهيم بن عُقبة عن كُرَيْب عن ابنِ عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمِناتُ : ميمونة ، وأُمُّ الفضل ، وسَلْمى ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ أختُهُنَّ لأُمّهنّ» .

حدَّثني أحمد قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليّ قال حدَّثني عبد الرزّاق قال أخبرني يحيى بنُ العَلاء البَجَليُّ عن عمّه شعيبِ بن خالدٍ عن حنظلة بن سَمُرة بن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس قال : دخل النبيّ ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام ـ ليلةَ بَنى بها ـ فأبصر خيالاً من وراء السِّتر ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماءُ ؛ قال : «بنتُ عميس» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحْرُس بنتَكَ يا رسول الله ؛ فإنّ الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإنّي أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك مِنَ الشيطان» .

---

1 ل : معقل .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحِمه الله رسول الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فمِمَّا رَوى عنه ما حدَّثنيه حامدُ بن محمد بن شعيب البَلْخيُّ وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : رأيت النبيّ ﷺ يأكل البِطِّيخ بالرُّطَبِ .

[رآه النبيّ يلعب فداعبه]

حدَّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا سلمة بن شبيب قال حدَّثنا عبد الرزّاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا : مرّ النبيّ ﷺ بعبد اللهِ بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لُعَبِ الصبيان فقال : «ما تصنعُ بهذا» ؟ قال : أبيعه ، قال : «ما تصنعُ بثمنه» ؟ قال : أشتري به رُطَباً فآكُلُه ؛ فقال النبيّ ﷺ : «اللهمّ بارك له في صَفْقَةِ يَمينه» . فكان يقال : ما اشترى شيئاً قطّ إلاّ ربِح فيه .

[تعرّض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطُّوسيُّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي مصعب عن جـديّ عبد الله بن مصعب : أنّ الحزيـن قُمِر[1] في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه ، فمرّ به عبدُ الله ابن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ ؛ فاستعار الحزينُ من رجل ثوباً ، ثم قام إليه فقال : [من المتقارب]

أقـولُ لـه حـين واجهتهُ عليـك السلام أبا جعفرِ

فقال : وعليك السلام ؛ فقال : [من المتقارب]

فأنت المهذّبُ مـن غالبٍ وفي البيتِ منها الذي تُذْكَرُ

فقال : كذبتَ يا عَدَوّ الله ؛ ذاك رسول الله ﷺ ، فقال : [من المتقارب]

فهذي ثيابـيَ قـد أخلَقَتْ وقـد عضَّني زمـنٌ منكرُ

قال : هاكَ ثيابي ، فأعطاه ثيابَه .

قال الزُّبير قال عمّي : أما البيتُ الثاني فحدَّثنيه عمِّي عن الفضل بن الرّبيع عن أبي ، وما بقي فأنا سمِعته من أبي .

[تعرّض له أعرابيّ هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حدَّثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال : بلغني أنّ أعرابيّاً وقف

1 قُمِر : غلب في القمار .

على مروان بنِ عبد الحكم أيّامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابيٌّ ، ما عندنا ما نصِلُك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبدِ الله بن جعفر فإذا ثَقَلُهُ[1] قد سار نحوَ مكّة ، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة صلاتُهُم للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترَّحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بمالِهِ وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصيرُ

فقال : يا أعرابيّ ، سار الثَّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها ، وإيّاك أن تُخْدَعَ عن السَّيْفِ فإنّي أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

حبانِيَ عبدُ الله ، نفسي فِداؤهُ بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشافِرُهْ[2]
وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنّه شِهاب بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ[3]
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليُمْنِ والبشرِ طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً وأكرَمَه للجارِ حينَ يجاورهْ
سأُثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عُرْفاً كمَن هو كافِرهْ

[ذكر له شاعر أنّه كساه في المنام ، فكساه جبّة وشي]

وحدَّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدَّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده : [من المتقارب]

رأيت أبا جعفر في المنامِ كساني من الخزِّ دُرَّاعَهْ[4]
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعَهْ
سيكسُوكَها الماجِدُ الجعفريّ ومَن كفُّه الدَّهرَ نفَّاعَهْ
ومَن قال للجودِ لا تَعْدُني فقال لك السمع والطاعَهْ

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرّاعتي الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبّتي المنسوجة

---

1 الثَقَل : المتاع والحشم .
2 أعيس : واحد العيس ، الموّار : النشيط في سيره .
3 عسكر الليل : ظلمته .
4 الدرّاعة : جبّة مشقوقة المقدّم .

بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغْفى إغفاءةً أُخرى فلعلّي أرى هذه الجبّة في المناك ، فضحكَ منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي .

[اعترض ابن دأب على شعر الشمّاخ في مدحه بأنّه دون شعره في عرابة]

حدَّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دَأبٍ : وسمع قولَ الشمّاخ بنِ ضِرارٍ الثعلبيِّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله : [من الرجز]

إنّك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وجار ضيفٍ طرق الحيَّ سُرى صادَفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهى

إنّ الحديث طَرَفٌ من القِرى

فقال ابن دأب : العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسيّ : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة .

[جوده على أهل المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بنُ الحسن يقول : كان أهلُ المدينة يَدّانون بعضُهم من بعض إلى أن يأتي عطاءُ عبد الله بن جعفر .

[جوده على رجلٍ جلب إلى المدينة سكّراً كسد عليه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني يحيى قال : حدَّثني أبو عبيد قال حدَّثني يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سيرين قال : جلَبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فكَسَدَ عليه فقيل له : لو أتيت ابنَ جعفر قبله منك وأعطاك الثَّمن ، فأتى ابنَ جعفرٍ فأخبره ، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له ، ثم أمَرَ به فنُثِر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلمّا رأى الناسَ ينتهبون قال : جُعِلتُ فداءَك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يَهِيلُ في غرائره ، ثم قال لعبد الله : أعطني الثمنَ فقال : وكم ثمنُ سكّرك ؟ قال : أربعة آلافِ درهم ، فأمر له بها .

أخبرنا أحمدُ قال حدَّثني يحيى بنُ عليّ ، وحدَّثني ابن عبد العزيز قال حدَّثنا أبو محمد الباهليُّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعيِّ نحوه وزاد فيه ، قال : فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى ! لأطلبَنَّهُ بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ثم قال : يا غلامُ ، أعطِه أربعةَ آلاف درهم ؛ فأعطاه إيّاها ، فقال الرجل : قد قلتُ لكم : إنّ هذا الرجلَ لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنّه بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ، ثم رفع رأسه إلى رجل ، فقال : ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلمّا وُلّي ليقبِضها قال له ابن جعفر : يا أعرابيّ ، هذه تمام اثنيْ عشرَ ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ عن دَماذ عن أبي عبيدة : أنّ أعرابيّاً باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثلَ الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه : [من البسيط]

لا خير في المُجْتَدى في الحينِ تسألُهُ   فاستمطِروا من قريش خيرَ مُخْتَدِعِ[1]

تخـــال فيـــه إذا حاورتـــه بَلَهاً   من جودِهِ وهْوَ وافي العقلِ والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيسِ الرُّقَيّات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني مصعبُ بنُ عثمان قال : لمّا ولي عبد الملك الخلافة جفا عبدَ الله بنَ جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إنّك عوّدتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني إليك ، فتُوفّي في الجمعة الأُخرى . قال يحيى : تُوفّي عبد الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عامُ الجُحاف لسيلٍ كان بمكّة جَحَفَ الحاجَّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبدِ الملك بنِ مروان ، وهو الذي صلّى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حدَّثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدَّثنا الحسينُ بن محمد قال أخبرني محمدُ بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرني أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرني الأصمعيّ عن الجعفريّ قال : لمّا مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنّما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكينِ وملجأً الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجاً إلاّ رأيته مُسْتَعبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلمّا فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفِير القبر فقال : رحمك الله يا ابنَ جعفر ؛ إن كنتَ لِرَحِمك لواصلاً ، ولأهلِ الشرِّ لمبغضا ، ولأهل الرّيبة لقاليا ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى : [من الطويل]

رعيتَ الذي كان بيني وبينكم   من الـوُدِّ حتّى غيّبتْك المقابِرُ

---

1 المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فرحِمك الله ؛ يوم ولِدتَ ويوم كنتَ رجلاً ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيّاً ؛ والله لئن كانت هاشمٌ أُصيبَتْ بك لقد عمّ قريشاً كلَّها هُلْكُك ، فما أظنُّ أن يُرى بعدك مثلُك .

[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فقام عمرُو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال : لا إله إلاّ الله الذي يرث الأرضَ ومَنْ عليها وإليه تُرْجعون ، ما كان أحلى العيشَ بِك يا ابن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك ! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمَعتْ عليك ، كان والله حديثُك غيرَ مشوبٍ بكَذِبٍ ، وَوُدُّك غيرَ ممزوج بكدرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمّه وأسكته]

فوثب ابنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ، ولم يُثبِت الأصمعيُّ اسمه ، فقال : يا عَمْرو ، بِمن تعرّض بمزج الودّ وشَوْب الحديثِ ؟ أفبِابْنَيْ فاطمةَ ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يا لُكَع[1] ! أردتَ أن أُدخِلَكَ معهم ؟ هيهات لستَ هُناكَ ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُمّتَ ، فتكلّم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً .

[شعر ابن قيس الرقيات في علّته التي مات فيها]

فما هو إلاّ أن سمعهما الناسُ يتكلّمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى : وقال عبدُ الله بن قيس الرُّقيّات في علّة عبدِ الله بنِ جعفر التي مات فيها : [من الخفيف]

باتَ قلبي تَشُفُّه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاعُ[2]
من حديث سمعتُه مَنَعَ النو ... مَ فقلبي ممّا سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بِما كرِهْنا أبو اللَّسْـ ... ـلاس ، كانت بنفسه الأوجاعُ
قال ما قال ثم راح سريعاً ... أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ
قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ ... بك لا بالذي عَنَيتَ الصُّداعُ
ابنَ أسماءَ لا أبا لَكَ تَنْعى ... أنّه غيرُ هالكٍ نفّاعُ
هاشمياً بكفّه من سِجال الـ ... ـمجدِ سَجْلٌ يهون فيه القُباعُ[3]
نشر الناسُ كلَّ ذلك منه ... شيمة المجد ليس فيه خِداعُ

1 اللكع : اللئيم والأحمق .
2 شفّه الحزن : لذعه وأحرقه . أجنّه : ستره .
3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : مِكيال ضخم واسع .

لم أَجِـد بعدك الأَخِلاَّءَ إلاّ ... كثِمادٍ بـه قَـذًى أو نِقاعُ[1]
بيتُه مـن بيوت عبدِ منافٍ ... مـدّ أطنابَـهُ المكانُ اليَفاعُ[2]
منتهى الحمـدِ والنبوّة والمجـ ... ـدِ إذا قصّر اللئام الوِضاعُ[3]
فستأتيك مِدحـةٌ مـن كريم ... ناله مـن نَدى سِجالِك باعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما، وهما: [من الخفيف]

صوت

قـد أتانـا بما كرِهنا أبو اللَّسـ ... ـلاس كانت بنفسه الأَوجاعُ
قال يشكو الصداع وهو ثقيل ... بك لا بالذي ذكرتَ الصُّداعُ

غنّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل، الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق. ويقال إنّ عمرو بن بانة صاغ هذا اللحنَ في هذا الشعر وغنّى به الواثقَ بعقب علّة نالتْه وصُداعٍ تشكّاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأُمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أُمُّ ولد. وكان من رجالات قريش، ولم يكن في ولد عبد الله مثلُه.

[بشّروه وهو عند معاوية بولد فسمّاه باسمه]

حدَّثنا محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا أَحمدُ بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أَبي عبد الرحمن القرشيّ: أنّ معاوية بن عبدِ الله بنَ جعفرُ وُلِدَ وأَبوه عبد الله عند معاوية، فأَتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال: سمِّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم، ففعل فأَعطاه المال، وأَعطاه عبدُ الله للذي بشّره به. قال المدائنيّ: وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدّب ولده، ويقول: إن يُرِدِ الله جلَّ وعزَّ بهم خيراً يتأدّبوا، فلم ينجِبْ فيهم غير معاوية.

[خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أَخبرني محمد بنُ خلف وكيعٌ قال حدَّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارونُ وحدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدَّثني عمرُو بنُ الحَكَم السَّعيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنٍ بنِ عَنْبسةَ قالوا: كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عوّد ابنَ هَرْمَةَ البرَّ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدَيْنٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعَةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً برّاً، فقال للجارية:

1 الثماد: الماء القليل لا مادّ له. النقاع: جمع نقع وهو الغبار.
2 اليفاع: ما ارتفع من الأرض.
3 الوضاع: جمع وضيع.

قولي له : أيدِينا ضَيِّقةٌ ، وما عندنا شيءٌ إلاّ شيءٌ أخذناهُ بكُلْفةٍ ، فرجعتْ جاريتُه بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها : [من المتقارب]

فإنّي ومدحَك غيرَ المصيـ ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثوابَ فكنتُ كعاصرِ جَنْبِ الحَجَرْ

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعتْها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علِم بها أحدٌ ؟ قالت : لا والله إنّما دفعها من يدِه إلى يدي ؛ قال : فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاّ ، أليس زَعَم أنّه لا يدفع إليّ شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمّى ابنه باسمه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمّي مصعب قال : سمّى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيدَ بن معاوية خاصة ، فسمّى ابنه بيزيدَ بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمّه محمد : أنّ عبدَ اللهِ بنَ جعفر لمّا حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفاً[1] كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولدِه مَنْ هو أسنُّ منه ، وقال له : إنّي لَم أزل أؤمِّلُك لها . فلمّا تُوفّي احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين ولدِه ، ولم يستأثِر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأُمُّ عبدِ الله بن معاوية أُمُّ عون بنتُ عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . ويقال : بنت عيّاش بن ربيعة . وقد روى عبّاسٌ عن النبيّ ﷺ وكان معه يومَ حُنَيْنٍ ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذٍ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهب في دينه ، وكان يُرْمى بالزندقة ويستولي عليه مَن يُعْرفُ ويُشْهَرُ أمرُه فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيّام مروانَ بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويُكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة : [من الخفيف]

---

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أُحْبُ مدحاً أبا معاويةَ الما جِدَ لا تلقَه حَصُوراً عَيِيّا[1]

بل كريماً يرتاح للمجدِ بسّا مـاً إذا هـزّه السّؤال حَيِيّا

إنّ لي عنده وإن رَغِم الأعـ داءُ حظّاً من نفسه وقَفِيّا

قفيّا : أثرة ، يقول : إن لي عنده لأثرة على غيري ، وقال قوم آخرون : القفيّ : الكرامة .

إن أمت تَبْقَ مِدحتي وإخائي وثنائي من الحياة مَلِيّا

يأخذ السبقَ بالتقدّم في الجر ي إذا ما النّدى انتحاه عليّا

ذو وفاءٍ عند العِداتِ وأوصا ه أبوه ألاّ يزالَ وفيّا

فرَعى عقدةَ الوَصاة فأكرِم بهما مُوصِياً وهذا وصيّا

يا ابن أسماءَ فاسقِ دَلوي فقد أو ردتُها مَنْهَلاً يثُجُّ رَوِيّا

يعني أمّه أسماءَ ، وهي أمّ عون بنتُ العبّاس بن ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطّلب . وأوّلُ هذه القصيدة : [من الخفيف]

عاتِبِ النّفسَ والفؤادَ الغَوِيّا في طِلابِ الصِّبا فلستَ صبيّا

قال يحيى بن عليّ فيما أجازه لنا : أخبرني أبو أيّوب المدينيُّ وأخبَرناه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قالا : مدح ابن هرْمَة عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه ، فوجد الناس بعضَهم على بعض على بابه . قال ابن هرمة : ورآني بعض خدمه فعرفني ، فسألته عن الذين رأيتُهم ببابه فقال : عامّتُهم غُرماءُ له ، فقلت : ذاك شرٌّ . واستؤذِن لي عليه فقلت : لم أعلم واللهِ بهؤلاء الغرماء ببابك ، قال : لا عليك أنشِدني . قلت : أعيذُك بالله . واستحييت أن أنشِد ، فأبى إلاّ أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها : [من الطويل]

حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فعُشُّك مأوى بيضِها المتفلّقِ

ولم تك بالمُعْزى إليها نِصابهُ لِصاقاً ولا ذا المركب المُتعَلّقِ

فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفرٍ ومثلِ أبيك الأريَحِيِّ المُرَهَّقِ[2]

فقال : مَن هاهنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا ، وقال لي : اتبَعهما . قال : فأعطياني مالاً كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله : [من الطويل]

فإلاّ تُواتِ اليومَ سلمى فربّما شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنّقِ

---

1 الحصور : الممسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .

2 المرهق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أَعْذَرتَ في ذكر وصلها وأجريت فيها شأْوَ غربٍ ومَشْرِقِ[1]
ولكن لعبد الله فانطِق بمِدحة تُجيرُك من عُسْر الزمانِ المُطبِّقِ[2]
أخ قلت للأَدْنَين لمّا مدحتُه هَلُمُّوا وساري الليل مِ الآن فاطْرُقِ
شديدُ التأنّي في الأُمورِ مجرّب متى يَعْرُ أمرُ القوم يَفْرِ ويخلُقِ[3]
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه كما لألأتْ في السيف جريةُ رَوْنَقِ
كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا له نسبٌ فوق السِّماك المحلِّقِ
وأُمّاً لها فضلٌ على كلّ حرّة متى ما تسابِق بابنها القوْمَ تَسْبِقِ

وممّا يغنّى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائيّة التي مدح بها ابن معاوية قوله : [من الخفيف]

صوت

عجِبتْ جارتي لشيبٍ علاني عمرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا[4]
إنّما يُعْذر الوليد ولا يُعـ ـذَر مَن عاش في الزّمان عتيّا

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملاً بالبنصرِ من روايةِ عمرْو بن بانةَ ومن روايةِ حبشٍ فيهما لابن محرِزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدَّثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال حدَّثنا عليُّ بن محمد النوفليُّ عن أبيه وعمّه عيسى ، قال ابن عمّار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعبٍ الزبيريّ ، قال ابن عمّار وأخبرني أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليقظانِ وشِهابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان ابن أبي شيخ عمّن ذكره . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ وغيره فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهةَ الإطالة : أنّ عبد الله بنَ معاوية قدِم الكوفة زائراً لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستمِيحاً له ، فتزوّج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المُؤْمن بن شَبَث بن رِبْعِيٍّ الرياحيّ ، فلمّا وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أُميّة ، وقالوا له : اخرُجْ فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِن غيرك ، واجتمعت له جماعةٌ ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلاّ وقد خرج عليه . قال ابن عمّار في خبره : إنّه إنّما خرج في أيّام يزيدَ بن

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .
2 طبق الشيء : عمّ .
3 يخلق : يقدّر .
4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولبِس الصوفَ وأظهرَ سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كُلُّهُمْ وقالوا : ما فينا بَقِيّةٌ ، قد قُتِل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصدِ فارس وبلادِ المشرق فقبِل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العبّاس التميميُّ . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ابن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، ممّا يلي الحَرَّة ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ عن عامر بن حفصٍ ، وأخبرني به ابن عمّار عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهُولنكم ، فلمّا التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول : [من الوافر]

تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يدري خداش ما يصيدُ

ثم ولّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه ، حتى صار في عدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ[1] البصرة وهَمَذان وقُمَّ والرَّيّ وقُومَسَ وأصبَهان وفارسَ ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرِهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن عليّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرِزِ بن جعفر : أنّ عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر ، وأخاه يزيدَ على شيرازَ ، وأخاه عليّاً على كَرْمان ، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعاً منهم السفّاح والمنصور وعيسى بن عليّ . وقال ابن أبي خيثمةَ عن مصعب : وقصده وجوهُ قريش من بني أميّة وغيرهم ، فمِمَّنْ قصده من بني أُميّة سليمانُ بن هشام بن عبد الملك وعمرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فمَن أراد منهم عملاً قلّده ، ومَن أراد منهم صِلة وصله .

1 يراد بماه البقرة نهاوند ، وبماه الكوفة الدينور .

[وجّه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربته بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غَلَب عليها حتى وليَ مروانُ بنُ محمد الذي يقال له مروان الحِمار ، فوجّه إليه عامرَ بنَ ضُبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضّهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصِدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيّار ، فلمّا صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ ، فسأله معونته ، فقال له : مَن أنت مِنْ ولد رسول الله ﷺ ؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يُدعى له بخراسان ؟ قال : لا ، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

[التجأ إلى أبي مسلم فحبسه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمِع في نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنّه يقول : ليس في الأرض أحمقُ منكم يا أهل خُراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجِعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضِيت الملائكةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدمَ عليه السلام ، فقالت : ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ﴾ . حتى قال لهم : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ .

[كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنّك مستودَع وَدائع ، ومُولي صنائع ؛ وإنّ الودائع مرعِيّةٌ ، وإنّ الصنائع عارِيةٌ ؛ فاذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبِّه للفكر قلبَك ، واتّقِ الله ربَّك ؛ وآثِر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنّك لاقٍ ما أسلفتَ ، وغيرُ لاقٍ ما خلَّفْتَ ؛ وفّقك الله لِما ينجّيك ، وآتاك شُكْرَ ما يُبليك»[2] .

[قتله أبو مسلم ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلمّا قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكَنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دَسَّ إليه سمّاً فمات منه ، ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكيُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا محمد بن يحيى أنّ عبد العزيز بنَ عمران حدَّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيدِ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبيرةَ أنّه حضر مروانَ يوم الزّابِ وهو

1 التُّنّاء : جمع تانىء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإنعام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه فقيل له : هو الشابُّ المُصْفَرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمّه قال : كان عُمارةُ بن حمزة يُرْمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطِيعِ بنِ إياسٍ ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقليّ وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصَّته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهريّاً[1] لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلاّ قتله ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلمّا رآه قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإن تقنَّــع شيباً لَخبيثُ الهوى على شمطِهْ[2]

ابنُ تسعين منظراً ومشيباً وابنُ عشرٍ يُعَدّ في سَقَطِهْ

وأقبل على مطِيع فقال : أجِز أنت ، فقال : [من الخفيف]

وله شُرْطَةٌ إذا جنَّــه الليــ ــل فعوذوا بالله من شُرَطِهْ

[قسوته]

قال ابن عمّارٍ : أخبرني أحمد بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليَقْظان وشبابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان بن أبي شيخ عمّن ذكره : أنّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمُر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط ، وأنّه فعل ذلك برجل ، فجعل يستغيثُ فلا يلتفت إليه ، فناداه : يا زنديقُ ، أنتَ الذي تزعم أنّه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه عن عمِّه عيسى قال : كان ابن معاوية أقسى خلقِ الله قلباً ، فغضِب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفلَ ، ففعِل ذلك به فتعلّق بدَرابْزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقُطِعت ومرَّ الغلامُ يَهوِي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

1 رجل دهري : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

أَلا تَزَعُ القلبَ عن جهله ... وعمّا تُؤَنَّبُ من أجلِهِ !

فأُبدِل بعد الصِّبا حِلْمَه ... وأَقْصَرَ ذو العَذْلِ عن عذلِهِ

فلا تركبنّ الصنيعَ الذي ... تلوم أُخاك على مثلِهِ

ولا يعجبنّك قولُ امرىء ... يخالِف ما قال في فِعلِهِ

ولا تُتبع الطَّرْفَ ما لا تنال ... ولكن سَل اللهَ من فضلِهِ

فكم مِن مُقِلٍّ ينال الغنى ... ويَحمد في رزقه كلِّهِ

أَنشدنا هذا الشعر له ابن عمّار عن أَحمد بن خيثمة عن يحيى بن معِين . وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أَحمد بن أبي خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أَنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]

إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ افتقارَها ... عليها فلم يظهر لها أَبداً فَقْرِي

وإن تلقَني في الدّهرِ مندوحةُ الغِنى ... يكن لأخلاّئي التوسُّعُ في اليسرِ[1]

فلا العسرُ يُزْري بي إذا هو نالني ... ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخرِي

وهذا الشعر الذي غنّى به ، أعني قوله : [من الطويل]

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة

يقوله ابن معاويةَ للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .

[شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس]

أَخبرني أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عليُّ بن محمد بن سليمان النوفليُّ قال حدَّثني إبراهيم بنُ يزيدَ الخشّاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْمَيان بالزندقة . فقال الناس : إنّما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الطويل]

وإنّ حسيناً كان شيئاً ملفّفاً ... فمحّصه التكشيفُ حتى بَدا لِيا

وعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

1 مندوحة : سعة .

وأنت أخي ما لَم تكن لي حاجة فإن عرضتَ أيقنت أن لا أخا لِيا

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمدُ بن محمد بن سعيد بن عُقدة . قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب : [من الخفيف]

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أقْـــدُرِ الـــوُدَّ بيننـا قَدْرَهْ

ليس للدّابـغ المُقَـرِّظِ بُـــدٌّ من عتابِ الأديمِ ذي البَشَرَهْ[1]

قال وقال له أيضاً : [من مجزوء الكامل]

إنّ ابـــن عمّـك وابنَ أُمـ ـكَ مُعلمٌ شاكي السلاحِ[2]

يَقصُ العـــدوَّ وليس يـر ضى حـين يَبْطِشُ بالجناحِ[3]

لا تحسبن أذى ابـــن عَمِّـ ـكَ شربَ ألبـان اللِّقاحِ[4]

بل كالشجا تحــت اللَّهــا ةِ إذا يُسَوَّغ بـالقَراحِ[5]

[فانظـر لنفسك من يجيـ ـبك تحت أطراف الرماحِ]

مَــن لا يـــــزال يسوءه بالغيب أن يلحــاك لاحي[6]

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا حدَّثنا الزبير وحدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني محمد بن يحيى : أنّ عبد الله بن معاويةَ مرَّ بجدّه عبدِ الحميد في مزرعته بصَرام وقد عطِش فاستسقاه ، فخاض[7] له سَويق لوزٍ فسقاه إيّاه ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الوافر]

شربتُ طَبَرْزَذاً بغريضِ مُـزنٍ كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ[8]

قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كلّ شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

1 قرظ الأديم : دبغه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعاودة .

2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .

3 وقصه : كسره ودقه .

4 اللقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .

5 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .

6 لحاه : لامه .

7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .

8 الطبرزذ : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله : [من الوافر]

مـــا إن ماؤنُـــا بغرِيض مُزْن ... ولكنّ المِـــلاح بكم عِذابُ
وما إن بالطَبْرزِذ طاب لكن ... بمَسِّكَ لا بــه طاب الشرابُ
وأنتَ إذا وطِئت تــراب أرضٍ ... يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
لأنّ نداك يُطفي المَحْـل عنها ... وتُحييهـــا أيادِيــك الرِّطابُ

[تغنّى إبراهيم الموصليّ في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصليّ قال : بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغَزالُ إذ قال صاحب السِّتارة لابن جامع : تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولَم يكن ابنُ جامعٍ يغنّي في شيء منه ، وفطنت لِما أراد من شعره ، وكنت قد تقدّمت فيه ، فأُرْتِج على ابن جامع ، فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من المتقارب]

صوت

يهيمُ بجُمْلٍ وما إن يرى ... لــه مــن سبيل إلى جُملِهِ
كأن لم يكن عاشِق قبله ... وقد عشِق الناس من قبلِهِ
فمنهم مَن الحبّ أُودى به ... ومنهمْ مَنَ اشْفى على قتلِهِ

فإذا يد قد رفعتِ الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أَعِد ، فأَعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحـب الستارة غلاماً فكلّمـه ، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةُ دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش ، فوُضِعَتْ تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكَأَتك ، قال : فلمّا انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شِعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلاّ وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلمّا كان المجلسُ الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـــا قوم كيف سِواغُ عيـ ... ـشٍ ليس تؤمَــن فاجِعاتُهْ

ليست تــزالُ مطِلّــةً تغـدو عليـك منغّصاتُهْ
المــوت هــولٌ داخلٌ يومــاً على كــرْهٍ أناتُهْ
لا بــدّ للحـذِر النّفو رِ منَ أنْ تَقَنَّصَهُ رُماتُهْ
قـد أُمنــح الودّ الخليـ ـلَ بغير ما شيء رزاتُهْ[1]
ولــه أقيــمُ قناةَ ودّ ي ما استقامت لي قناتُهْ

قال : فأومأ إليّ صاحب الستارة أن أمسِك ، ووضع يده على عينه كأنّه يومىء إليّ أنّه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبَّ أميرُ المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرةِ الدنانير التي أخذتُها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلمّا اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهمّ أنْسِهِ ذكْرَ ابن جعفر ، قال فقلت : اللهمّ لا تستجِب ، فقال صاحبُ الستارة : يابن جامع تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه[2] ولم يُقْبِل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أُغنّي في شعره : [من المتقارب]

صوت

سلا ربَّــةَ الخِدرِ مـا شأنُها ومــن أيِّما شأنِنــا تعجــبُ
فلستُ بــأوّل مَــن فاتــه على إرْبِهِ بعضُ مــا يَطْلُبُ[3]
وكائن تعرَّضَ مـــن خاطب فَــزُوِّج غيرَ التــي يخطبُ
وأُنْكِحَهــا بعـــده غيــرُه وكانــت لــه قبلــه تُحجَبُ
وكنّــا حديثــاً صَفِيَّيْــنِ لا نخـاف الوشاةَ ومــا سبَّبوا
فإن شطَّــتِ الدّار عنّـا بها فبانــت وفي الناس مُسْتَعَتَبُ[4]
وأُصبح صــدعُ الــذي بيننا كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَبُ[5]

---

1 أصله رزأته .
2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .
3 الإرب : العقل والدهاء .
4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .
5 يشعب : يصلح .

وكالــدَّرِّ ليست لــه رجعــة إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ

غنّى في البيتين الأوّلين إبراهيم الموصليُّ خفيف ثقيلٍ الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمدَ بن يحيى المكّيّ ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسِب أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسفَ البالِ ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتِر منه ، فلمّا انصرفنا قال : اللهمّ أرِحنا من ابنِ جعفرٍ هذا ، فما أشدَّ بغضي له ، لقد بغَّضَ إليّ جدَّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمَن يدري ما يقول ؟ إذاً لودِدتُ أنّي لَم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأنّي تصدّقت بها ، يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أُمّ زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمتت به امرأته حين تزوّج امرأة أخرى]

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال : خطب عبدُ الله بن معاوية رُبَيْحةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكّارُ بن عبد الملك بن مروان ، فتزوّجت بكاراً ، فشمِتت بعبد الله امرأتُه أُمّ زيد بنتُ زيد بن عليّ بن الحسين ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

سلا ربَّةَ الخِدْرِ مـا شأنُها ومِــنْ أيِّما شأنِنا تعجبُ

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمِتُّ ولكنّي نَفِست[1] عليك ، فقال لها : لا جَرَمَ ؛ والله لا سُؤْتُكِ أبداً ما حييتُ : [من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أمّ شيْبَةَ فاعترى والقومُ من سنةٍ نَشاوى بالكرى[2]

طافــت بخُوصٍ كالقِسِيّ وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعد ما ملُّوا السُّرى[3]

الشعر لأبي وَجْزة السعديّ ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أوّل بالبنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .

2 نشاوى : جمع نشوان .

3 الخوص : جمع أخوص وهو الغائر العينين .

[222] ـ أخبار أبي وجزة[1] ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنّه كان له أخٌ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

[سليميّ دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سُليم من بني ضَبِيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة بن سُلَيم ؛ ولكنّه لحِق أباه وهو صبيّ سِباءٌ في الجاهلية ، فبِيع بسوق ذي المَجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلمّا كبِر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصّته ، فقال له : إنّه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجل قد امتنّ عليك فإن شئت فأقِم عنده ، وإن شئت فالحِق بقومك ، فأقام في بني سعْد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظآرُ رسول الله ﷺ]

وبنو سعد أُظآرُ[2] رسول الله ﷺ ، كان مسترضَعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفَعَ ، ثمّ أخذه جدّه عبد المطّلب منهم فردّه إلى مكّة ، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة ، فأكرمها وبرَّها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخِرُ بذلك على سائر هوازن ، وحقيقٌ بكلّ مكرُمَةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

[آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكِيُّ قال حدَّثنا محمد بن سلاّم الجمحيُّ عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرِّياشيّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سعيدٍ السكّريّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيدٌ أبو أبي وجزَة السعديُّ عبداً بِيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامر بنِ عُمَير بنِ ملاّنَ بنِ ناصِرةَ بنِ فُصَيَّةَ بن نصر بن سعدِ بنِ بكر بنِ

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702–703 والتاريخ الكبير للبخاري 214/348 ، والتهذيب 12 : 349 ، والخزانة 2 : 147–150 .

2 أظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنّ عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه مستعدياً فلمّا قدِم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سُلَيْمٍ ، ثم من بني ظَفَر أصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنّه لا سِباء في الإسلام ، ولا رِقَّ على عربيّ في الإسلام . فما فَرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعتُهُ بذي المَجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربة والله ما أعَلْمني ضربتُه غيرَها قطّ ، وإنّ الرجل ليضرب ابنَه أشدَّ منها فكيف بعبده ، وأنا أشهِدك أنّه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البيّنة ، فإن أحببت فأقِم معه ، فله عليك مِنّة ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديّ وانتسب إلى بني سعدِ بنِ بكر بنِ هوازن ، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرْفُطَة المُزَنِيَّة ، فَولدت له أبا وجزة وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنّ أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ ، ووافق مَن ذكرتُ روايتَه في سائر الخبر ، فلمّا بلغ ابناه طالباهُ بأن يَلْحق بأصله ويَنْتَمي إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا ألْحَقُ بهم فيعيِّروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكرموني ويشرِّفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أرعى طُمَّة ، ولا أرِد جَمَّة ، إلاّ قالوا لي : يا عبدَ بني سعدٍ قال : وطُمّة : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك : [من الكامل]

أنْمى فأعْقِلُ في ضَبيسٍ مَعقِلاً ضخماً مناكِبُه تميمَ الهادي[1]
والعَقدُ في مَلأن غير مُزَلّجٍ بقُوًى متيناتِ الحبالِ شِدادِ[2]

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزةَ من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، ورأى عمَرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسنِد إليه حديثاً ؛ ولكنّه حدَّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرّواة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ وعمّي قالا حدَّثنا عبد الله بنُ شبيبٍ قال حدَّثني إبراهيم بن حمزة قال حدَّثني موسى بنُ شَيْبَة قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسولُ الله ﷺ : «ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبدِ الله بن رَواحةَ شعراً ، ولكنّه حكمةٌ» .

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام والشديد .
2 المزلّج : كل ما لم تبالغ فيه ولم تحكمه .

فأمّا خبرُ الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليّ أخبرَنا به قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم قال حدَّثني عبدُ الله بن عمرو عن عليّ بن الصبّاح عن هشام بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : شهدتُ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عامَ الرَّمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفِرُ الله رافعاً صوتَه لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلَم أنّ الاستغفار هو الاستسقاء فما برِحنا حتى نشأت سحابة وأظلّتنا ، فسقي الناس ، وقَلَدتْنا[1] السماء قَلْداً ، كلَّ خمس عشرة ليلة ، حتّى رأيت الأَرِينَةَ[2] تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط [3] .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ وهاشمُ بن محمد الخزاعيّ جميعاً عن الرياشيّ عن الأصمعيّ عن عبد الله بن عمر العُمَريّ عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بنُ أيّوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبةَ ، واللفظ متقاربِ وزاد الرياشيُّ في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حِقاقُ العُرْفُط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

[هو أحد من شبب بعجوز]

وهو أحد مَن شبَّب بعجوزٍ حيث يقول : [من الكامل]

يا أيّها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبا … فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ[4] ؟

حتّام أنت موكَّلٌ بقديمةٍ … أمست تَجَدَّدُ كاليمانيّ الجيّدِ

زان الجلالُ كمالها ورسا بها … عقلٌ وفاضِلة وشيمةُ سيّدِ[5]

ضنّت بنائلها عليك وأنتما … غِرّان في طلب الشباب الأغيدِ[6]

فالآن ترجو أن تُثيبك نائلاً … هيهات ؛ نائلُها مكانَ الفرقَدِ[7]

---

1 قلدتنا : مطرتنا .

2 الأرينة : نبت عريض الورق .

3 العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحِقّ : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأنثى حِقّة .

4 الدد : اللهو واللعب .

5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شبّ .

6 غران : في الشعر والشعراء : 703/2 : إلفان .

7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيْهات .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المِنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إنّي قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العبّاس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قَلَب رداءه ، ثم نزل فتراءى الناس طُرَّةً[1] في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة[2] سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمِعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يَقلِدنا قَلْداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرِينَة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وَجْزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزُّبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزُّبير ، وتشارِكني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلاّ والله ، لَرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدِما المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرجْ إلى هذا الأعرابيّ الجِلف فاضربه وأخرجه ، فأُخرج وضُرِب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[3] أن يعطى منه ستين وَسْقاً[4] من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قَلُوصي رواحاً وهي حامدة ... آلَ الزُّبير ولَم تَعدِل بهم أحدا
راحت بستّين وَسْقاً في حقيبتها ... ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا[5]
ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهِدتهمُ ... يَقْرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا

يعني السياط .

---

1 الطرة : الطريقة من السّحاب .
2 القزعة : القطعة من السحاب .
3 الفرع : قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكّة .
4 الوسق : حمل البعير .
5 السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة : [من البسيط]

راحت بستّين وسقا في حقيبتها

أنّها حملت ستّين وَسْقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفَه ، وإنّما عَنى أنّه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستّين وسْقاً فركِب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملتْه في حقيبتها ، فكأنّها حاملة بالكتاب ستّين وَسْقاً ، لا أنّها أطاقت حَمْلَ ذلك . وهذا بيت معنى يُسأل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكريّ في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنَة ، وانتجع بلادهم لصِهْره فيهم ، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكَدَّم بن عُقَيْل بن وهب بن عمرو بن مُرَّة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه ، فقال أبو وجزة يمدحه : [من الطويل]

لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها ... تَغَيَّر باقيها ومَحَّ جديدُها[1]

لِسَعدة من عام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لَمّا يَرُعْنا صُدودُها

وإذا هي أمّا نفسُها فأريبه ... لِلَهوٍ ، وأمّا عن صِباً فَتَذُودُها[2]

تَصَيَّدُ ألبابَ الرجالِ بدَلِّها ... وشيمتُها وَحْشيّةٌ لا نَصيدها

كباسِقه الوَسْميّ ساعةَ أسبلتْ ... تلألأ فيها البرقُ وابيضّ جِيدُها[3]

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿والنَّخْلَ باسقاتٍ﴾ :

كبِكرٍ تُراني فَرقَدين بقَفْرة ... من الرّملِ أو فَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها[4]

لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم ... [كثيرُ علِيّاتِ الأُمورِ جليدها]

[فتًى بين مَسْروجٍ وآلِ مُكدَّمٍ] ... وعمرٌو فتى عثمانَ طُرّاً وسيدُها[5]

1 النّعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . مح : بلي .

2 فأريبه : في ل : فأبيّة .

3 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل . أسبلت : أمطرت .

4 بقرة بكر : فتية . ترانى : من الرنوّ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب .

5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أَفرط ذا النّهى ... على أَمره ، حامى الحَصاة شديدُها[1]

وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله ... مِنَ آبائـه يَجنـى العـلا ويُفيدها

فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ ... وقَرّبْتَ مِـنْ أَدماءَ وارٍ قصيدُها[2]

وذي كربـةٍ فرّجتَ كُربـةَ همّه ... وقد ظلّ مُسْتَدّاً عليـه وصِيدُها[3]

[تزوّج زينب بنت عرفطة]

أخبرني عمّي قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال : تزوّج أَبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهلٍ بن مكدَّم المزنيّة فولدت له عُبيداً وكانت قد عنَّست ، وكان أَبو وجزة يُبْغضها ، وإنّما أَقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم : [من الرجز]

أَعطـى عُبَيْـداً وعبيدٌ مَقْنَـعُ ... من عِرمسٍ مَحْزِمُهـا جَلَنفَعُ[4]

ذاتِ عساسٍ مـا تكاد تَشْبَع ... تجتلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَعُ[5]

تمـــرّ في الدّارِ ولا تَـورَّعُ ... كأنّها فيهـمْ شجاعٌ أَقرعُ

فقالت زينب أُمّ وجزة تجيبه : [من الرجز]

أَعْطـى عُبيداً من شُيَيْخ ذي عَجَرْ ... لا حَسَنِ الوجـه ولا سَمْحٍ يَسَرْ[6]

يشرب عُسَّ المَذْق في اليوم الخَصِرِ ... كأنّما يقــذف في ذات السُّعُرْ[7]

تقاذفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرّ[8]

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز]

قال : وقال أَبو وجزة لابنه عُبيد : [من الرجز]

يا راكـب العَنْسِ كمِرداة العَلَمْ ... أَصلحـك الله وأَدنى ورحِمْ[9]

---

1 أفرط في ل : أفرد وأفرطه : أعجله ، والحصاة : العقل .

2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن .

3 الوصيد : فناء الدار .

4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .

5 عساس : جمع عُسّ ، وهو القدح الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلأ .

6 العَجَر : عظم البطن .

7 السُّعُر : حرّ النّار .

8 المضرّ : القريب الداني يقال : سحاب مضرّ : مسف .

9 المرداة : الحجر الثقيل .

إن أنت أبلغتَ وأدّيتَ الكَلِمْ ... عنّي عُبيدَ بنَ يزيدَ لو علِمْ
قد علِم الأقوام أن سيَنْتقِم ... منك ومن أمّ تلقّتك وعمْ
ربٌّ يجازي السيئاتِ مَن ظَلَم ... أنذرْتُك الشَّدّةَ مِن لَيثٍ أُضِمْ[1]
عادٍ أبي شِبلين فَرْفارٍ لَحِمْ ... فارجع إلى أمّك تُفْرِشك ونَمْ[2]
إلى عجوز رأسُها مثل الإرَم ... واطعَمْ فإنّ الله رَزّاق الطُّعَمْ[3]

فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزةَ واقعد في الغنمْ ... فسوف يكفيك غلامٌ كالزّلَمْ
مشمّرٌ يُرقِلُ في نعلٍ خَذِمْ ... وفي قَفاه لقمة من اللقَمْ[4]
قد ولّهتْ الآفهـا غيرَ لَمَمْ ... حتّى تناهت في قَفا جَعْدٍ أَحَمْ[5]

[هجاه أبو المزاحم وعيره بنسبه]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه : [من الطويل]

[دَعَتْكَ سُليمٌ عبدها فأجبتَها ... وسعدٌ ، وما ندري لأيّهما العبدُ ؟

فأجابه أبو وجزة فقال] : [من الطويل]

أعيَّرتموني أنْ دعتني أخاهمُ ... سليمٌ وأعطتني بأيمانها سعدُ
فكنتُ وسيطاً في سُلَيم معاقِداً ... لسعد ، وسعدٌ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ[6]

[مدح عبد الله بن الحسن وإخوته]

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعيّ إجازةً قال حدَّثنا محمد بن مسعود الزُّرَقيّ عن مسعود بن المفضَّل مولى آل حسن بن حسن قال : قدِم أبو وجزة السعديّ على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقَةَ[7] ، وقد أصابت قومه سنة مجدبة ، فأنشده قوله يمدحه : [من البسيط]

أُثْني على ابْنَيْ رسول الله أفضلَ ما ... أَثْنى به أحدٌ يوماً على أحدِ

---

1 الشدّة : الحملة . أضم : غضوب .
2 فرفار ، يفرفر كل شيء ، أي يكسره . أفرشه ، فرش له .
3 الإرم : الحجارة .
4 خذم : مقطّع .
5 ولهت : أحزنت وحيّرت . اللمم : الجنُون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .
6 الوسيط : الحسيب في قومه .
7 سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السيدينِ الكريميْ كلِّ مُنْصَرَفٍ ... من والِدين ومن صهرٍ ومن ولدِ
ذريّـةٌ بعضُها من بعضها عَمِرَت ... في أُصل مجد رفيع السَّمْك والعَمَدِ
مـاذا بنـى لهمُ من صالحٍ حسنٌ ... وحَسَنٌ وعـليّ وابتَنَـوْا لغَدِ
فكـرَّم الله ذاك البيتَ تكرِمَـةً ... تَبقـى وتخلُد فيـه آخـرَ الأَبَدِ
همُ السَّدى والنَّدى ، ما في قناتهمُ ... إذا تعوّجـت العِيدانُ مـن أَوَدِ[1]
مهذَّبـون هِجـانٌ أُمّهاتُهـمُ ... إذا نُسِبن زُلالُ البـارقِ البَرِدِ[2]
بين الفواطم مـاذا ثَـمَّ مـن كرمٍ ... إلى العواتك مجـد غير مُنْتَقَدِ[3]
مـا ينتهي المجد إلاّ في بني حسن ... ومـا لهم دونـه من دارِ مُلْتَحَدِ[4]

قال : فأَمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأُوقروا[5] له رواحلَه بُرّاً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاه وندبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أُخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدَّثَني أَبو غسّان والمدائنيّ جميعاً : أنّ عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطيّة السعديَّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزديّ الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث إليه مروانُ بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِض [له] منهم أَبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قُـل لأَبـي حمـزة هِيدِ هِيدِ ... جئنـاك بالعادِيَـةِ الصِّنْديدِ
بالبطـل القَـرْم أَبي الوليد ... فـارِس قيسٍ نَجدِها المعدودِ
في خيل قيسٍ والكُماةِ الصِّيدِ ... كالسيفِ قـد سُلَّ من الغُمودِ
محضٍ هِجـانٍ ماجـدِ الجدودِ ... في الفَرعِ من قيسٍ وفي العمودِ
فِـدًى لعبـد الملـك الحميد ... مـا لي مـن الطارفِ والتليدِ

---

1 السَّدى : المعروف .
2 هجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرْد .
3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبيّ ﷺ .
4 الملتحد : الملتجأ .
5 أوقر الدابة : حملها وِقراً ، وهو الحمل الثقيل .

يـوم تَنادى الخيل بالصعيدِ كأنّـه في جُنَـن الحديـدِ[1]
سِيدٌ مُدِلٌ عَـزَّ كلَّ سِيدِ

قال : وسار ابن عطيّة في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقى أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطيّة ، إنّ الله جلّ وعزّ قد جعل الليل سَكَنا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

[كان منقطعاً لابن عطيّة مداحاً له]

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطيّة ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مدّاحاً له ، وفيه يقول : [من البسيط]

حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُثِبِ فيم الكثيرُ من التَّحْنان والطربِ
قالت سعادُ أرى من شيبه عجباً مهلاً سعادُ فما في الشيب من عجبِ

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها من كتابه :

إمّـا تَرَيني كساني الدهرُ شيبتَه فإن مـا مـرّ منه عنكِ لم يَغِبِ
سَقْياً لسعدى على شيب ألَمّ بنا وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشِبِ
كأنّ رِيقتَها بعد الكرى اغتبقت صوبَ الثريا بماء الكَرْم من حَلَبِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أهدي قِلاصاً عناجِيجاً أضرَّ بها نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ[2]
يقصِدْن سيِّدَ قيسٍ وابنَ سيّدها والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذي الكذبِ[3]
محمـد وأبـوه وابنـه صنعوا له صنائعَ من مجد ومن حَسَبِ
إنّي مدحتهـمُ لمّـا رأيت لهمْ فضلاً على غيرهم من سائر العربِ
إلاّ تُثِبْني بـه لا يَجْـزِني أحد ومَن يُثيبُ إذا ما أنت لم تُثِبِ !

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناءَ المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبدَ الملك بن عطيّة هذا . وممّا يختار منها قوله : [من الكامل]

---

1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .

2 العناجيج هنا : الإبل جمع عُنجوج . نصّ ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السّير . العقب : جمع عقبة وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .

3 العِدّ هنا : الذي لا تنفد شجاعته . من قولهم ماء عِدّ ، أي دائم لا تنفد مادته .

حتّى إذا هَجَدوا ألمَّ خيالُها سرّاً ، ألا بِلِمامه كان المُنى
طَرَقَتْ بَريّاً روضةٍ من عالِجٍ وَسْمِيَّةٍ عذُبت وبيَّتها النَّدى[1]
يا أُمّ شيبة أيَّ ساعةِ مَطْرَقٍ نَبَّهتِنا ، أَينَ المدينة مِن بَدا[2]
إنّي متى أقض اللُّبانة أجتهدْ عَنَقَ العِتاق الناجِيات على الوَجى
حتى أزورَك إن تيسَّر طائري وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

فَلأَمدحنَّ بني عطيّةَ كلَّهم مدحاً يوافي في المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلاً وأواخراً والأحلمين إذا تُخُولِجَتِ الحُبا[3]
والمانعين من الهَضيمة جارَهُم والجامعين الراقعين لما وَهى[4]
والعاطفين على الضَّريك بفضلهم والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى[5]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطيّة جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجيّ ، ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي لأزهر قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان أبو إسحاق وجزة السعديّ منقطعاً إلى آل الزُّبير ، وكان عبدُ الله بن عروة بنُ الزبير خاصّة يُفْضِل عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بنَ الحَسَن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطّرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزُّبير ، ولا يَرْجِعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه : [من المتقارب]

آل الزبير بنو حُرّة مَرَوا بالسيوف صدوراً خنافا[6]
سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيّامها إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا

---

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأوّل .
2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .
3 تُخُولِجَت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة .
4 الهضيمة : الظلم والغضب .
5 الضّريك : الزَّمِن والضرير والفقير السيء الحال .
6 مرى الدم : استخرجه وأساله . خناف : جمع خانف ، خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .

امْتَعَطوا : سَلّوا ، ومنه ذئبٌ أمعطُ ، مُنْسَلٌّ من شعره : [من المتقارب]

يموتــونَ والقَتْلُ داءٌ لهــم ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السِّيافا

إذا فــرج القَتْلُ عَــنْ عِيصهِمْ أَبى ذلــكَ العيصُ إلاّ التفاتا[1]

مطاعيــمُ تُحْمَــدُ أبياتُهُــمْ إذا قُنِّعَ الشاهقاتُ الطَّخافا[2]

وأَجْبَنُ مِــنْ صافــرٍ كلبُهُــمْ إذا قرعتــه حصــاةٌ أضافا[3]

فلمّا أنْشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلا هَــلْ أسيرُ المالكيّــة مُطْلَقُ فقــد كاد لو لَم يُعْفِهِ الله يَغْلَقُ[4]

فلا هو مقتولٌ ، ففي القتل راحة ولا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

الشعر لعقيل بن عُلَّفةَ البيت الأوّلُ منه ، والثاني لشبيب بنِ البَرصاء ، والغناء لأحمدَ بنِ المَكّيّ ، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ ، وأوّله : [من الطويل]

سلا أُمَّ عمرو فِيمَ أَضْحى أَسيرُها يُفادى الأَسارى حَوْله وهو مُوثَقُ

وبعده البيت الثاني وهو :

فلا هو مَقتولٌ ففي القَتْــلِ راحةٌ وَلا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاء .

1 العيص : الشجر الكثيف الملتفّ .

2 الطخاف : السحاب المرتفع .

3 الصافر : طائر يتعلّق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته . وأضاف : خاف وأشفق وحذر .

4 يغلق : من غلق الرّهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

[223] ـ أخبار عقيل بن علَّفة

[نسبه]

عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غَيْظِ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطَفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان بن مُضر ، ويكنى أبا العمَلَّس وأبا الجَرباء .

وأمّ عَقيل بن عُلَّفة العَوْراء ، وهي عَمرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نشْبَة بنِ غَيْظ بن مُرَّة . وأمّها زينبُ بنتُ حَصن بنِ حذيفة . هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائنيّ . وقال ابنُ الأعرابيّ : كانت عَمْرة العَوْراء أمّ عَقِيل بن عُلَّفة والبرصاءُ أمُّ شبيب بن البَرْصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البَرْصاء قَرْصافة ، أمّها بنت نَجَبة بن ربيعةَ بن رِياح بن مالك بن شَمْخ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان أعرج جافياً شديدَ الهَوَج والعَجْرفيّة والبَذَخ[1] بنسَبِه في بني مرّة ، لا يرى أنّ له كفئاً . وهو في بيت شرف في قومِه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغبُ في مصاهرته . تزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجَرْباء ، وكانت قبله عندَ ابن عمٍّ لِعَقيل يقال له مطيعُ بن قُطْعَةَ بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنيّاً دَرَجَ[2] . وتزوّج بنته عَمْرَةَ سَلَمةُ بنُ عبد الله بن المغيرة ، فولدت له يعقوب بن سلمة ، وكان من أشراف قريش وجُودائها . وتزوّج أمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفَر من بني الحَكَم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : دخل عَقِيل بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمانُ : زوّجني ابنتك ، فقال : أَبَكْرةً من إبلي تَعْني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ؟ قال : أيّ شيء قلتَ لي ؟ قال : قلتُ لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرةً من إبلي . فأمر به فَوُجِئت[3] عُنُقه . فخرج وهو يقول : [من الطويل]

---

1 البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجأه باليد وبالسكين : ضربه .

كُنّا بني غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ بنـو مالك غَيْظاً وصرنـا كمالكِ
لحـى الله دهراً ذَعْذَع المالَ كلَّه وسوَّد أشباه الإمـاء العَواركِ[1]

[خطب إليه رجل من بني سلامان فكتفه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان لعَقيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيل ، وأخذ السَّلامانيّ فكَتَفَهُ ، ودهن استَهُ بشحم ، وألقاه في قرية[2] النمل ، فأكلن خُصْيَيْه حتى ورم جَسَدُه ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجترىء أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبتْ مراعي بني مُرّة ، فانتجع عَقِيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذْرة . قال عَقِيل : فجاءني هُنَيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أمّ جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحيّ ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن عُذْرة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حَدَرْناك[3] وبُعَيْرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلّينا عنك . فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها ، فخلَّوْا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنّا . فقلت فيهم : [من الطويل]

لقد هزِئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ وما لعبت حُنٌّ بذي حسَب قبلي
رويداً بني حُنّ تَسيحوا وتأمنوا وتنتشر الأنعامُ في بلد سهلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمي إلاّ في الأكْفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقيل بن علّفة وابناه : عُلَّفة وجَثّامةُ ، وابنتُه الجرباء حتى أتَوْا بنتاً له ناكِحاً في بني مرْوان بالشام فآمت[4] . ثم إنّهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقيل بن عُلّفة : [من الطويل]

قضتْ وطراً من ديـر سعدٍ وطالما على عُـرُضٍ ناطحْنَهُ بالجماجمِ[5]

---

1 ذعذع الحال : فرّقه وبدّده . والعوارك : الحُيّض .
2 قرية النمل : مجتمع تُرابها .
3 حدرناك ، من الحدر : وهو الحط من علو إلى سفل .
4 آمت المرأة : فقدت زوجها .
5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطتْ أرضاً يمـوت غرابُها   بهـا عطشاً أعطينَهم بالخزائمِ[1]

ثم قال : أنفِذ يا علّفة ، فقال علّفة :

فأصبحن بالمَومـاة يحملــن فِتْيةً   نَشاوى من الإدلاج مِيلَ العمائمِ[2]

إذا عَلَــمٌ غادرْنَــه بتَنوفــة   تذارعن بالأيــدي لآخر طاسِمِ[3]

ثم قال : أنفذي يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأنّ الكـرى سقّاهـمُ صَرْخَديّةً   عُقاراً تَمشّى في المطـا والقوائمِ[4]

فقال عَقيل : شربتها وربِّ الكعبة ؛ لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجَدْتِ من الكلام غير هذا ؟ فقال جَثّامة : وهي أساءت ! إنّما أجازت . وليس غيري وغيرُك . فرماه عَقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم ساقَه والرَّحَل ، ثم شدّ على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقةِ جَثّامة وتركه عَقِيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبَّني بنو مرّة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجّهاً إلى أهله وقال : لئن أخبرتِ أهلَك بشأنِ جثّامة ، أو قلتِ لهم إنّه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنّك . فلمّا قدِموا على أهل أُبَيْر (وهم بنو القَيْن) ندِم عَقِيل على فعله بجثّامة . فقال لهم : هل لكم في جَزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجَزور ، فخرج القوم حتّى انتهوا إلى جَثّامة فوجدوه قد أُنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ بخطّه ولم أجِده ذكر سماعه إيّاه من أحد قال : قرِيءَ على عليّ بن محمد المدائنيّ عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحِقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنّى جَثّامة :   [من الطويل]

أيُعْـذَر لاهِينا ويُلْحَيْن في الصِّبا   ومـا هـنّ والفِتيانُ إلاّ شقائِقُ

فقال له القوم : إنّما أفلتَّ من الجِراحة التي جرحك أبوك آنِفاً ، وقد عاودتَ ما يكرهُه ، فأمسِكْ عن هذا ونحوِه إذا لقِيته لا يلحقك منه شرّ وعَرّ[5] . فقال : إنّما هي خَطْرةٌ خطَرتْ ، والرّاكب إذا سار تغنّى .

---

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها .

2 المومـاة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تذارعن : سِرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عرّه بمكروه : أصابه وساءه .

[أصابه القولنج في المدينة فنعتت له الحقنة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني أحمدُ بن سعيد الدّمشقيّ قال حدَّثنا الزبير بنُ بكّار قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال: قدِم عَقِيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلَمةَ المخزوميّ، فمَرِض وأصابه القولنج، فَنُعِتَتْ له الحُقنة، فأبى. وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال: [من الطويل]

لقد سرّني واللهُ وقّاك شَرَّها ... نجاؤك منها حين جاء يقودُها

كفى خزيةً ألاّ تزال مُجَبِّيا ... على شَكْوة تُوكى وفي استك عُودُها[1]

[شدّ على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا عليُّ بن محمد عن زيد بن عيّاش التغلَبيّ والربيع بن ثُمَيْل قالا: غدا عَقِيل بن عُلَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع، فإذا بنوه مع بناتِه وأُمُّهِمْ مجتمعون، فشدّ على عملّس فحاد عنه، وتغنّى علّفة فقال: [من الطويل]

قفي يا ابنةَ المُرّيّ أسألْكِ ما الذي ... تريدين فيما كنتِ مَنَّيْتِنا قبلُ

نخبِّرْك إن لم تنجزي الوعدَ أنّنا ... ذَوا خُلّة لم يبقَ بينهما وصلُ

فإن شئتِ كان الصُّرم ما هبّت الصبا ... وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذلُ

فقال عَقيل: يابن اللَّخناء[2]، متى منَّتْك نفسك هذا؟ وشدّ عليه بالسيف، وكان عملّس أخاه لأمّه، فحال بينه وبينه، فشدّ على عملّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عَقيل وجعل يتمعّك[3] في دمه ويقول: [من الرجز]

إنّ بَنيَّ سَرْبَلُوني بالدَّمِ ... مَنْ يَلْقَ أَبطال الرّجال يُكْلَمِ

ومَنْ يكن ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ ... شنْشنةٌ أَعرفها من أَخْزَمِ[4]

قال المدائنيّ: «شِنشنة أعرفها من أخزم» مَثَلٌ ضربه. وأخزمُ: فحلٌ كان لرجل من العرب، وكان منجباً، فضرب في إبل رجلٍ آخر، ولم يعلم صاحبُه، فرأى بعد ذلك من نسله

---

1 يقال جبّى فلان؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً. الشكوة: القربة الصغيرة.

2 اللخناء: من اللَّخَن، وهو النتن.

3 يتمعّك في دمه: يتمرّغ.

4 مثل، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عبّاس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي. فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2. الشنشنة: الخليقة. المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ، قال: «قال ابن برّيّ: كان أخزم عاقاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك.

جملاً ، فقال : شِنْشِنة أعرِفها من أَخْزَم .

[عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدَّثني سليمان المدائنيّ قال حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لِعَقيل بن عُلّفة : إنّك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالىءَ لهنَّ ، والناس ينسُبُونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوّجهنّ إلاّ الأكفاء . قال : إنّي أَستعين عليهنّ بخَلّتين تكْلآنِهنَّ ، وأَستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُرْيُ والجوعُ .

[رماه ابنه عملس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال خالدُ بنُ كلثوم : لمّا رمى عملَّس بنُ عَقيل أباه فأَصاب ركبته غضب وأقسم ألاّ يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلمّا استوى على ناقته المسمّاة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته ، فقال : [من الطويل]

أَلَم تريـا أُطلالَ حَنَّـتْ وشاقَها ... تفرُّقُنا يـومَ الحَبيبِ على ظهرِ[1]

وأسبل مـن جرباءَ دمـعٌ كأنّه ... جُمانٌ أضاع السلكُ أجْرَته في سطرِ

لعمرُك إنّي يـوم أغـذو عَملَّسا ... لكالمتربِّي حَتفَه وهـو لا يدري[2]

وإنّي لأسقيـه غَبوقـي وإنّنـي ... لَغَرْثانُ منهوكُ الذّراعينِ والنحرِ[3]

[خرج ابنه علفة إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علّفة أيضاً ، فافترض[4] بالشام وكتب إلى أبيه : [من الطويل]

أَلا أبلغـا عنّي عَقِيلاً رسالةً ... فإنّك مـن حربٍ عليّ كريمُ

أما تذكر الأيّامَ إذ أنت واحِد ... وإذ كلٌّ ذي قُربى إليك ذميمُ

وإذ لا يَقِيك الناسُ شيئاً تخافُه ... بأنفسهم إلاّ الذيـن تَضيمُ

تَناول شأْوَ الأَبعدين ولَم يقم ... لشأوك بـين الأقربـين أديمُ

فأمّا إذا عضّتْ بك الحرب عَضّةً ... فإنّك معطوفٌ عليـك رحِيمُ

وأمّا إذا آنسْتَ أمنـا ورِخْوةً ... فإنّك للقُرْبـى ألـدُّ ظَلُـومُ[5]

فلمّا سمِع عقِيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدِم عليه .

---

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .

2 تربّبه وتربّاه : أحسن القيام عليه ووليه .

3 غرثان : جائع .

4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

5 الألدّ : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحقّ .

[سبّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني ابن جُعْدُبة قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أُمُّه أختُ عقيل بن عُلَّفة فقال له : قَبَحك الله ؛ أشبهتَ خالَك في الجفاء . فبلغتْ عَقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدْتَ لابن عمِّك شيئاً تُعيِّره به إلاّ خُؤولتي ؟ فقبَّح الله شرّكما خالاً . فقال له صُخَير بنُ أَبي الجَهْم العَدَوِيُّ (وأمّه قُرشيّة) : آمين يا أمير المؤمنين . فقَبح الله شرّكما خالا ، وأنا معكما أيضاً . فقال له عمر : إنّك لأعرابيٌّ جِلْف جافٍ ، أَما لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبتك . والله لا أراك تقرأُ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إنّي لأقرأُ ، قال : فاقرأ . فقرأ : ﴿إذا زُلْزِلتِ الأرْضُ زِلْزالَها﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقرأ : فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شراً يره ومَن يعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يره ، فقال له عمر : أَلَم أَقُل لك إنّك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أوَلَم أقرأ ؟ قال : لا ، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنّك قدّمت الشرّ . فقال عَقيل : [من الطويل]

خـذا بَطْنَ هَرْشى أَو قَفاها فإنّه ... كِلا جانبـيْ هَرْشى لهنّ طريقُ[1]

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيَتِه .

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائنيّ ، فذكر أنّه كان بين عُمرَ بنِ عبد العزيز وبين يعقوب بن سَلَمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأَغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنّك ابنُ أعرابيّة جافِيةٍ . فقال عَقيل لعمر : لعن الله شرَّ الثلاثة ، منّي ومنك ومِنه ؛ فغضب عمرُ ، فقال له صُخَير ابنُ أبي الجَهْم : آمين . فهو والله أيّها الأمير شرّ الثلاثة . فقال عمر : والله إنّي لأَراك لو سألتَه عن آية من كتابِ الله ما قرأها . فقال : بلى والله إنّي لقارىء لآية وآياتٍ فقال : فاقرأ ، فقرأ : إنّا بعثنا نوحاً إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك أنّك لا تُحْسِن . ليس هكذا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿إنّا أَرْسَلْنا نُوحاً﴾ فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا ! [من الطويل]

خذا أنف هَرْشى أَو قَفاهـا فإنّه ... كلا جانبي هَرْشى لهـنّ طريقُ

[دخل المسجد بخفّين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عُبيد الله بن أحمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثني علي بن محمد المدائنيّ عن عبد الله بن أسلم القرشيّ قال : قدِم عَقِيل بن عُلَّفة المدينة ، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ

1 هرشى : ثنيـة في طريق مكّة قريبة من الجحفة . وفي البيت مثل : يضرب فيما سَهُل إليه طريـق من وجهين . وهرشى : ثنيّة في طريق مكّة شرّفها الله تعالى قريـبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكلّ مَن يسلكها كان مصيباً . (معجم الأمثال للميدانيّ 3/31–32) .

غليظانِ ، فجعل يضربُ برجْلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحَكَم ، وكانت ابنة عَقيل تحته : يضحكون من خُفَّيك وضرْبك برجليك وشدّةِ جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنّها أَعجبُ من خُفّيّ . فجعل يحيى يضحك .

[خبره مع يحيى بن الحَكَم أمير المدينة وزواج ابنته]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أَخي الأصمعيّ قال حدَّثني عمِّي عن عبد الله بن مُصْعَب قاضي المدينة قال : دخل عَقِيلُ بن عُلَّفة على يحيى بنِ الحكم ، وهو يومئذٍ أَميرُ المدينة . فقال له يحيى : أَنكِح ابن خالي ، يعني ابنَ أُوفى ، فلانةَ ابنتك ؟ فقال : إن ابنَ خالك لَيَرْضى منّي بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أَكُفَّ عنه سَنَنَ[1] الخيلِ إذا غشيَتْ سَوامَه[2] . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أَخرِجاه . فأَخرجاه ، فلمّا ولّى قال : أَعِيداه إليّ ، فأَعاداه ، فقال عَقِيل له : ما لك تُكرِّرُني إكرارَ الناضح[3] ؟ قال : أَما والله إنّي لأكرك أعرج جافيا . فقال عَقِيل : كذلك قلت : [من البسيط]

تَعَجَّبَتْ إذ رأَت رأسي تَجَلَّله ... من الروائع شيبٌ ليس من كِبَرِ[4]
ومِن أُدِيمٍ تولَّى بعد جِدّته ... والجفنُ يَخلقُ فيه الصَّارِمُ الذكَرُ[5]

فقال له يحيى ، أَنشِدني قصيدتَك هذه كلّها . قال : ما انتهيتُ إلاّ إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنّك لَتقول فتقصّر ، فقال : إنّما يكفي من القلادة[6] ما أَحاط بالرقبة . قال : فأَنكِحني أنا إحدى بناتِك . قال : أمّا أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنّك مالاً وشرفاً . قال : أما الشَّرف فقد حمّلتُ ركائبي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشُّمَ ما لم تطِقْ ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأَيِّم ورضا الأبيّ . فزوّجه ثم خرج فهداها إليه ، فلمّا قدِمت عليه بَعَث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمِز عضُدها . فرفعت يدها ، فدقّت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتني إلى أعرابيّة مجنونة صنعتْ بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردتَ أن بعثتَ إليّ أَمَة تنظر إليّ ! ما أردتُ بما فعلتُ إلاّ أن يكون نظرك إليّ قبل كلّ ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنتَ أَحقّ مَن

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .
2 السّوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلي يرعى حيث يشاء .
3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .
4 الروائع : في ل : الوقائع .
5 تولّى : في ل : تعرّى . الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .
6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 62/2 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده .

وذكر المدائنيّ هذا الخبر مثْلَه ، إلاّ أنّه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أوّلَ مَن رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أوّلَ مَن واراه .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدَّثنا عبد الرحمن عن عمِّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى عَقِيل بن عُلَّفة ابنتَه الجرباء ، فقال له عَقِيل : قد زوّجتكها ، على أن لا يزفُّها إليك أعْلاجُك[1] ؛ أكونُ أنا الذي أجيءُ بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هَوْدج قال : أراه والله عَقِيلاً . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما وُدِنَ[2] بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهتَ شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعتُ يدها في يدك ثم برِئت ذمتك . فحملت الجِرباء بغلام ففرِح به يزيد ونَحَله وأعطاه . ثم مات الصبيّ ، فورِثت أمُّه منه الثُّلث ، ثم ماتت فورِثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت مِيراثك منهما فوجدته عشرةَ آلاف دينارٍ ، فَهَلُمَّ فاقبِضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إنّ مصيبتي بابني وابنتي تَشغَلني عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لي في مِيراثِهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبقتَ عليه الناس ، فأعطِنيه أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن يحيى قال : رأيتُ رجُلاً من قريش يقول له عَقِيل بن عُلَّفة : بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمودِ . فقلت له : يا ابن عُلَّفة ؛ إنّه يُكرَه أن يُقالَ هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أُحدِثَ ! إنّ هذا قولُ أخوالك في الجاهليّة إلى اليوم لا يعرِفون غيره . قال : فحدَّثْتُ به الزُّهريّ فقال : إنّ عَقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنّما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أخوالك» ، لأنّ أمّ يحيى بنِ طلحةَ مُريّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه]

قال المدائنيّ وحدَّثني عليُّ بنُ بشرٍ الجُشَمِيُّ قال قال الرُّمَيْحُ : خطب إلى عَقِيلٍ رجل من

---

1 أعلاجك جمع علج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرّة كثيرُ المال ، يُغْمَزُ في نسبه ، فقال : [من الطويل]

لَعمْري لئن زوّجتُ من أجلِ ماله هجيناً لقــد حُبَّتْ إليَّ الدراهمُ[1]
أأُنكِحُ عبداً بعــدَ يحيــى وخالدٍ أولئك أكفائــي الرجــالُ الأكارِمُ
أبى لِيَ أنْ أرضــى الدنيّــةَ أنّني أمُــدُّ عِنانــاً لم تخنْــه الشكائمُ

[خطب إليه رجل من بني مرّة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]

نسخت مِن كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ بخطّه يأثُره[2] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أنّ رجلاً من بني مُرّة يقال له داودُ أقبل على ناقةٍ له ، فخطب إلى عَقِيل بن عُلَّفة بعضَ بناتِه ، فنظر إليه عَقِيل ، وإنّ السيف لا يناله ، فطعن ناقتَهُ بالرّمح فسقطت وصرعته ، وشدّ عليه عَقِيلٌ فهرب ، وثار عَقِيلٌ إلى ناقته فنحَرها ، وأطعمها قومه وقال : [من الرجز]

ألَــم تَقلْ يا صاحبَ القَلُوصِ داودَ ذا الساج وذا القميصِ[3]
كانت عليه الأرض حيصٍ بيصِ حتى يَلُــفّ عِيصَه بعِيصي[4]
وكنــتُ بالشبّان ذا تقميــصِ

فقال داود فيه من أبيات : [من الطويل]

فتــى يَجْعَل الأمــرَ الحلالَ ببيتِهِ حراماً ويَقْري الضيفَ عَضْباً مهنَّدا

[فرّت منه زوجته الأنماريه فردّها إليه عامل فدك]

وقال المدائنيّ حدَّثني جوشن بن يزيد قال : لّما تزوّج عَقِيلُ بن عُلَّفة زوجَتَه الأنمارية ، وقد كَبر ، فرّت منه ، فلقيها جحّافٌ ، أحدُ بني قِتالِ بنِ يَرْبوع ، فحملها إلى عامل فَدَك ، وأصبح عقيلٌ معها ، فقال الأمير لِعَقِيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجَرْباء ؟ فقال عقيلٌ : كَلَّ ذَكَري ، وذهب ذَفَري[5] ، وتغايَبَ نفَري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشِبت الحرب بين بنـي جوشن وبين بنـي سهـمِ بنِ مرّة رهط عَقِيل بن عُلَّفة المريّ ، وهو من بني غَيْظ بن مرّة بن سهم بن مُرَّةَ إخوتهم ، فاقتتلوا في أمر يهوديٍّ خَمّارٍ كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جَوْشَنٍ

---

1 الهجين : العربيّ ابن الأمة .
2 يأثره : ينقله ويرويه .
3 السّاج : الطيلسان الضخم الغليظ .
4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .
5 الذفر : شدّة ذكاء الريح .

من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقِيل بن عُلّفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهم[1] . [من المتقارب]

فإمّا هلكتُ ولَم آتِكُمْ ... فأبْلِغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولا
بأن التي سامكُمْ قومُكُمْ ... لقد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضَيْمُ الممات ... وكلاًّ أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنّةٌ ... كفى بالحوادث للمرء غُولا[2]

قال : فلمّا وردت الأبياتُ عليهم تكفّلَ بالحربِ الحُصَيْن بن الحُمام المُرّيّ أحد بني سهم ، وقال : إليّ كتبَ وبي نَوّهَ ، خاطَبَ أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأبْلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك من قصيدة طويلة له : [من الطويل]

يَطَأن من القَتْلى ومن قِصَدِ القَنا ... خَباراً فما ينهضْنَ إلاّ تَقَحُّما[3]
عليهنّ فِتْيانٌ كساهم محرِّقٌ ... وكان إذا يَكْسو أجاد وأكرما[4]
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قُيونُها ... ومطَّرداً من نسج داود محكَما[5]
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِدْ ... لنفسي حياة مثلَ أن أتقدما

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائنيّ قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر : عدَتْ بنو جعفر بنِ كِلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عَقِيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبلَه فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك : [من الكامل]

إن يَشْرَقِ الكلبيّ فيكم بريقِه ... بني جعفر يُعْجَلْ لجاركُمُ القتلُ
فلا تحسبوا الإسلام غَيَّر بعدكم ... رماحَ مواليكم فذاك بكم جهلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ... نُذِقكم كما كنّا نُذيقكُمُ قبلُ
بدأتم بجاري فانثنيتُ بجاركم ... وما منهما إلاّ له عندنا حَبْلُ

---

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيتين (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .
2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .
3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسّرة . الخَبار من الأرض : ما لان واسترخى .
4 محرّق : لقب عمرو بن هند ، سمّي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .
5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين]

وذكر المدائنيّ أيضاً : أنّ عَقِيلاً كان وحده في إبله ، فمرّ به ناس من بني سَلامان فأسَروه ، ومرّوا به في طريقه على ناس من بني القَيْن ، فانتزعوه منهم ، وخلَّوْا سبيله . فقال عقيل في ذلك : [من الطويل]

أسعدَ هُذَيْم إنّ سعداً أباكُمُ ... أبى لا يوافي غاية القَيْنِ من كلبِ

وجاء هُذيمٌ والركابُ مُناخةٌ ... فقيل تأخّرْ يا هذيمُ على العَجْبِ[1]

فقال هذيم إن في العَجْبِ مركبي ... ومركب آبائي وفي عَجْبِها حَسْبي

قال : وسعد هذيم هم عُذرةُ وسَلامان والحارثُ وضَبّة .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويْه قال حدَّثني أبو مسلم عن المدائنيّ عن عبد الحميد بن أيّوب بن محمد بن عُمَيْلة قال : مات عُلَّفة بن عَقيل الأكبر بالشام ، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقيل بأرض الجناب ، فلم يصدّقه وقال : [من الكامل]

قَبَح الإلهُ ـ ولا أقبِّح غيره ـ ... ثَفَرَ الحمار مضرِّس بنَ سَوادِ[2]

تَنْعى امرءاً لم يَعْلُ أُمَّك مثلُهُ ... كالسَّيْفِ بين خَضارمٍ أنجادِ[3]

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لَعَمري لقد جاءتْ قوافل خبّرت ... بأمرٍ من الدنيا عليّ ثقيلِ

وقالوا ألا تبكي لمصرعِ فارس ... نعتْه جنودُ الشام غيرِ ضئيلِ

فأقسمتُ لا أبكي على هُلْك هالكٍ ... أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سبيلِ

كأن المنايا تبتغي في خيارِنا ... لها نسباً أو تهتدي بدليلِ

تَحُلُّ المنايا حيثُ شاءَت فإنّها ... مُحَلَّلةٌ بعد الفتى ابن عَقِيلِ

فتًى كان مولاه يَحُلُّ برَبْوَةٍ ... فَحلَّ الموالي بعده بمَسِيلِ

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه عملس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بنُ الحسن بنُ دريد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عَقِيل بن عُلَّفة قد أطردَ بنيه ، فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده . ثم إنّ رجلاً من بني صِرمة ، يقال له بَجيل ، وكان كثير المال والماشية ، حَطَمَ بيوتَ عَقِيل بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت

1 العجب : أصل الذنب وهو العصعص .

2 الثفر : السير الذي في مؤخّر السّرج تحت ذنب الدابة .

3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيل إلاّ لَقِيَ شرّاً . فطردت صافنةُ (أمةٌ له) الماشية ، فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه فشجّها . فخرج إليه عَقيل وحده ، وقد هرِم يومئذٍ وكبرتْ سِنّه ، فزجره فضربه بَجيل بعصاه ، واحتقره . فجعل عَقِيل يصيح : يا عُلّفة ، يا عَمَلّس ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغِيثاً بهم ، وهو يحسبهم لهرمِه أنّهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَيّة : [من الوافر]

أكلتَ بنيكَ أكلَ الضبِّ حتى ... وجدتَ مرارةَ الكـلأُ الوبيلِ

ولـو كان الألى غابوا شهوداً ... منعتَ فِناءَ بيتِك مـن بَجيلِ

وبلغ خبرُ عَقيلٍ ابنَه العَملّس وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمَد إلى بَجيل فضربه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر عِدَّة من إبله وأوثقه بحبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركِب راحلتَه ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطعَم لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شراباً .

[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا ابن عائشة قال : نزل أعرابيّ على المقْشَعِرّ بن عَقِيل بن عُلّفة المرّي فشربا حتى سكِرا وناما ، فانتبه الأعرابيّ مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذِي ، فقال له المُقْشَعِرُّ : ما لك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِض روحي . فوثب ابن عقِيل فقال : لا والله ولا كرامةَ ولا نِعمة[1] عينٍ له ! أيقبِض رُوحَك وأنت ضيفي وجاري ؟ فقال : بأبي أنتم وأمّي ! طال والله ما منعتـم الضَّيـم . وتلفَّف ونام .

تمّت أخبار عقِيل ولله الحمد والمِنّة .

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه ، لأنّ المُغَنّين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِعر عَقِيل في الغناء الماضي ذِكْرُهُ ، ونعيدُ هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشبيبٍ خاصةً وهو : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

سَلا أُمَّ عمرٍو فيم أَضحى أَسيرُها ... تُفادى الأسارى حوله وهو موثقُ

فلا هـو مقتول ففي القتـل راحَةٌ ... ولا منعَـمٌ يومـاً عليـه فمطْلَقُ

ويروى :

ولا هـو مَمْنونٌ عليـه فمطلقُ

الشعرُ لشبيب بن البرصاء ، والغناء لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الربيع . رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً آخر لطويس .

---

1 نعمة عين : قرّتها .

[224] ـ أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرةَ ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان . والبرصاء أمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلّفة ، وأمّ عقيل عَمْرَة بنت الحارث بن عوف ، ولُقِّبت قِرْصافةُ البَرْصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجى عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بَدَويّ لم يَحْضُر إلاّ وافداً أو منتجعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عَقِيل وشرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسُؤدُدهم . وكان شَبيب أعور ، أصاب عينه رجل من طيىء في حَرْب كانت بينهم .

[هاجى أرطاة بن سهية]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم السِّجِستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أَرْطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه : [من الطويل]

أَبِي كان خيراً من أبيك ولَم يزلْ جنيبــاً لآبائـي وأنــت جَنِيبُ[1]

فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسِكَ عــادِيُّ النِّجـادِ رَكُوبُ[2]

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شَبِيبٍ نفساً ، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدَّثنا الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيل بن عُلّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه ، ويُعَيِّرُه برجلٍ من طيىء كان يأتي أمّه عَمْرَةَ بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرّة : [من الطويل]

1 الجنيب : المنقاد التّابع .

2 العاديّ : القديم . النجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

أَلسنا بفُرْعٍ قد علمتم دِعامةً ... ورابيةً تنشقُّ عنها سيولُها[1]
وقد علِمتْ سعد بن ذُبيان أنّنا ... رحاها الذي تأوي إليها وجُولها[2]
إذا لم نَسُسْكم في الأمورِ ولم نكُنْ ... لحربٍ عَوانٍ لاقحٍ مَنْ يَئُولها[3]
فلستم بأهدى في البلاد مِن التي ... تَرَدَّدُ حَيْرى حين غاب دليلُها
دعت جُلُّ يربوع عقيلا لحادثٍ ... من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُها
فقلت له : هلاّ أجبتَ عشيرةً ... لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها !
وكائِن لنا من رَبْوة لا تنالها ... مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها
فخَرْتَ بأيّامٍ لغيرِك فخرُها ... وغُرَّتُها معروفةٌ وحُجُولُها
إذا الناس هابوا سَوْءةً عَمَدتْ لها ... بنو جابر شُبَّانُها وكُهولُها
فَهَلاّ بني سعدٍ صَبَحْتَ بغارةٍ ... مُسَوَّمةٍ قد طار عنها نَسيلُها ![4]
فتُدرِكَ وِتراً عند ألأم واترٍ ... وتُدْرِكَ قتلى لم تُمَمْ عقولُها[5]

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عَقِيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحَكَم فتكلّما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شبِيب بالصِّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زَوّج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شبيب يهجُوه : [من الوافر]

أَلا أَبلغ أَبا الجَرْباء عَنّي ... بآياتِ التباغُض والتَّقالي
فلا تذكُرْ أَباك العبدَ وافخر ... بأمّ لست مُكرِمَها وخالِ
وهبها مُهْرَةً لَقحت ببغل ... فكان جنينُها شرَّ البغالِ
إذا طارت نفوسُهُمُ شَعاعاً ... حَمَيْنَ المُحْصَنات لدى الحِجالِ[6]
بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه ... وضربٍ حيثُ تُقتَنَصُ العَوالي[7]

---

1 الفُرع : عدّة قرى آهلة على أربعة أيّام من المدينة .
2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيّ فإنْ زالتْ تلك الصخرة تهوّر البئر .
3 يئولها : يسومها .
4 الغارة : الخيل المغيرة . مسوّمة : مرسلة وعليها ركبانها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف .
5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .
6 الحجال جمع حَجَلة : وهي الكلّة تهيّأ للعروس .
7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرمح.

أبى لي أنّ آبائي كرام ... بَنَوْا لي فوق أشرافٍ طِوالِ[1]

بيوتَ المجد ثم نموت منها ... إلى علياءَ مُشْرِفة القَذالِ

تَزِلُّ حِجارةُ الرامين عنها ... وتقصُر دونها نَبلُ النِّضالِ

أبالْحُفَّاثِ شرُّ الناس حيّاً ... وأعناقِ الأُيورِ بني قِتالِ

رَفعتَ مُسامِياً لتنالَ مجداً ... فقد أَصبحتَ منهم في سَفالِ

قال أبو عمرو : بنو قِتال إخوةُ بني يربوع رهط عقيل بن علّفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفّه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمِله ؟ قال : كما تُحْمَل القربة . فعمَد إلى حبل فشدّ طَرَفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تحمل القِربة ، فلمّا صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرةً ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واراه . فلمّا انصرفا قال له : يا هناه[2] ، أَنَسِيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناه ، فإن يرِد الله به خيراً يَحُلُّه .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردّه ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة المُرّيّ ثم الصِّرْميّ ابنتَه ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنّك تبغي أن تردّني ، فقال له يزيد : ما أردت ذاك ، ولكن أَنظِرني هذا العام ، فإذا انصرم فعليّ أن أزوّجك . فرحل شبيبٌ من عنده مُغْضَباً ، فلما مضى قال ليزيدَ بعضُ أهله : والله ما أفلحتَ ! خطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومك فرددتَه ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبَر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوّجتك ، فإنّي أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمرْي لقد أشرفتُ يوم عُنَيزةٍ ... على رغبةٍ لو شدّ نفسي مَرِيرُها[3]

ولكنّ ضعفَ الأمر ألاّ تُمِرَّه ... ولا خير في ذي مِرّةٍ لا يُغِيرُها[4]

تَبَيَّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضت ... وتُقبلُ أشباهاً عليك صدورُها

تُرَجّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعُهُ ... وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها

ألا إنّما يكْفي النفوس إذا اتّقت ... تُقى الله مِمّا حاذَرتْ فيُجيرُها

---

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .

2 هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان .

3 المرير والمريرة : العزيمة . وعنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .

4 أمر الحبل : أحكم فتله . وأغار الحبل : أحكم فتله .

ولا خيرَ في العِيـدانِ إلاّ صِلابُها ... ولا ناهِضاتِ الطير إلاّ صُقورُها
ومستنبحٍ يدعو وقـد حـال دونه ... من الليل سَجفا ظُلمةٍ وسُتورُها[1]
رفعتُ لـه ناري فلمّا اهتدى لها ... زجرتُ كلابـي أن يَهِـرّ عَقورُها
فبات وقـد أسرى من الليلُ عُقْبَةً ... بليلةِ صِدْقٍ غاب عنهـا شُرورُها
وقـد علِـم الأضياف أنّ قِراهُمُ ... شِواءُ المَتـالي عندنـا وقَدِيرُها[2]
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبيان لم يَجِد ... سوى مـا بنينا مـا يَعُدّ فَخورها
وإنّـي لترّاكُ الضغينةِ قـد بـدا ... ثَراهـا من المولى فـلا أستثِيرها[3]
مخافةَ أن تجنـي عـليّ وإنّما ... يَهِيج كبيراتِ الأُمـورِ صغيرُها
إذا قِيلت العَوراءُ ولَّيتُ سمعَهـا ... سواي ولم أُسمع بها مـا دَبِيرُها[4]
وحاجةِ نفسٍ قـد بلغتُ وحاجةٍ ... تركتُ إذا ما النفس شحَّ ضميرها
حيـاءً وصبراً في المواطـن إنّني ... حييٌّ لَدى أمثالِ تلـك سَتِيرها[5]
وأحبِس في الحـقّ الكريمةَ إنّما ... يقوم بحـقّ النائبـات صَبورها[6]
أُحابي بهـا الحيَّ الذي لا تُهِمُّه ... وأحسابَ أَمـواتٍ تُعَـدّ قبورها
أَلَـم تَـرَ أنّا نـورُ قـوم وإنّما ... يُبَيِّـن في الظلماء للنّـاس نورُها

[تمثّل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلُ العَنَزِيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبديّ قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أُمية يستعينون بهم في الحَمالة[7] ، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثّل بقول شبيب بن البرصاء : [من الكامل]

ولقد وقفتُ النفسَ عـن حاجاتِها ... والنَّفسُ حاضِرةُ الشَّعـاعِ تَطَلَّعُ

1 السّجف : السّتر .
2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .
3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العمّ .
4 العوراء : الكلمة العوراء .
5 الستير : العفيف .
6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .
7 الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وغرِمت في الحَسَب الرفيع غَرامةً يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويَظْلَعُ[1]
إنّي فتًى حرٌّ لِقَدْرِيَ عارفٌ أُعْطي به وعليه مِمَّا أَمنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه]

أَخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال . حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال . حدَّثني الحِرمازيُّ قال : نزل شبيبُ بن البرصاء وأَرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْفُ القوافي برجل من أَشْجَعَ كثيرِ المال يُسمّى عَلْقَمةَ ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ ولَم يَذْبح لهم ، فلمّا رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب . فقال شبيب : [من الطويل]

أَفي حَدَثانِ الدهر أَمْ في قديمه تعلّمتَ ألاَّ تَقْرِيَ الضيفَ علقما[2] ؟

وقال أرطاة : [من الطويل]

لبِثنا طويلاً ثم جاء بمَذْقَةٍ كماء السَّلا في جانب القَعْبِ أَثْلَما[3]

وقال عُوَيف : [من الطويل]

فلمّا رأينا أنّه شرّ منزلٍ رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخُرِّما[4]

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمّه فرثاهم]

أُخبرني هاشمُ بن محمدٍ الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : غاب شبيبُ بن البرصاء عن أُهله غيبةً ، ثم عاد بعد مدّة ، وقد مات جماعة من بني عمّه ، فقال شبيب يرثيهم : [من البسيط]

تخرَّم الدهرُ إخواني وغادرني كما يُغادَرُ ثورُ الطارد الفَئِدُ[5]
إنّي لباقٍ قليلاً ثم تابِعُهُم ووارِدٌ مَنهلَ القومِ الذي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهيّة عليه]

قال أبو عمرو : هاجى شبيبُ بنُ البرصاء رجلاً من غَنيّ ، أو قال من باهلةَ ، فأعانه أرطاة بن سُهَيّة على شبيب ، فقال شبيب : [من الطويل]

لعمري لئن كانت سهيّةُ أوضَعَت بأَرطاةَ في رَكْبِ الخيانة والغدرِ[6]

---

1 الحصر : البخيل .
2 حدثان : بمعنى حديث .
3 السّلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إنْ لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح .
4 تخرّم : استؤصل وانقضى .
5 الفئد : الذي يشكو فؤاده .
6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطِّرْف العَتيقِ فيُشْتَرى — لِفِحلتـه ، ولا الجوادِ إذا يجرِي
أتنْصُرُ منّـي معشراً لستَ منهـم — وغيرُك أُولى بالحِياطـةِ والنصـرِ

ويروى : «وقد كنتُ أُولى بالحِياطة» وهو أجود .

[استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إيّاهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أرطاةَ بن سُهَيَّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حَيَّان المرّي وقالوا له : يعُمّنا بالهجاء ويشتُم أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخِص ، ودخل إلى عثمان وقد أتي بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بَهْدَل ومثغورٌ وهَيْصَم ، فقتل بهدلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ؛ أُقسِمُ قسماً حقّاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك ، فقال شبيب : [من الطويل]

سجنتَ لساني يا ابن حيّانَ بعدما — تَولَّى شبابي ، إنّ عَقْـدك مُحْكَمُ
وَعيدُك أبقى مـن لساني قُذاذةً — هَـيُوبـاً ، وصَمْتاً بعدُ لا يتكلّمُ[1]
رأيتك تَحْلَوْلي إذا شئت لامرىءٍ — ومُرّاً مُـراراً فيـه صابٌ وعَلْقَمُ[2]
وكلّ طريـدٍ هالـكٌ مُتَحَيِّـر — كما هلـك الحيرانُ والليـل مظلمُ
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا — كما كان مثغـورٌ عليـك وهَيْصَمُ
خطاطِيفُك اللاتـي تخطّفن بَهْدَلاً — فأوفى به الأشرافَ جِذعٌ مقوَمُ[3]
يـداك يَـدا خير وشرٍّ فمنهما — تَضُـرُّ وللأخـرى نَـوالٌ وأنعُمُ

[ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائيُّ ثم الجَرْميُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلمّا واجهوا بني جَرْم قال شبيب : اغتنِموا بني جَرْم ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلاّ أهلِ القَرْحَة ، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل ، فناداه شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطِّراف حَيَّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصَرها ، فقال شبيب : شدّوا عليه واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه ، فذهب

1 القذاذة من كل شيء : ما قطع منه .
2 المرار : شجر مرّ .
3 أشراف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيبٌ أعورَ ثم عمِيَ بعد ما أسنّ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمّه ، وفاز دعيج بالإبل ، فقال شبيب : [من الطويل]

أمرتُ بنـي البرصاء يـومَ حُزابَةٍ ... بأمـرٍ جميـع لم تَشتَّتْ مصادِرُهْ

بشَوْل ابن معروف وحَسَّانَ بعد ما ... جَرى لِيَ يُمنٌ قد بدا لِيَ طائِرُهْ[1]

أيرجع حُرٌّ دون جَرْم ولَم يكن ... طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعْذَع عاسِرُهْ[2] ؟

فأذهَبَ عيني يـوم سفح سَفِيرةٍ ... دُعَيْجُ بنُ سيف ، أعوزتْه معاذرُهْ

ولّما رأيت الشَّولَ قـد حال دونها ... من الهَضْب مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائِرُهْ[3]

وأعرض ركـنٌ من سَفيرةَ يُتّقى ... بشُمٌّ الذُّرى لا يعبُـدُ اللّهَ عامِرُهْ[4]

أخذت بني سيفٍ ومالِكَ مَوْقَعٍ ... بما جَرّ مولاهمْ وجَرّت جرائِرُهْ[5]

ولو أنّ رَجْلي يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزَتْـه مَغاوِرُهْ[6]

[هجاه أرطاة بن سهيّة ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن عاصم بن الحَدَثان قال : هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال : [من الطويل]

فلـو كنتَ عَوْفِيّا عمِيتَ وأسْهَلَتْ ... كُداكَ ولكـنّ المُريـب مُرِيبُ[7]

قال : فعمِي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطأة بن سهيّة ، فكان يقول : ليت ابن سهيّة حيّاً حتى يعلم أنّي عَوفِيّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عميَ ، وقلّ مَن يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليٌّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله : [من الكامل]

1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لبنها أي ارتفع .

2 يذعذع : يبدّد ويفرّق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيىء ، وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيىء يحيط بها الجبل .

3 الهضب : جبل ينبسط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .

4 عامرة : يعني به دعيجاً .

5 موقع : اسم موضع .

6 الرجل : جماعة الرجالة .

7 الكديّ : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَـر العواذِل يبتدِرْن ملامتي　　　والعاذِلون فكلُّهــم يَلْحـاني
في أن سبقتُ بِشَربــة مَقَدِيَّةٍ　　　صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماء شُنانِ[1]

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لسهلُ الوجـه يُعرَف مجلسي　　　إذا أحـزَنَ القـاذورةُ المتَعَبِّسُ[2]
يضيءُ سَنا جودي لِمَن يبتغي القـرى　　　وليلُ بخيـلِ القـوم ظَلمـاءُ حِندِسُ
أَلِـينُ لذي القُربـى مِـراراً وتَلتَوي　　　بأعنـاقِ أعدائـي حبـالٌ تَمَرَّسُ[3]

[كان عبد الملك يتمثّل بشعره ويعجب به]

قـال : وكان عبـد الملـك يَتمثّـل بقـول شبيبٍ في بـذل النفس عنـد اللقـاء ويُعجَب بـه : [من الطويل]

دعـاني حِصنٌ للفِـرار فساءَني　　　مواطِـنُ أن يُثْنـى علـيّ فأُشْتَما
فقلت لِحِصنٍ نَـحِّ نفسَك إنّما　　　يذُود الفتى عن حوضه أن يُهَدَّما
تأخّرتُ أَستبقي الحيـاةَ فلم أجِد　　　لنفسي حيـاةً مثـلَ أن أتقدّما
سيكفيك أَطـرافَ الأسنّة فارسٌ　　　إذا رِيـعَ نادى بالجواد وبالحِمى
إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أو شَكَتْ　　　حِبالُ الهُوَيْنى بالفتـى أن تَجَذَّما[4]

[سبب مهاجاته عقيل بن علّفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ ولَم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاءَ بين شبيب بن البرصاء وعقِيل بن علّفة أنّه كان لبني نُشْبَة جار من بني سَلامان بن سعد ، فبلغ عقيلاً عنه أنّه يطوف في بني مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً ، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يجُزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السَّلاماني على راحلته ، فوثـب عليه وهو وغِلمانه فضربوه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر راحلتـه ، وانصرف من عنده بشرّ ، فلم يعد إلى ذلك الموضع ، ولَجَّ الهجاء بينهما . وكان عقيلٌ شَرِساً سيّيء الخلق غَيُوراً .

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .
2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السيء الخلق .
3 تتمرس : يشتدّ التواؤها .
4 تجذّم : تقطّع .

[225] ـ أخبار دُقاق

[تزوّجت يحيى بن الربيع ثم بعدّة من القوّاد والكتاب فماتوا]

كانت دقاقُ مغنّيةً محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغنّي الدولة العباسيّة ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمدَ ابنه ، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدّثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالِماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّي غناء ليس بمُستطاب ولكنّه صحيح . ومات يحيى بنُ الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بِعِدّة ، فماتوا وورِثْتهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدّثني عمّي قال حدّثني أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسيُّ قال : كانت دقاق ، أمّ ولد يحيى ابن الربيع أحمد المعروفِ بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقِنَة الأداء والصّنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حَمدونَة بنتِ الرشيد ثم إلى غَضيض ، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوّة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقتْ[1] دقاق فتزوّجها بعد مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينبَ يهجوها : [من الخفيف]

قلتُ لمّــا رأيــتُ دارَ دقــاقِ ... حسنُها قــد أضرّ بالعشّاقِ

حذِّروا الرابــع الشّقيَّ دقاقاً ... لا يكونــنَّ نجمُه في مِحاقِ

ألْــهُ عـــن بَضْعها فإن دُقاقاً ... شُؤْمُ حِرْها قد سار في الآفاقِ[2]

لم تضاجع بعــلاً فهبّ سليماً ... بل جريحاً وجُرحُه غير راقي[3]

[كتبت إلى حمدون تصف هنها فردّ عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني الهَداديّ الشاعر قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظةُ عن ابن حمدون ، وروايةُ الكوكبيّ أتمّ ، قال : كتبتْ دقاق إلى أبي تصفُ هنها[4] صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخنَّثِين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابَها ، فأحضر بعضَهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

---

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .

2 البَضع : التزوج ، والبُضع : النكاح .

3 راقي : مسهّل راقيء ، من رقأ الدم أو الدمع : جفّ .

4 هن المرأة : فرجها .

القُوقُ[1] البُوقُ ، الأصلع المزبوق[2] ، الأقرع المفروق ، المنتفِخُ العروق ، يسدّ البُثوقَ[3] ، ويفتُق الفُتوق ، ويُرمُّ[4] الخُروق ، ويَقْضي الحقوق ، أسدٌ بين جملين[5] ، بغلٌ بين حَمَلَيْن[6] ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مِتْرس[7] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كوَّره ، ولو دخل البحر كدّره ؛ إذا رقَّ الكلامُ ، وتقاربتِ الأجسام ، والتفتِ الساقُ بالساق ، ولُطِخ باطنُها[8] بالبُصاق ، وقُرِع البَيْضُ بالذكور[9] ، وجَعلت الرماح تَمُور ، بطعن الفِقاح[10] ، وشقِّ الأَحْراح[11] ، صبرْنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدع . قال : فقطَعَها .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبيّ]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن الطيّب قال حدَّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرتُ مرّة مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس اليعقوبيّ البزّاز قَرابة بلال قال : فعبِث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلمّا أكثر عليه قال : اسمعوا منّي ، ثم حلف بالحنيفية أنّه لا يكذب ، وحدَّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونةَ بنتِ الرشيد ، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دقاقُ أُمُّ هذا تُقاوِلنا[12] في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُ إلى أَيْرين أُحوجُ من الأير إلى حِرَين ، وعلى الوجه الآخر : كما أنّ الرّحا إلى بغلين أُحوج من البغل إلى رَحَوَيْن ، قال : فأسكته والله سكوتاً علِمنا معه أنه لو خرِس لكان الخرَس أصوَنَ لعرضه ممّا جرى .

---

1 القوق : الفاحش الطول .
2 المزبوق : المنتوف .
3 البثوق : الشقوق .
4 يرمّ : يصلح .
5 ل : بين شبلين .
6 ل : بين حمارين .
7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .
8 ل : رأسه .
9 أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليباً :

فلولا الريح أسمع أهل حجر   صليل البيض تقرع بالذّكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السّيوف من حديد غير أنيث .
10 الفقاح : جمع فَقْحة ، وهي حلقة الدُّبُر .
11 الأحراح : جمع حِرْح وهو الفرج .
12 تقاولنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسيّان[1] يروّحانها في الخَيش ، فتحدّث الناس أنّها قالت لواحد منهما أن يَنيكها ، فعَجَز فقالت له : نِكْني وأنت حرّ ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زينب : [من السريع]

دقاقُ في خفضٍ من العيشِ ... أحسنُ من غَنّى لنا أو شَدا
بعِلّة الترويح في الخيشِ ... لها غلامان يَنيكانِها

[قال فيها إبراهيم بن المهديّ شعراً]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابَطها[2] وتزوّجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه : [من الوافر]

صوت

أكلَّ الناسِ ويحكِ تعشَقينا ؟ ... عدِمتُكِ يا صديقةَ كلِّ خَلْقٍ
بلحمِ سمينِهم لا تبشَمينا[3] ... فكيف إذا خلطتِ الغَثّ منهم

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رَيّق وإلى شارِيَة .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو هفّان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعمِلت بعده الأوابِدَ[4] ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمِه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيى نعمْ صَبَرْتَ على المو ... ت ولم تخشَ سهْمَ ريبِ المَنونِ
كيف قل لي أطَقْتَ ويحك يا يحـ ... ـيى على الضَعف منك حملَ القُرونِ !
ويحُ يحيى ما مرّ باست دُقاقٍ ... بعد ما غاب من سِياط البطونِ

1 الخلاسي : الولد بين أبوين أبيض وأسود .
2 رابطها : لازمها .
3 بَشِم : أتخم .
4 الأوابد : جمع آبدة ، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهاً كأنّك ناصحٌ وعينُك تُبْدِي أنَّ صدرك لي دَوِي[1]

لسانُكَ لِي حلوٌ وعينك علقمٌ وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُلْتَوي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفيّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

1 كاشره : ضحك في وجهه وباسطه . دَوِيَ : مرض .

[226] ـ نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيد بنُ الحَكَم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابيّ . وذكر غيره أنّه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأنّ عثمان عمُّه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بِشر بن عبد دُهْمان بن عبد الله بن همّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسيّ وهو ثقِيفُ .

[روى جدّه عثمان حديثاً]

وعثمان جدُّه أو عمّ أبيه أحدُ من أَسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة ، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أُقْطِعَها وابتاعها وقد رَوى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسنُ بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا بشر بن موسى قال حدَّثنا الحُمَيْدِيُّ قال حدَّثنا سفيان ، سمعه من محمدِ بن إسحاق ، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيدُ بن أبي هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : سمعت عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفيّ يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أُمَّ قومَك واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة» . قال الحُمَيديّ وحدَّثنا الفُضَيْل بن عِياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذّناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا العلاء بنُ الفضل قال حدَّثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ وهو يُنْشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي يُنشِد شعراً كأنّه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيدُ بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرقان بن بدر ، وأمّها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعَة بن ناجية . وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركِبت البحر فأخرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّجَ[1] ، وكان الزّبرقان يكنى أبا العبّاس ، وكان له بنون منهم العبّاسُ وعيّاش .

---

1 تَوَّج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجّاج وقد ولاّه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحِزاميّ قال : دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكَم الثقفيّ ، فولاّه كورةَ فارسَ ، ودفع إليه عهدَه بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج : أنشِدْني بعضَ شعرك ، وإنّما أراد أن يُنشِده ، مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول : [من الكامل]

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً بيضـاء تَخْفِـقُ كالعُقاب الطائرِ

فلمّا سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضَباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجّاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيّهما خيرٌ لك : ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له : [من الكامل]

ورِثـتُ جـدّي مجـدَه وفَعالَـه وورِثـت جـدَّك أَعْنُزًا بـالطائفِ

[خرج عن الحجّاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أُمسى بأسماءَ هـذا القلبُ مَعْمُودا إذا أَقـول صَحـا يَعْتـادُه عِيدا

يقول فيها :

سُمِّيتَ باسم امرىء أشبَهْتَ شيمتَه عـدلاً وفضلاً سليمانَ بن داوُدا

أَحْمِدْ به في الوَرى الماضينَ من مَلِكٍ وأنت أصبحت في الباقـين محمودا

لا يَبْرأ الناس من أن يحمدوا مَلِكاً أولاهُـمُ في الأمور الحلمَ والجودا

فقال له سليمان : وكَمْ كان أجرى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمتَ حيّاً . وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من البسيط]

صوت

أُمسى بأسماءَ هـذا القلب معمودا إذا أقول صحـا يعتـاده عِيدا

كأنَّ أحـورَ من غِزلان ذي بَقَرٍ أَهدى لهـا شَبَهَ العينين والجِيدا[1]

أُجـرِي على مَوعدٍ منها فتُخْلِفُني فـلا أَمَلُّ ولا تُـوفي المـواعيدا

كأنّنـي يـوم أُمْسي لا تُكلّمُني ذُو بُغْية يبتغي مـا ليس موجودا

ومن الناس مَن ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

---

1 ذو بقر : موضع .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى .

[حديثه مع الحجّاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسد قال حدَّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال أخبرنا ابنُ عيّاش عن أبيه قال : سمعت الحجّاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول : [من الطويل]

وما العفُو إلاّ لامرىءٍ ذي حفيظة ... متى يَعْفُ عن ذنب امرىء السَّوء يَلْجَجِ

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الأمير ، إنّي قد رثيت ابني عَنْبساً ببيت ، إنّه لشبيهَ بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت : [من الطويل]

ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه ... عليه ، ويخشى جهلَه جُهَلاؤها

قال : فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إنّ ابني والله كان أحبَّ إليّ من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمّي عن الكُرانيّ عن الهيثم بن عديّ . قال : كان ليزيد بن الحَكَم ابنٌ يقال له عَنْبَس ، فمات فجزِع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جَزى الله عنّي عَنْبساً كلَّ صالحٍ ... إذا كانت الأولادُ سَيْئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني ... على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها

جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتَغى ... حليمٌ ويَرْضى حلمَه حُلَماؤها

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأوّل .

[شاعر ثقيف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقيفٍ في الجاهليّة خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقيل له : من يَعْنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أمّا شاعرهم في الإسلام فيزيدُ بن الحَكَم حيث يقول : [من الطويل]

فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألْتك لحيتُك الخِضابا

عقائلُ من عقائل أهل نَجدٍ ... ومكّة لم يُعَقّلْنَ الرِّكابا

ولَم يَطرُدن أبقعَ يوم ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا[1]

وقال شاعرهم في الجاهلية : [من الكامل]

1 الغراب الأبقع : ما كان فيه سواد وبياض .

والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه عُمُراً يكـون خلالَـه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِص منّـي المَشيبُ قُلامَةً وَلَما بَقِي مِنِّـي أَلَبُّ وأَكْيَسُ[1]

[شعره ليزيد بن المهلّب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحَكَم الثقفيّ ليزيد بن المهلّب حين خَلَع يزيد بن عبد الملك : [من الطويل]

أَبا خالد قد هِجْتَ حرباً مريرةً وقـد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بن المهلّب : بالله أَستعين ، ثم أَنشده ، فلمّا بلغ قوله :

فإنَ بني مـروان قـد زال مُلكُهُمْ فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيد بن المهلّب : ما شَعرت بذلك ، ثم أَنشده فلمّا بلغ قوله :

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ وسيفك مشهور بكفّـك تُعـذرِ

قال : هذا ما لا بدَّ منه .

قال العمريّ : وحدَّثني الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أنّ يزيد بن المهلّب إنّما كتب إليه يزيد بن الحَكَم بهذه الأبيات ، فوقّع إليه تحت البيت الأوّل : أُستعين بالله . وتحت البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أَمّا هذه فنعم .

[مدح يزيد بن المهلّب وهو في سجن الحجّاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدَّثني الغَلاَّبيّ قال حدَّثني ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحَكَم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم[2] عليه ، وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألف درهم فقال له : [من المنسرح]

أَصْبَح في قَيْدِك السماحةُ والجو دُ وفضل الصَّلاح والحَسَبُ[3]
لا بَطِـرٌ إن تتابعـتْ نِعَـمٌ وصابـرٌ في البـلاء محتَسِبُ
بَرَزْتَ سَبْقَ الجيادِ في مَهَـلٍ وقَصَّرتْ دون سَعْيك العَرَبُ

قال : فالتفت يزيد بن المهلّب إلى مولًى له ، وقال : أَعطِهِ نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزة بن بِيضٍ مع يزيد .

---

1 ألبّ وأكيس : أكثر عَقْلاً وحزماً .
2 تنجيم الدين : أنْ يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة .
3 وفضل الصلاح في ل : وحمل السلاح .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني هارون بن مُسلِم قال حدَّثني عثمان بن حفص قال حدَّثني عبد الواحد عَرِيفُ ثقيفٍ بالبصرة : أنّ العبّاسَ بنَ يزيد بن الحكَم الثقفيّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشِيني قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إنّي لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجَّح في مشيته ، فلمّا رآني أقبل إليّ ، فقال القومُ : هذا جريرٌ ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السَّلامُ عليك ، مِمَّنْ أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيفٍ . قال : أعرضْتَ[1] الأديمَ ، ثمّ ممّن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلاّ الله ! أمثلُك يعرَفُ بأهل بيته ! فقلت : أنا رجلٌ من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشْر ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهُمْ أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحَكَم . قال : فمن الذي يقول : [من الكامل]

فَنِيَ الشّبابُ وكلُّ شيء فانِ وعَلا لِداتـي شيبهُم وعلاني

قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول : [من الوافر]

ألا لا مرحبـاً بفـراق ليـلى ولا بالشيب إذ طَـرَدَ الشبابا
شبابٌ بـان محمـوداً وشَيبٌ ذميمٌ لم نَجِـد لهما اصطحابا
فما منك الشبابُ ولستَ منه إذا سألتـك لِحيتُك الخضابا

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول : [من الطويل]

تعالَوْا فعُدّوا يعلِـم الناسُ أيُّنـا لصاحبــه في أوّل الدّهــرِ تابعُ
تزيَّـدُ يربــوعٌ بكـم في عِدادها كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارِعُ[2]

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمّك ، فقال : رحم اللهُ أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنزّلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نَزّل أحداً قبلك قطّ .

[شعره في جارية مغنّية كان يهواها]

أخبرني محمد بن مَزْيد بنِ أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصليّ عن يزيد حَوْراءَ المغنّي قال : كان يزيد بنُ الحكَم الثقفيّ يَهْوى جاريةً مغنّية ، وكانت غير مطاوِعةٍ له ، فكان يهيم بها ، ثم قدِم رجلٌ من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرّت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرّضه : جعله عريضاً أي واسعه .
2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدقّ الساق .

الحَكَم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة ، فلمّا علِم بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]

يا أيّها النازِحُ الشَّسُوع ودائعُ القلب لا تَضيعُ[1]
أَستودِعُ اللهَ مَـنْ إليـه قلبي على نأيـه نَزُوعُ[2]
إذا تذكرتُـه استهلّـت شوقاً إلى وجهه الدّموعُ

[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أأنت يزيدُ بنُ الحَكَم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه : [من مخلع البسيط]

لئن كـوى قلبَكَ الشُّسوعُ فالقلبُ منّي بـه صُدوعُ
وبـي وربٍّ السماء فاعلم إليـك يـا سيّـدي نُزُوعُ
أعـزِزْ علينا بمـا تلاقي فينـا وإن شَفَّنـا الوَلوعُ
فالنّفس حَرَّى عليك وَلْهى والعين عَبْرى لهـا دموعُ
فموتنـا في يـدِ التنائي وعيشُنا القـربُ والرجوعُ
وحيثما كنـتَ يـا منايا فالقلب مِنّـي بـه خُشوعُ
ثـم عليـك السلام منّي ما كان من شمسها طلوعُ

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصّتُه ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفِر الله مِن حَمْلِه الكتاب إليه ، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

[شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفة بن العبد : [من الطويل]

تُكاشرني كرهـاً كأنّك ناصـح وعينك تُبدي أن صدرك لي جَوِي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إنّي كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحَكَم ، ويزيد مولَّد يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

1 الشسوع : الشّاسع البعيد .
2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أظنّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابيّ لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنّه ليزيد بن الحَكَم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبِهاً لمذهب طرفة ونمطِه ، وهو بيزيد أشبه ، وله في معناه عِدّة قصائد يعاتِب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحَكَم وابن عمِّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومَن قال إنّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

ومَوْلًى كذئبِ السَّوء لو يستطيعني ... أُصاب دمي يوماً بغير قتيلِ

وأُعْرِضُ عمّا ساءه وكأنّما ... يقاد إلى ما ساءني بدليلِ

مجاملَةً منّي وإكرامَ غيره ... بلا حَسنٍ منه ولا بجميلِ

ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه ... بإيعاب جَدْعٍ بادىءٍ وعليلِ[1]

حفاظاً على أحلام قوم رُزِئْتُهم ... رزانٍ يَزينون النّديّ كُهولِ

وقال في أخيه عبد ربّه : [من البسيط]

أخي يُسِرُّ لِيَ الشَّحناءَ يُضْمِرها ... حتى وَرى جَوْفَه من غِمْرِه الداءُ[2]

حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصَّتَه ... وقد تعرّض دون الغصةِ الماءُ

حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني ... منه كما يُنزِل الأعداءَ أعداءُ

أَسعى فَيكفُرُ سعيِي ما سعيتُ له ... إنّي كذاك من الإخوان لَقّاءُ

وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدّهنّ تِراتٍ وهْيَ آلاءُ

فأمّا تمام القصيدة التي نُسِبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُخْتارها لِيُعْلَم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه : [من الطويل]

تُصافِحُ من لاقيتَ لي ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعنّي بينُ عينيك مُنْزَوي

أراك إذا لَم أَهْوَ أمراً هَوِيتَه ... ولستَ لِما أَهوى من الأمرِ بالهَوِي

أَراك اجتويتَ الخيرَ منّي وأَجتوِي ... أذاكَ ، فكلٌّ يجتوي قُرْبَ مجتوِي

فليت كَفافاً كان خيرُك كلّه ... وشرُّك عنّي ما ارتوى الماءَ مرتوِي

---

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .

2 يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغلّ .

عـدوّك يخشى صولتي إن لقيته وأنت عدوّي ، ليس ذاك بمستوِي

وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كما هَوى بأَجرامه من قُلّـة النِّيـقِ مُنهوِي[1]

إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمّك لم تُعِن وقلـتَ ألا يـا ليت بنيانَه خَوِي[2]

كأنّك إن نـال ابنُ عمِّك مَغْنَماً شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّة لَوِي[3]

وما برِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشيتَها تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنت مكتوي

جمعتَ وفُحشاً غِيبةً ونميمةً ثلاثَ خصال لستَ عنهنّ ترعوي

ويدحو بك الدّاحي إلى كلّ سَوْءةٍ فيا شرَّ مَن يدحو إلى شرّ مُدْحَوِي[4]

بـدا منك غِشٌّ طالما قـد كتمته كما كتمتْ داءَ ابنها أُمّ مُدَّوِي[5]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَن له في العِلم أدنى سَهْمٍ عَرَف أنّه لا يَدخل في مذهب طَرَفَة ولا يقاربه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَبـى القلـب إلاّ أُمَّ عوفٍ وحُبَّها عجوزاً ، ومَن يعشَقْ عجوزاً يُفنَّدِ

كثوب يمـانٍ قـد تقادمَ عهدُه ورُقعتُه ما شِئتَ في العـين واليدِ

الشعر لأبي الأسودَ الدّؤليّ والغناء لعَلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

---

1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

2 خوي المنزل : خلا من أهله .

3 شجٍ : حزين . لَوِي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .

4 ل :

ويدعو بك الداعي إلى كلّ سوءة فيا شرّ من يدعو إلى شرّ من دُعِي

5 ادّوى : أكل الدواية ، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق .

[227] ـ أخبار أبي الأسود الدؤليّ ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفاثةَ بن عديّ بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار ، وهم إخوة قريش ، لأنّ قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت [فيه] مع بني أبيها ، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم ، وأَبعَدُ مَن قال في ذلك مَدًى مَن زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسبِ قريش ؛ فأمّا النسّابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عبّاس وغيرِه ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهِد بدراً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولاّه عليّ البصرة بعد ابن عبّاس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مِثلَه .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عبّاس ، وهو كان الأصلَ في بناء النحو وعَقْدِ أصوله .

[كان أوّل مَن وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبَريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازِنيّ عن أبي عمر الجَرْميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سِيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحَضْرميّ عن عَنْبسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعمُر الليثيّ .

أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ ! (رفَعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لمّا خالَطَت العَجَم ، وأوشك إن تَطاولَ عليها زمان أن تضمحِلَّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا حفِظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبتُه من حِفْظي ، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه .

[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف ، فنَقَطها ورَسَم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عَنبسةُ بن مَعْدانَ المَهْريّ ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميُّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديُّ وكان صلِيبة فلحب الطريق[1] . ونَجَم علي بن حمزة الكسائيّ مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .

[أخذ النحو عن عليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال حدَّثنا التَّوَّزِيّ والمَهْرِيّ قالا حدَّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيْميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العِلم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبريّ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبي النجود قال : أوّل مَنْ وضع العربيّة أبو الأسود الدؤليّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنّي أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم ، وتغيّرتْ ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع لهم عِلماً يقيمون به كلامَهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلّف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤليّ ، فرُدّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه . فوضع لهم النحو . وقد رَوى هذا الحديث عن أبي بكر بن عيّاش يزيدُ بن مِهْران ، فذكر أنّ هذه القصّة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

[أوّل باب وضعه في النحو باب التعجّب]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا العَنَزيّ عن أبي عثمان المازنيّ عن الأخفش عن

1 صليبة : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة . لحب الطريق : بيّنه .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أوّل باب وضعه أبي من النحو باب التعجّب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤليّ معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلّها مقدَّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدِّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدُّهاة والنحويّين والحاضِرِي الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلْع الأشراف والبُخْر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطّاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبيّ ﷺ ، حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخيّ قال حدَّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال حدَّثنا يونس بن محمد قال حدَّثنا داود بن أبي الفُرات عن عبد الله بن أبي بُرَيْدة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلستُ إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثْنِيَ على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وَجبتْ ، ثم مرّ بأُخرى فأثني على صاحبها بشرّ ، فقال عمر : وَجبتْ ، فقال أبو الأسود : ما وَجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيُّما مسلمٍ شهِد له أربعة بخير أدخله الله الجنّة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدَّثني حمّاد بن سعيد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا معاذ بن هشام قال حدَّثني أبي عن قَتادة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال : إنّ نبيّ الله ﷺ قال : «لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ» .

[حديثه عن علي]

وممّا رواه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال حدَّثنا هنّاد بن السَّرِيّ قال حدَّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه أبي الأسود الدؤليّ عن عليّ كرّم الله وجهه أنّه قال في بول الجارية : يُغْسَل ، وفي بول الغلام : يُنْضَح ما لَم يأكلا الطعام .

[تبع ابن عبّاس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليردّه فأبى]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَوِيّ قال حدَّثنا عليّ بن الجَعْد قال حدَّثنا مُعَلَّى بن هلال عن الشَّعْبيّ وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ جميعاً قالوا : لمّا خرج ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليردّه ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هِلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنْشُدكم اللهَ ألاّ تَسفِكوا بيننا دماء تَبقى معها العداوة إلى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمّه ، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاّه البصرة .

[كان كاتباً لابن عبّاس على البصرة قبل أن يتولاّها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ووكيع وعمّي قالوا جميعاً حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن عمران الضَّبّيّ قال حدَّثني خالد بن عبد الله قال حدَّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عبّاس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجة ... فـادْعُ الإله وأَحسِنِ الأعمالا

فَلْيُعْطِيَنَّــك مــا أَراد بقــدرة ... فهــو اللطيف لِمـا أَراد فِعالا

إنّ العبـادَ وشأنَهم وأُمورَهم ... بيـدِ الإلــه يقلّــب الأَحوالا

فدعِ العبادَ ولا تكن بطِلابِهم ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا[1]

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أسنَّ وكبِر ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أَراك تُكثر الركوب وقد ضعُفتَ عن الحركة وكبِرتَ ، ولو لزمتَ منزلك كان أودَعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ ولكنّ الركوب يُشدّ أعضائي ، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي ؛ وأستنشي الريح ، وأَلقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي ، وأنِسَ بي الصبيّ ، واجترأ عليّ الخادم ، وكلّمني من أهلي من يَهاب كلامي ، لإلْفِهم إيّاي ، وجلوسِهم عندي ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد : هُسْ[2] .

[سأله بنو الديل المعاونة في دية رجل فأبى وعلّل امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال : كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته ، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرةِ وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قِلّة ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود ، فلمّا أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد

---

1 تتضعضع : تخضع وتذلّ .

2 هُسْ : زجر للغنم .

أكثرت يا ابن أخي فاسمع منّي : إنّ الرجل والله ما يعطي مالَه إلاّ لإحدى خِلالٍ : إمّا رجلٌ أعطى مالَه رجاءَ مكافأةٍ ممّن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرةِ ، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله ، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمُّك الرجل العاجزِ فينخدِع لهؤلاء ، ولَما أفدتَك إيّاه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل ، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فردّ عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤليّ إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمَن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤليّ يوماً فقال لقومه : كأنّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مرّ به مرّة أخرى ، فقال لهم : كأنّ غُضونَ قفا أبي الأسود غُضونُ الفِقاحِ . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فَقْحةَ أمّك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه ممّا كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله : [من الطويل]

وأَهْوَجَ مِلْجاجٍ تصامَمتُ قبلَه ... أن اسمعَه وما بِسَمْعِيَ مِن باسِ
ولو شئتُ قد أعرضتُ حتى أُصيبَه ... على أنفه حَدباءَ تُعْضِل بالآسي[1]
فإن لساني ليس أهونَ وَقْعةً ... وأصغَرَ آثاراً من النحتِ بالفاسِ
وذي إحنةٍ لم يُبْدِها غيرَ أنّه ... كذي الخَبْل تأبى نفسُه غيرَ وَسواسِ
صفَحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه ... وعيني ـ وما يدري ـ عليه وأحراسي
وعندي له إن فار فَوّارُ صدرِه ... فَحاً جَبَليٌّ لا يعاوده الحاسي[2]
وخَبٌّ لحومُ الناس أكثرُ زادِهِ ... كثيرِ الخنا صَعْبِ المَحالةِ هَمّاسِ
تركتُ له لحمي وأبقيت لحمه ... لَمن نابه من حاضرِ الجنّ والناسِ
فكَرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنّما ... يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفا جبلٍ راسي

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ قال: خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعةَ أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابيّ فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مَقُولة. قال: أَدخلُ؟ قال: وراؤك أوسعُ لك. قال: إنّ الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلي، قال: بُلْ عليها أو ائتِ الجبل يَفِيء عليك. قال: هل عندك شيء تُطعِمُنيه؟ قال: نأكل ونطعم العِيال، فإن فضَل شيء فأنت أحقّ به من الكلب، فقال الأعرابيّ: ما رأيت قطُّ ألأمَ منك. قال أبو الأسود: بلى قد رايت؛ ولكنّك قد أنسيتَ.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر فقال فيه: كان أبو الأسود جالساً في دِهليزه وبين يديه رُطَب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلّم ثم ذكر باقي الخبر، مثلَ الذي تقدمّه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاوُسة، وانصرف. قال: أسألك بالله إلاّ أطعمتني ممّا تأكل، قال: فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات، فوقعت إحداهنّ في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنّما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان، فقال له: لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها.

[أسرّ إلى صديقه أنه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّها فزُوِّجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عِمران الضبيُّ الصَّيْرفيُّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل قال حدَّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال ذَكر الهيثمُ بنُ عديّ عن ابن عيّاش قال: خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عمّ لها كان يخطبها، وكان لها مال عند أهلها، فمشى ابن عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضاروها حتى تزوّجت بابن عمّها، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك: [من الطويل]

لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلى بعضِ من لم أخشَ سِرّاً مُمنَّعا

فمزّقه مَزْقَ العَمِـي وهـو غافل ... ونادى بما أخفيتُ منـه فأسْمعا

فقلـت ولم أفحِش لَعاً لك عاثراً ... وقد يعثُر الساعي إذا كان مسرِعا[1]

ولستُ بجازيك الملامــةَ إنّني ... أرى العفو أدْنى للرشاد وأوسَعا

---

1 لعاً لك: كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش.

ولكن تعلّمْ أنّـه عهـدُ بيننا فبِـنْ غيرَ مذمـوم ولكن مُودَّعا
حديثاً أضعناه كلانـا فـلا أرى وأنت نجيّاً آخـرَ الدّهـر أجمعا[1]
وكنتَ إذا ضيّعتَ سرّك لم تجد سواك لـــه إلاّ أشتَّ وأضيَعا

[وقال أيضاً في مَن أفشى سرّه]

قال : وقال فيه : [من الطويل]

أمِنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازما ولكنّــه في النصح غيرُ مُـرِيبِ
أذاع بــه في الناس حتـى كأنّه بعليـاءَ نـارٌ أُوقـدتْ بثَقُوبِ[2]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تلتبسْ قوارعُـه مــن مخطىء ومُصيبِ
فما كلّ ذي نصح بمؤتيك نُصحَه ومـا كلّ مــؤتٍ نصحَه بلبيبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ فحُقَّ لــه مـــن طاعـة بنصيبِ

[اشترى جارية حولاء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حولاء ، فعابها أهله عنده بالحوَل ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يَعيبونها عنـدي ولا عيبَ عندها سوى أن في العينين بعضَ التأخّرِ
فـإن يـك في العينين سوء فإنّها مُهَفْهَفَةَ الأعـلى رَداحُ المؤخَّـرِ[3]

[تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنّهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إنّي بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تَحِيف عليّ في الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالما ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

---

1 النجيّ : المسار .
2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .
3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً ... عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ واغضبِ[1]
وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطَّرِحْ ... مقالتهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بذي جهل وباعد بعالم ... جَلوبٍ عليك الحقَّ من كلّ مَجْلَبِ
فإن حدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا ... ليستمكِنوا ممّا وراءك فاحدَبِ[2]
ولا تدْعُني للجَورِ واصبِر على التي ... بها كنتُ أقضي للبعيد على أبي
فإنّي امرؤ أخشى إلهي وأتَّقِي ... مَعادي وقد جرّبتُ ما لم تجرِّبِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحرّ فرمى كتابه]

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أنّ محمد بن سلام حدَّثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذَكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليّ إلى الحصين بن أبي الحُرّ العَنبريّ جدّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشَليّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرَّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين : [من الطويل]

حسبِت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً ... لسَيْبك ، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبَّرني من كنتُ أرسلتُ أنما ... أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشِمالكا
نظرتَ إلى عنوانه فنبذتَه ... كنبذك نعلاً أخلقتْ مِن نِعالِكا
نعَيمُ بن مسعود أُحقّ بما أتى ... وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيبُ وما يدري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النُّوْك إلاّ كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يَدْري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أُحقّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إنّي أرى فيك مُصْطَنَعاً[3] فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليّ ، فغرِم له ما كان يطالب به .

---

1 النصف : الانتصاف .
2 قعس : نقيض الحدب .
3 المصطنع : أي محل للصنيعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال : أراد أبو الأسود الدؤليّ الخروج إلى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنّك قد كبِرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرم وتَسلك الطريق آمناً ، فإنّي أخشى عليك ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

إذا كنتَ معنِيّاً بأمرٍ تُريده ... فما للمَضاء والتوكّل من مِثْلِ
توكّل وحمِّل أمرَكَ اللهَ إن ما ... ترادَ به آتيك فاقنع بذي الفضلِ
ولا تحسبنَّ السيرَ أقربَ للردى ... من الخفض في دار المُقامة والثَّمْلِ[1]
ولا تحسبيني يأبنْتي عزَّ مذهبي ... بظنّك ، إن الظنّ يَكذِبُ ذا العقلِ
وإنّي ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبِري ... ولا تجعلي العِلْمَ المحقَّق كالجهلِ
وإنّك لا تدرين : هل ما أخافه ... أبعدِيَ يأتي في رحِيلِيَ أو قبلي
وكم قد رأيتَ حاذراً متحفّظا ... أُصيبَ وألفتْه المنيةُ في الأهلِ

[خبره مع صديقه نسيب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم العَتَكيّ قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيْب بن حُمَيد ، وكان يغشاه في منزله ، ويتحدّث إليه في المسجد ، وكان كثيراً ما يحلف له أنّه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقه[2] مُخْمَلة أُصبهانية من صوف ، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المُستُقة ؟ فقال : أريد بيعها ، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك ، فإنّها من حاجتي ، قال : لا بل أكسوكَها ، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها ، فبعث بها إلى السوق فقومّت بمائتي درهم ، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم ، فردّها وقال : لست أبيعها إلاّ بمائتين وخمسين درهماً ، فقال أبو الأسود : [من الكامل]

بِعْني نُسَيبُ ولا تُثِبْني إنّني ... لا أستثيبُ ولا أُثيبُ الواهبا
إن العطيّة خيرُ ما وجّهتَها ... وحسِبتَها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطيّة ما يعود غرامةً ... وملامةً تَبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوتُ أخبارَ الرجال وفِعلَهم ... فمُلئتُ علماً منهمُ وتجاربا

---

1 الثمل : الإقامة والمكث .
2 المستقه : فروة طويلة الكم . وثوب مُخْمَل : له خَمْل : أي هدب كهدب القطيفة .

فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذِهِ ... وتركتُ عَمْداً ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ ... دَيناً أقرَّ بـه وأُحضر كاتِبا
حتـى أنفِّـذَه على مـا قلتُـه ... وكفـى عليّ بـه لِنفسيَ طالبا
وإذا فعلتُ فعلت غيرَ محاسِبِ ... وكفى بربّـك جازياً ومحاسِبا
وإذا منعـتُ منعـتُ منعاً بيِّنا ... وأرحتُ من طولِ العَناء الراغِبا
لا أشتري الحمدَ القليلَ بقاؤه ... يوماً بذمّ الدّهرِ أجمعَ واصبا[1]

[ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه ، فوعده ولم يفعل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمِّي قالوا حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : زعم أبو بكر الهذليّ أنّ أبا الأسود الدؤليّ كان يحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضَرَط ، فقال لمعاوية : استرها عليّ ، فقال : نعم ، فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم ، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلَتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكلّ أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال : إن امرءاً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاّ يؤمن على أمور المسلمين .

[تزوّج امرأة برزة زعمت أنها مدبرة صناع فوجدها مبذرة فطلّقها]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها ، وكانت برزة[2] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوّجك ؟ فإنّي صَناع[3] الكفّ ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سرّه ، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إيّاها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم : [من المتقارب]

أَرَيـتَ امـرءاً كنـت لم أَبْلُهُ ... أَتاني فقـال اتّخِذْني خليلا[4]

1 واصباً : دائماً .
2 امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .
3 امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين .
4 أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك بمعنى أخبرني .

فخاللتُــــه ثـــم أكرمتــــه فلـــم أستفـــد من لدْنه فتيلا
وألفيتُـــــه حـــين جرّبتُــــه كَذُوبَ الحديث سروقاً بخيلا
فذكّرتـــــه ثـــم عاتبتُــــه عتابـــاً رفيقاً وقـــولاً جميلا
فألفيتُـــه غيـــرَ مستعتِـــبٍ ولا ذاكـــرِ اللهِ إلاّ قليلا[1]
ألستُ حقيقـــــاً بتوديعـــه وإتْباعِ ذلك صَرماً طويلا ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلّقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

[أنكر عليه معاوية بخره فردّ عليه]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا العمريّ قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسارَّ معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمّه على أنفه ، فنحَّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر .

[عابه زياد عند عليّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يَسبَع[2] أبا الأسود عند عليّ ويقع فيه ويبغي عليه ، فلمّا بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه : [من الطويل]

رأيــت زيـــاداً ينتحينـــي بشرّه وأُعْرِض عنــه وهـــو بـــادٍ مَقاتِلُهْ
وكلّ امـــرىء ، والله بالناس عالم لـــه عـــادة قامـــت عليها شمائلُهْ
تَعوَّدهـــا فيمـــا مضـــى مـــن شبابه كذلك يدعـــو كلَّ أمـــرٍ أوائلُهْ
ويُعجبُـــه صفحـــي لـــه وتجمُّلي وذو الجهلِ يحذو الجهلَ مَن لا يعاجلُهْ[3]
فقلـــت لـــه دعنـــي وشأنيَ إنّنا كلانـــا عليـــه مَعْمَـلٌ هـــو عاملُهْ[4]
فلولا الذي قـــد يُرتجـــى من رجائه لجرَّبتَ منّي بعضَ مـــا أنت جاهِلُهْ
لجرّبتَ أنّي أمنح الغَـيَّ مَـــن غَوى عليّ وأجـــزي مـــا جَزى وأطاوِلُهْ

1 استعتبه : استرضاه .
2 سبعه : شتمه ووقع فيه .
3 حذاه : أعطاه .
4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أنّ زياداً ظلّ يَشتُمني والقولُ يُكتَبُ عند الله والعملُ

وقد لقِيتُ زياداً ثم قلت له وقبلَ ذلك ما خبَّت به الرسلُ[1]

حتّام تَسرِقني في كلِّ مَجْمَعَة عِرضي ، وأنت إذا ما شئت منتفِلُ

كل امرىء صائر يوماً لشيمته في كلّ منزلة يُبْلى بها الرجلُ

قال : فلمّا ادّعى معاوية زياداً وولّاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيّام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك : [من الطويل]

رأيت زياداً صدّ عنّيَ وجهَه ولَم يَكُ مردُوداً عن الخير سائلُهْ

ينفِّذ حاجاتِ الرجال ، وحاجتي كداء الجَوى في جوفه لا يزايلُهْ

فلا أنا ناسٍ ما نَسِيتُ فآيسٌ ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعِلُهْ

وفي اليأس حزم لِلَّبيب وراحة من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ

[أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكرة]

وقال المدائنيّ : نظر عبد الرحمن بن أبي بَكرة[2] إلى أبي الأسود في حال رَثَّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق[3] ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الوافر]

أَبو بحرٍ أَمَنُّ الناسِ طُرّاً علينا بعد حيٍّ أبي المُغيرَهْ

لقد أَبقى لنا الحَدَثانُ منه أَخا ثقةٍ منافعُه كثيرَهْ

قريبَ الخير سهلاً غيرَ وعرٍ وبعضُ الخير تمنعُه الوُعورَهْ

بَصُرتَ بأنّنا أَصحابُ حقٍّ نُدِلّ به وإخوانٌ وجِيرَهْ

وأَهلُ مَضِيعةٍ فوجدتَ خيرا من الخُلاّن فينا والعشيرَهْ[4]

وإنّك قد علمت وكلُّ نفسٍ تُرى صَفَحاتُها ولها سرِيرَهْ

---

1 خبت : سارت .

2 أبو بكرة : هو أخو زياد لأمّه .

3 أضاق : ذهب ماله .

4 مضيعة : ضياع واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذي القُربى رحيم وذو عين بما بلَغتْ بصيرَهْ
لعمرك ما حَباك الله نفسا بها جَشَعٌ ولا نفساً شَرِيرَهْ[1]
ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ ولا هَشْمٌ تُنازِعه خُؤُورَهْ[2]
كأنّا إذ أُتيناه نزلنا بجانب رَوضةٍ رَيّا مَطِيرَهْ

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائنيّ : وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد ، فيشكو إليه أنّ عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً ، فيقول له : إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإنّي أحبّ قضاءها ، فيدخل إليه من غد ، فيذكر له أمره ، ووَعْده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

دعاني أمِيري كي أفوه بحاجتي فقلت فما ردّ الجواب ولا استمَعْ
فقمت ولَم أُحسُسْ بشيء ولَم أَصُنْ كلامي وخير القول ما صِينَ أو نفَعْ
وأجمعتُ يأساً لا لُبانة بعده ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمَعْ

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةَ قال حدَّثني ابن عائشة قال : سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال له : يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتمياً ؟

قال : بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول : [من الطويل]

أَماوِيّ إمّا مانِعٌ فمبيِّنٌ وإمّا عطاء لا يُنهنِهُهُ الزجرُ[3]

[شعره في جار له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا ابن عائشة قال : كان لأبي الأسود جار يحسِدُه وتَبلغه عنه قوارِصُ ، فلمّا باع أبو الأسود داره في بني الديل ، وانتقل إلى هُذيل ، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل : هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لَقْحة[4] أو لَقْحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب ، فبلغ أبا الأسود قوله ، فقال فيه : [من الطويل]

---

1 شريرة : ذات شرّ .
2 هَشْم : هشيم رخو . خؤورة : ضعف وفتور .
3 نهنهه : كفّه .
4 اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

إنّ امـــرءاً نُبِّئته مـــن صديقِنا يسائل هل أسقي من اللبن الجارا ؟
وإنّي لأسقي الجار في قعـــر بيته وأشرب مـا لا إثمَ فيه ولا عارا
شرابـاً حلالا يترك المرء صاحياً ولا يتولّـى يَقْلِسُ الإثمَ والعارا[1]

[قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ قال : كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرَة بن سُلَيْم ، فاستعمله عبيدالله بن زياد على جَيّ[2] وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلمّا بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّر ، وجفاه حوثرة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه : [من الطويل]

تروّحتَ من رُستاق جَـيٍّ عشيةً وخَلَّفتَ في رستاق جَيٍّ أخاً لكا
أخا لك إن طال التنائي وجدتَه نسيّـاً وإن طـال التعاشُرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفاً يُعجِب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدّهـر فَلّكا[3]
ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحِبتَه وطاوعتـــه ضلَّ الهـوى وأضلّكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا

[ساومه جار له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائنيّ : وكان لأبي الأسود جار ، يقال له وَثاق من خُزاعة ، وكان يحِبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصِفها ؛ فأتى أبا الأسود وعنده لِقحة غزيرة يقال لها : الصَّفوف فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتِك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا ، فهل لك في بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على مـا تذكر فيهـا من العيب ؟ فقال : إنّي أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من عزارتها ، فقال له أبو الأسود : بئست الخلّتان فيك ؛ الحِرص والخِداع ، أنا لِعيب مالي أشدّ اغتفاراً ؛ وقال أبو الأسود فيه : [من الطويل]

يريـــد وَثـــاقٌ ناقتـــي ويعِيبها يخادِعني عنها وثـــاقُ بن جابِرِ
فقلت تعلَّـــمْ يـــا وثاقُ بأنّها عليك حِمًى أُخرى الليالي الغَوابِرِ
بصُرتَ بها كَوماءَ حَوساءَ جَلْدةً من المُولياتِ الهـامَ حدَّ الظواهرِ[4]

1 أصل يقلس من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجّته .
2 جيّ : مدينة ناحية أصبهان .
3 فل السيف : ثلمه .
4 الكوماء : الناقة العظيمة السنام ، والهوساء : الشديدة النفس ، والجلدة : القوية .

فحاولتَ خَدعي والظنونُ كواذِبٌ ... وكم طامعٍ في خَدعتــي غيرُ ظافِرِ

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالاً قط أحبّ إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويَعِيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتــانيَ في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ ... ليخدعني عنهــا بجِنّ ضراسِها[1]

فسام قليــلاً ناسئاً غير ناجــز ... وأُحصِر نفساً وانتهى بمِكاسها[2]

فأُقسمُ لــو أعيطتَ ما سمتَ مِثلَه ... وضِعفاً لــه لمـا غَدوتَ برأسِها

أغرَّك منهــا أن نَحـرتُ حُوارها ... لجيرانِ أمّ السَّكْنِ يــوم نفاسِها

فولّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ ... يردّدهــا مـــردودةً بإياسِها

[جوابه لسائل ملحف]

أُخبرنا اليزيديّ قال حدَّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أنّ رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحِف مثل الردّ الجامِس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذِنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمّا خرج لقِيـه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصاداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا إليه رجُلاً يوبِّخه في كلّ محفِل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض ، وما أرضى لك أن تلِمّ بفلانة ، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتَشكّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرب عنها ، فقال له أبو الأسود : [من الطويل]

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بحدثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعضّت حالبها .

2 أحصره العدد : ضيّق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سَلمى الشكاةُ وللّذي يقولون ـ لو يبدو لك الرشدُ ـ أرشدُ
يقولون لا تَمذُل بعِرضك واصطنِع مَعادَك إنّ اليوم يَتْبَعه غدُ[1]
وإيّاك والقومَ الغِضابَ فإنّهم بكلّ طريق حولهم تترصَّدُ
تلام وتُلحى كلَّ يوم ولا تُرى على اللوم إلاّ حولَها تتردّدُ !
أفادَتْكَها العينُ الطموحُ وقد ترى لك العينُ مالا تستطيع لَك اليدُ

وقال أبو الأسود : [من الطويل]

دعُوا آلَ سلمى ظِنّتي وتعنّتي وما زَلّ منّي ، إنّ ما فات فائِتُ[2]
ولا تُهلِكوني بالملامةِ إنّما نطقتُ قليلاً ثم إنّي لساكتُ
سأسكت حتى تحسِبوني أنّني من الجهدِ في مَرْضاتكم متماوِتُ
ألم يكفِكم أنْ قد منعتم بيوتَكم كما منع الغِيلَ الأسودُ النواهِتُ[3] !
تصيبون عِرضي كل يوم كما علا نشيطٌ بفأسٍ معدِنَ البُرْم ناحِتُ[4]

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

أُخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عبّاس يكرّم أبا الأسود الدؤليّ لمّا كان عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلمّا ولي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه جوائجه لِما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ذكرتُ ابنَ عبّاس بباب ابنِ عامر وما مَرَّ من عيشي ذكرتُ وما فَضَلْ
أميرين كانا صاحِبيّ كلاهما فكلٌّ جزاه الله عنّي بما فعلْ
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدلْ

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له]

أُخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الخِزاميّ قال حدَّثنا محمد بن فُلَيح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

---

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .
2 الظنة : التهمة .
3 النواهت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .
4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤليّ لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه : [من الطويل]

أحبَّ إذا أحببتَ حبّاً مُقارِباً فإنّك لا تدري متى أنت نازِعُ
وأبغِض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معدِنا للحلم واصفح عن الخَنا فإنّك راءٍ ما عمِلتَ وسامِعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائنيّ حدَّثني أبو بكر الهذليّ قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيس بن يَعمُر بن نُفاثة بن عدِيّ بن الدّيل ، من رهطه دِنيةً ، ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الديل ، فأولع جاره برميه بالحجارة كلّما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنّما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربّي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، فقيل له : يا أبا الأسود ، أبِعت دارك ؟ قال : لمْ أبع داري ، ولكن بِعت جاري[1] ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك : [من الطويل]

رماني جاري ظالماً برميَّة فقلتُ له مهلاً فأنكَرَ ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبك ، والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى[2]
فقلت له لو أنّ ربّي برمية رماني لما أخطا إلهيَ ما رمى
جزى الله شرّاً كلَّ مَن نال سوءة ويَنْحَلُ فيها ربَّه الشرَّ والأذى

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

لَحى الله مولى السَّوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تحاربهْ
وما قُربُ مولى السوء إلاّ كبعده بل البعدُ خير من عدوٍّ تُصاقِبهْ[3]

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

وإنّي لَتَثنيني عن الشتم والخَنا وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام ولطف وأنّني كريم ، ومثلي قد يضرّ وينفعُ

---

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوبة : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يومـاً عن ذنوب أتيتَها ... فإن العصا كانت لِمِثْـلِيَ تُقْرَعُ[1]

وشتان مـــا بينـــي وبينك إنّني ... عـلى كلّ حـــال أستقيم وتَظلَعُ

[قصته مع جار له آذاه]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن العتبيّ قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كلّ واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عمّ أبي الأسود دِنيةً ، وكان شرِساً سيِّءَ الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مُؤْنة ، فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندِم على ذلك لأنّه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعُد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه : [من الوافر]

صوت

بُلِيت بصاحبٍ إنْ أدنُ شِبرا ... يَزِدني في مباعـــدةٍ ذِراعـا

وإن أمدُدْ له في الوصلِ ذَرْعي ... يَزِدني فوق قِيس الذرع باعا[2]

أبـــت نفسي لـــه إلاّ اتِّباعاً ... وتأبـــى نفسه إلاّ امتنـــاعا

كلانـــا جاهـــد أدنو وينأى ... فذلِك ما استطعتُ وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه لعريب خفيف رملٍ . ولعلّويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك : [من الطويل]

لنـــا جيِرة سدّوا المَجازة بيننـــا ... فإن أذكروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ

ومن خير ما ألصقتَ بالجارِ حائط ... تزِلُّ به سُفْعُ الخطاطيفِ أملسُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

أعصيتَ أمـر ذوي النهى ... وأطعـت أمر ذوي الضلالَـهْ

أخطـأتَ حـين صرمتني ... والمرء يعجِـزُ لا محالَـهْ

---

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ومعناه أنّ الحكيم إذا نبّه انتبه ، وأوّل مَن قرعت لـه العصا عامر بن الظرب لمّا طعن في السنّ أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا» .

2 قِيس : قدر .

3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبدُ يُقـرَع بـالعصا والحـرّ تكفيـه المقـالَـهْ[1]

[نزل في بني قشير فآذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قُشَير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أمّ عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسُبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيُّ جِوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمِك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينِك ، فقال في ذلك : [من الوافر]

يقـول الأرذلـون بنو قشير طَوالَ الدهـر لا تنسى عليّا !

فقلت لهم : وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليّا ؟

أُحِبّ محمـداً حبّـاً شديداً وعباساً وحمـزةَ والوصيّا

بنـي عـمّ الرسول وأقربيه أحـبَّ النـاسِ كلِّهـم إليّا

فإن يـك حبّهم رُشْداً أُصِبه ولست بمخطىءٍ إن كان غيّا

هُمُ أهـل النصيحة غيرَ شكٍّ وأهل مودّتـي ما دمت حيّا

هَـوًى أُعطِيتُه لما استدارت رحى الإسلام لم يُعْدَل سَوِيّا

أحبّهـمُ لحـبّ الله حتّـى أجـيء إذا بُعِثتُ على هَوَيّا[2]

رأيـت الله خالـقَ كلِّ شيءٍ هداهم واجتبـى منهم نبيّا

ولم يخصُص بها أحداً سِواهم هنيئاً مـا اصطفاه لهم مريّا

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فـإن يـك حبّهم رشداً أُصِبه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿وإنّا أَوْ إيّاكُمْ لَعَلى هُدًى أَوْ في ضَلالٍ مُبين﴾ . أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد رُوِي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

---

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :

«العبد يُقـرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»

يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّا : على هواي .

[تهكّم معاوية به فأجابه]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أبو عثمان الأُشْنانْدانيّ عن الأخفش عن أبي عمر الجَرميّ قال : دخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علّقت تميمة تَنفي عنك العينَ ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشبابَ الذي فارقتُ جِدّتَه كرُّ الجديدين مـن آتٍ ومنطلِقِ

لم يتركا لِيَ في طـول اختلافهما شيئاً تُخاف عليـه لَـذْعةُ الحَدَقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى الفتى على طعامه]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني الحارث بن محمد قال حدَّثنا المدائنيّ عن عليّ بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه ، مرتفِع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ بِه مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجِد موضِعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفلَ ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزِل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشبّ به فرسه فسقط عنه فوُقِص [1] .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلمّا ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أُخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالِم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقاً لأبي الأسود ، يهادِيه الشعر ، ويجيب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ ، فولِي أبو الجارود وِلاية ، فجفا أَبا الأسودِ وقطعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أَبلِغْ أَبـا الجارود عنّـي رسالة يَرُوح بها الغادي لرَبْعك أو يغدو

فيخبرَنا مـا بالُ صَرمك بعـد ما رضِيتَ وما غَيَّرْتَ من خُلُقٍ بعدُ

أَإِنْ نِلـتَ خيراً سَرَّني أن تنالـه تنكَّرتَ حتى قلتُ ذو لِبدةٍ وَرْدُ ؟

فعيناك عينـاه وصوتك صوته تُمثّلــه لي غيرَ أنّـك لا تعدو

---

1 وقص : دقّت عنقه وكسرت .

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا   لقد جعلَتْ أشراطُ أوّلـه تبدو[1]
فإنّي إذا مـا صاحبٌ رَثَّ وصلُه   وأعرَضَ عنّي قلّ منّي لـه الوَجدُ

[خبره مع الحارث بن خليد وشعره فيه]

قال المدائنيّ : كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء ، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان ؟ فإنّ فيه غنًى وخيراً ، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمّل ، فقال : كلا ، ولكنّك تتركه إقامةً على محبّة ابن أبي طالب وبغْضِ هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليد ، فهجره أبو الأسود ، وندِم الحارث على ما فرط منه ، فسأل عشيرته أن تصلِح بينهما ، فأَتَوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له : قد اعتذر إليك الحارث ممّا فرطَ منه وهو رجل حدِيد[2] ، فقال أبو الأسود في ذلك : [من المتقارب]

لنا صاحب لا كَلِيلُ اللسان   فيَصمُتَ عنّا ولا صارِمُ
وشرُّ الرّجـال على أهلِـهِ   وأَصحابِــهِ الحَمِـقُ العارِمُ

وقال فيه : [من الطويل]

إذا كان شيء بيننـا قيـل إنّـه   حدِيـدٌ فخالِـفْ جهلَـه وترفَّقِ
شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً   أُدامِلـه دَمْـلَ السقـاء المخـرَّقِ[3]

[كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائنيّ : ولّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبي الحُرّ العنبريّ مَيْسانَ ، فدامت وِلايته إيّاها خمس سنين ، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدّى فيه لرِفده ، فتهاون به ولَم ينظر فيه ، فرجع إليه رسوله فأَخبره بفعله ، فقال فيه : [من الطويل]

أَلا أبلِغـا عنّـي حُصَيْناً رسالةً   فإنّك قـد قطّعتَ أُخرى خِلالِكا
فلو كنتَ إذ أصبحتَ للخَرج عاملاً   بميسانَ تُعْطِي الناسَ من غير مالِكا[4]
سألتـك أَو عرَّضتُ بـالودِّ بيننا   لقـد كان حقّاً واجباً بعضُ ذلِكا

1 أشراط : جمع شرَط ، وهو العلامة .
2 حديد : حاد اللّسان .
3 دامله : داراه ليصلح ما بينه وبينه .
4 الخرج : الخراج .

وخبَّرني مَــن كنت أرسلت أنّما أخذتَ كتابـي مُعْرِضاً بشمالِكا
نظـرتَ إلى عنوانــه ونَبَذتــه كنبذك نعـلاً أخلقَتْ من نِعالِكا
حسِبت كتابـي إذ أتاك تعرّضاً لسَيبِك ، لم يذهب رجائي هنالِكا
يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلِكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضِب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتِنا وتوعّدِنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من المتقارب]

أبلِــغ حصينـاً إذا جئتــه نصيحةَ ذي الرأي للمجتنِيها
فلا تكُ مثل التي استخرجت بأظلافِهـا مُديــةً أو بِفِيها[1]
فقــام إليهــا بهـــا ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعوبُ يجِيها[2]
فظلّـــت بأوصالهـــا قِدرُها تحُشّ الوليـــدةُ أو تشتويها[3]
وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ولم تَـرَ قـولي بنصحٍ شبيها
أُجَرِّعْـك صابـا وكان المُرا ر والصاب قِدْماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها لـه فيجحدها أو يحلِف أنّه لم يفعل ، ثم يعاوِد ذلك ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ولي صاحب قـد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان بَـرٌّ وفاجرُ
وإنّي امـرؤ عندي وعمدا أقوله لآتِيَ مـا يأتي امرؤ وهـو خابرُ
لسانان معسولٌ عليـه حـلاوة وآخـر مسموم عليــه الشَّراشِرُ[4]
فقلـت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمـرء نـاهٍ لا يـلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقبَ قـول تعتريــه المعاذرُ
فكم شاعــرٍ أرداه أنْ قال قائل له في اعتراض القول إنّك شاعِرُ

---

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حتفها بظلفها» ، وأصله أنّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .

2 شعوب : المنية .

3 حش النار : أوقدها .

4 شرشر السكين : أحدّها .

عطفتُ عليـــه عطفـــــة فتركته ... لِما كان يرضى قبلها وهــو حاقرُ
بقافيــة حـــذّاءَ سهـــلٍ رويُّهـــا ... وللقــول أبوابٌ تُــرى ومحاضرُ[1]
تَعَزّى بهـــا من نومه وهو ناعِس ... ـ إذ انتصف الليلُ ـ المُكلُّ المسافِرُ[2]
إذا ما قضاها عـــاد فيها كأنّه ... للذّتـــــه سكـــران أو متساكرُ

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشيّعه]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثني العمريّ عن العتبيّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيّع فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألَـم تَرَ مـــا بيني وبين ابن عامر ... من الودِّ قـد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقـــي الودّ بيني وبينه ... كأن لم يكن ، والدَّهرُ فيه عجائبُ
إذا المـــرء لم يُحْبِبك إلاّ تكرُّهاً ... بـــدا لك من أخلاقه مـــا يغالِبُ
فَلَلنأيُ خير مـــن مُقامٍ على أذى ... ولا خيرَ فيمـــا يستقلّ المعاتِبُ

[قصّته مع زوجتيه القشيريّة والقيسيّة وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثنا عبيد الله بن محمد قال حدَّثنا ابن النطاح قال ذكر الحِرْمازيّ عن رجل من بني الدّيل قال : كانت لأبي الأسود الدؤليّ امرأة من بني قُشَير وامرأة من عبد القيس ، فأسنَّ وضعف عمّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأمّا القشيريّة فكانت أقدمهما عنده وأسنّهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أُمّ عوف القشيريّة التي يقول فيها : [من الطويل]

أبى القلب إلاّ أمّ عـــوف وحبّها ... عجوزاً ومـــن يحبب عجوزاً يفنَّدِ
كسَحْق يمانٍ قـــد تقادم عهـــده ... ورُقعته مـــا شئت في العين واليدِ[3]

وأمّا الأُخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْميّ ، وكانت أشبَّهما وأجملهما ، فالتوت عليه لَمّا أسنّ ، وتنكّرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

تعاتبنـــي عِرسي على أن أُطيعهـــا ... لقـــد كذَّبتهـــا نفسُها ما تمنَّتِ
وظنّت بأنّي كلُّ ما رضيتْ بِـــهِ ... رضيتُ به ، يا جهلها كيف ظنّتِ !

---

1 حذّاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .
2 أكلّه : أتعبه .
3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبتُها مــا لو صحِبتُ بمثله ... على ذعرهــا أُرْوِيــة لاطمأنّتِ[1]
وقد غرَّها منّي على الشيبِ والبِلى ... جنوني بها ، جُنَّت حِيالي وحُنَّتِ

يقال : جُنَّ وحُنّ ، وهو من الإتباع كما يقال : حسنٌ بَسَن .

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أُمرنا ... ولو علِمت مــا عُلِّمَتْ ما تعنّتِ[2]
تَشكّــى إلى جاراتهــا وبناتِهــا ... إذا لَم تجــد ذنبــاً علينا تجنَّتِ
ألَم تعلمي أنّي إذا خِفت جفوة ... بمنزلةٍ أبعــدتُ منهــا مطيّتي
وأنّي إذا شقَّت عــليَّ حليلتي ... ذَهَلتُ ولَم أحنِنْ إذا هي حنَّتِ[3]

وفيها يقول : [من الطويل]

أفاطِم مهــلاً بعضَ هذا التعبّس ... وإن كانَ منك الجِدّ فالصَّرْمُ مُوئسي
تَشَتَّمُ لِـي لمـا رأتنـي أحبّهـا ... كذي نعمة لم يُبْدِهـا غيرَ أبؤسِ
فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا ... وتُلوي بـــه في ودّك المتحلّسِ[4]
فإنّي ، فلا يغرُرْكِ منّي تجمّلي ، ... لأُسلى البعـــاد بالبعـاد المكنّسِ
وأعلــم أنّ الأرض فيها مَنادح ... لَمن كان لم تُسْدَد عليه بمحبسِ[5]
وكنت امرءاً لا صحبةَ السوء أرتجي ... ولا أنــا نــوّام بغير معرّسِ[6]

[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائنيّ : كان لأبي الأسود الدؤليّ مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصبّاح ، فذُكرت لأبي الأسود جارية تباع ، فركِب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك : [من الطويل]

إذا كنت تبغـي للأمانــة حامـلاً ... فدَع نافعاً وانظر لهـا مَن يُطيقُها
فإن الفتــى خَــبٌّ كذوب وإنّه ... لــه نفس سَوء يجتويهـا صديقُها
متى يخـلُ يومـاً وحـده بأمانة ... تُغَـلّ جميعــاً أو يُغَـلّ فريقُها
على أنـّه أبقــى الرّجـال سَمانة ... كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقُها

---

1 الأروية : الأنثى من الوعول .

2 تعنّاه : عناه وأوقعه في العناء .

3 شقَّ عليه ، أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .

4 تحلس بالمكان : أقام به .

5 منادح : جمع مندوحة : وهي السعة .

6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السّفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا علي بن محمد المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : أتى أبا الأسود الدؤليّ نعيُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المِنبر فخطب الناس ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته : «وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينة ، اغتال أمير المؤمنين عليّاً كرّم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرِمْ به وبمقتله ورُوحه من روح عَرَجت إلى الله تعالى بالبرِّ والتُّقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً» .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : «وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزَّ وجلَّ به ما وَهَى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايِعوه تَرشُدوا» .

[كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويُمَنِّيه ؛ فقال أبو الأسود : [من الوافر]

أَلا أبلغ معاويةَ بن حرب ... فلا قَرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَن ركِب المطايا ... وخيَّسها ومَن ركِب السفينا[1]
ومَن لبِس النّعال ومَن حَذاها ... ومَن قرأ المثاني والمئينا[2]
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمَت قريش حيث حلّت ... بأنّك خيرها حَسَباً ودِينا

[لزم ابنه المنزل فحثّه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّلها .
2 حذاه نعلاً : أعطاه إيّاها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ، فقال له : [من الوافر]

وما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألق دلوك في الدّلاء
تجئك بملئها يوماً ويوماً ... تجئك بحَمْأة وقليلِ ماء[1]

[مولاته لطيفة تتبنّى ابن عبدها وتحبّه كأنّه حفيدها]

وقال المدائنيّ : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِمّ فابتاعت له أَمَة وأنكحته إيّاها ، فجاءت بغلام فسمّته زيداً ، فكانت تؤثره على كلّ أحد ، وتجد به وجْدَ الأمّ بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة : [من الوافر]

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارى ... إذا هلكت لطيفة أو مُلِمُّ[2]
تبنّتْه فقال وأنتِ أُمّي ... فأنى بعدها لكِ زيدُ أُمُّ !
تَرُمُّ متاعه وتزيد فيه ... وصاحبها لما يحوي مِضَمُّ[3]
ستلقى بعدها شرّاً وضرّاً ... وتُقْصى إن قرُبت فلا تُضَمُّ
وتَلقاك الملامة كلَّ وجه ... سلكتَ وينتحي حالَيْك ذمُّ

قال : فماتت لطيفة من علّتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيداً عمّا كان يتولاّه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعّده .

[اشترى جارية للخدمة فتعرّضت له]

وقال المدائنيّ أيضاً : اشترى أبو الأسود أَمَة للخدمة ، فجعلت تتعرّض منه للنّكاح وتتطيّب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشترِك للنّكاح ، فأقبلي على خدمتك ، وقال فيها : [من الكامل]

أصلاحُ إنّي لا أُريدك للصِّبا ... فدَعي التشمّلَ حولنا وتبذَّلي[4]

---

1 الحمأة : الطين الأسود المنتن .

2 الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كَمَد الحبارى» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيّام التحسير فتلقي الريش ثم يبطيء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً» .

3 مضم : شديد الضمّ .

4 تبذّل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتمال . تَشمل بالشّملة : تغطّى بها ، وهي كساء دون القطيفة يلتحف به .

إنّـي أُريدك للعجين وللرَّحى ولحمـلِ قربتنا وغَلْيِ المِرْجَلِ
وإذا تروَّحَ ضيفُ أهلك أو غدا فخُذي لآخَـرَ أهبَةَ المستقبلِ

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعيّ قال حدَّثنا أبو عُشانة عن ابن عبّاس قال : كان المنذِر بن الجارود العبديّ صديقاً لأبي الأسود الدؤليّ تعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كلّ واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبي الأسود مُقَطَّعة[1] من برود يكثر لُبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاع فراقه[2] ؛ فعلِم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الطويل]

كساك ولم تستكسه فحمِدتَـه أخ لك يعطيك الجزيـل وناصرُ
وإنّ أحـقّ النّاس إن كنت حامِداً بحمدك مَن أعطاك والعِرض وافرُ

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه ، وفي هذه الأبيات غناء : [من الكامل]

صوت

لا ترسلن رسالـة مشهورة لا تستطيع ، إذا مضت ، إدراكَها
أكرِمْ صديق أبيـك حيث لقيته واحْبُ الكرامة مَن بَدا فحباكَها
لا تبديـنَّ نميمة حُدِّثْتَهـا وتحفَّظـنّ مـن الذي أنباكَها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدَّثنا أبو محمد المروزيّ عن القَحْذَميّ عن بعض الرّواة أن أبا الأسود الدؤليّ اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنّه لم يقبل عذره فأنشأ يقول : [من الخفيف]

إنّـي مجـرم وأنـت أحـقّ النـ ـاس أن تقبـل الغَداةَ اعتذاري
فاعف عنّي فقد سُفِهتُ وأنت الـ ـمرء تعفـو عـن الهَنات الكبارِ

فتبسّم زياد وقال : أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

1 المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخز وغيره .

2 مثل : يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها ، يقال : دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق ، فقال له : يا أبا الأسود : أما آن لهذا الثوب أن يبدّل ؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدّة أثواب . مجمع الأمثال 2 : 58 فصل المقال 367 .

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمّه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه عن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولَّى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمتُه : أَهْيَسُ أَلْيَسُ ، أَلَدُّ مِلْحَسُ[1] ، أن أُعطى انتهر ، وإن سئل أَزَرَ[2] . قال الأصمعيّ : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل : [من الرجز]

إحدى لياليكِ فهِيسي هِيسي[3]

قال : ويقال ناقة لَيْساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مِمّا يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور : [من الرجز]

أَلْيَسُ عـــن حَوبائـه سخيّ[4]

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث]

أخبرني أحمد بن محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدَّثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفيّ قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسيّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال ، وكان من أفصح أهل زمانه ، قال : أوصى أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

لعمري لقد أُوصيتُ أمسِ بحاجتي ... فتى غيرَ ذي قصدٍ عليّ ولا رَؤُفْ[5]
ولا عـارفٍ مـا كان بيني وبينه ... ومن خير ما أُدلى به المرء ما عُرِفْ
ومـا كان مـا أَمَّلتُ منـه ففاتني ... بأوّل خيرٍ مـن أخي ثقةٍ صُرِفْ

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدَّثني أبو زيد الأنصاريّ سعيد بن أوس قال حدَّثني بكر بن حبيب السهميّ عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤليّ قال : كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذليّ شاعراً ، وكان صديقاً لأبي

1 ألدّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع .
2 أزَرَ : تضام وتقبّض من بخله .
3 مثل : في حؤول الدهر وتنقله بأهله ، فهذا من أمثالهم في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنّى ، قاله رجل من طسم حين أوقعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار ، فصل المقال 464/463 .
4 الأَلْيَس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب . الحوباء : النفس .
5 رؤُف : رؤوف .

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عنّي رسالة يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعد ما رضيت وما غيّرت من خُلُق بعدُ
أإن نلت خيراً سرّني حين نلته تنكّرتَ حتى قلت ذو لِبدة وَرْدُ ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تُمثّله لِي غيرَ أنّك لا تَعْدو
فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا وقد جعلت أسباب أوّله تبدو
فإنّي إذا ما صاحب رَثّ وصله وأعرض عنّي قلت بالأبعدِ الفقدُ

[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستّين وعمره حينئذٍ خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنّه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار[1] بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه . والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أوّلاً ، عن يحيى بن مَعِين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن مَعِين : [من مجزوء الوافر]

صوت

لعمرك أيّها الرجل لأيّ الشّكل تنتقِلُ
أتهجر آل زينب أم تزورهمُ فتعتدلُ ؟
هُمُ رَكْبٌ لقُوا ركبا كما قد تُجْمَع السُّبُلُ
فذلك دأبنا وبذا ك تجري بيننا الرسُلُ

الشعر لأبي نَفيس بن يَعْلى بن مُنْية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67هـ .

[228] ــ أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعْلى بن مُنْية ، وقيل بل اسم أَبي نَفِيس يحيى بن ثعلبة بن منْية ، ومنْية أُمّه ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جدّه . قال الزُّبير : وكان جدّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأُمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة بن غزوان ، وأَبوه أُميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخطّ أبي محلّم النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويّة ؛ وهي فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً ، فهم يُدْعون بني العدوية .

[بعض أخبار جدّه يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنْية حليفاً لبني أُميّة وعديداً[1] لهم ، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة ، وقد أَدرك النبيّ ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمِّر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أَمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب عليه السلام .

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا أَحمد بن الحارث قال حدَّثنا المدائنيّ عن أَبي مِخْنف عن عبد الرّحمن بن عبيد عن أَبي الكنود قال : قال عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه : مُنيت ، أَو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى النّاس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر النّاس مالاً يَعْلى بن منية ، وبأجود قريش عبدِ الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أَمير المؤمنين لأَنت أَشجع من الزُّبير ، وأَدهى من طلحة ، وأَطوع فينا من عائشة ، وأَجود من ابن عامر ، ولَمال الله أَكثر من مال يعلى بن منية ، وليكوننّ كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ . فسر عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال : [من المتقارب]

أَمّا الزبيـر فأَكفيكَـه   وطلحـةُ يكفيكَـه وَحْوحَهْ

ويَعْلى بن مُنية عنـد القتالِ   شدِيـد التثاؤبِ والنَحْنَحَهْ

1 العديد : الذي يعد من أهلك وليس منهم .

وعائِشُ يكفيكها واعِـظ وعائش في الناس مستنصَحَهْ
فـلا تجزعــنَّ فإن الأمور إذا مــا أُتينــاك مستنجَحَهْ
ومـا يصلح الأَمـر إلاّ بنا كما يصلح الجبن بالإِنْفَحَهْ[1]

قال : فسرّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأمّا الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأَمّا طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرّاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأَمّا ما رواه عن النبيّ ﷺ فكثير ، ولكنّي أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

[روى يعلى الحديث عن النبيّ ﷺ]

أَخبرني أَحمد بن الجعد قال حدَّثني محمد بن عباد المكّيّ قال حدَّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أَبي رباح عن صفوان بن يعلى بن مُنْية عن أبيه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقرأ على المِنبر : ﴿وَنادَوا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ . وقد روى يَعْلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف رِوايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالاً ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال حدَّثنا محمد بن الحَكَم عن أَبي مخنِف قال : أَقرض يَعْلى بن مُنْية الزبير بن العوّام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزُّبير بعد ذلك لأنّ أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إيّاها .

قال : ولمّا صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزُّبير في الصلاة ، فاتّفقا على أَن يصلّي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك : [من المتقارب]

تبــارى الغلامـانِ إذ صَلَّيا وشَحَّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحـةَ وابن الزبير وهذا بذي الجِزع مولاهما[2]
فأمّهمـــا اليوم غرَّتهمـا ويَعـلى بـن مُنْيـة دلاَّهما[3]

[رثى يعلى زوجه حين توفّيت بتهامة]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّـار قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية ـ ويكنى أَبا نفيس ـ وسمعت غير جدّي يقـول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبن .
2 جزع الوادي : منعطفه .
3 أمهما : يعني عائشة أمّ المؤمنين .

وهو من بني العدويّة من بني تميم من بني حنظلة ، تزوّج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حِلف في بني غِفارٍ ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحــن بنــات طارقٍ نمشي عــلى النمارقِ

فتوفيت بِتِهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربِّ ربَّ النّاسِ لمــا نَحَّبوا وحين أَفْضَوا من مِنًى وحَصَبوا[1]

لا يُسْقَيَــنَّ مَلَــحٌ وعُلَيِّــبُ والمُستراد لا سقاه الكوكبُ[2]

مــن أجــل حُمّاهن ماتت زينبُ

قال الزُّبير : وأنشدنيها عمِّي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمِّي يقول : اسم أبي نفِيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأبيات : [من الرجز]

لا يسقــين عُنْبُبٌ وعُلَيِّــبُ[3]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه غسّان بن عبد الحميد قال : رأت عائشة زوج النبيّ ﷺ بنات طارق اللواتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحــن بنــات طارقِ نمشي عــلى النَّمارقِ

فقالت : أخطأ مَن يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عُتْبة لمشركي قريش يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طــارقِ نمشي على النمارقِ

الدُّرُّ في المَخانِـــقِ والمسك في المَفارقِ[4]

إن تُقْبِلــوا نُعانِــقِ أو تُدْبِــروا نفارِقِ

فِراقَ غير وامِــقِ

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْرِيّ قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متقنّع ، فذكر

---

1 نحبوا : ساروا سيراً سريعاً دائباً .

2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياد . والكوكب : الماء .

3 عنبب : اسم موضع .

4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحــن بنـــات طارقِ

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟ فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿والسَّماءِ والطَّارِقِ وَما أَدْراكَ ما الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ . فقالت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خليــليَّ قومــا في عَطالَةَ فانظرا ... أناراً أرى من نحو يَبْرِينَ أم برقا[1]

فإن يَكُ برقــا فهو في مُشْمَخِرَّةٍ ... تغــادِر مــاءً لا قليــلاً ولا طَرْقا[2]

وإن تَكُ نــاراً فهي نار بملتقًى ... من الرّيح تَسفِيها وتَصْفِقها صَفْقا[3]

ويروى : «تَزْهاها[4] وتَعْفِقها عَفْقا» .

لأُمٍّ عـــليٍّ أوقَدَتْها طَماعــةً ... لأوبة سَفْرٍ أن تكونَ لهم وَفْقا

الشعر لِسُويد بن كُراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

---

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .

2 المشمخر : الجبال العالية . الطرق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق .

3 صفقته الريح : ضربته وحرّكته .

4 زهت الريح النبات : هزّته غبَّ الندى . وعفقها : جمعها وضمّها .

[229] ـ أخبار سويد بن كراع[1] ونسبه

[نسبه]

سُويد بن كُراع[2] العُكليّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأمويّة . وكان في آخر أيّام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدّم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحْكِماً[3] ، وكان رجلَ بني عُكْل وذا الرأي والتقدّم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدِيّ وتَيْم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضبّة ، ثم من بني السِّيد ، وهم قوم نُكْدٌ[4] شُرْس ، وهم أخوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى أَلَمَّ أن يكون بينهم شرّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة[5] لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيْفان)[6] حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أسالِمُ إنّي لا إخالُــك سالمـاً ... أتيتَ بني السِّيد الغُواةَ الأشائما
أسالِمِ إن أفلتَّ مِـن شرّ هذه ... فوائِلْ فِـراراً إنّما كنتَ حالِما[7]
أسالِمِ مـا أعطى ابنُ مامةَ مثلها ... ولا حاتِمٌ فيما بـلا الناسُ حاتِما

[قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك : [من الطويل]

أشاعِرَ عبدِ الله إن كنتَ لائمـاً ... فإنّي لمـا تأتـي مـن الأمرِ لائِمُ

---

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .
2 كراع : اسم أمّه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .
3 ل : محدثاً .
4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .
5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .
6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .
7 واءل : طلب النجاة .

تُحَضِّض أَفنـاء الرَّبـاب سفاهَةً وعِرضُك موفـور وليلَك نائِمُ[1]
وهل عَجَبٌ أن تدرك السِّيدُ وِترَها وتصبِرَ للحـقِّ السَّراةُ الأَكارِمُ[2]
رأَيتك لَـم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها وأَعطيتَ يربوعـاً وأَنفُك راغِمُ[3]
وأَنتَ امرؤٌ لا تقبـل النصحَ طائعاً ولكن متـى تقْهَـرْ فإنّك رائِمُ[4]

ووجدت هذا الخبر في روايـة أَبي عمرو الشيباني أتمّ منـه هاهنا وأَوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السِّيد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مَناة تَرامٍ على خَبْراءَ[5] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج ، فرُمي عمرو بن حَشَفَة أَخو بني شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السِّيد رجلاً منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدويّ فمكث أيّاماً لم يَمُتْ ، فمرَّ رجلٌ من بني عدِيّ يقال له مُعَلِّل على بني السِّيد وهو لا يعلم الخبر ، فأَخذوه فشدّوه وَثاقاً فأَفلت منهم ، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنتَهم نفسك فإن مات مدلِج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يمُت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أَن يكون عند أَخثم بن حِمْيَريّ أَخي بني شُيَيْم من بني السِّيد ، فكان عنده . ثم إنّ بني السِّيد لمّا أبطأ عليهم موتُ مدلِج أَتوا أَخثم لينتزِعوا منه سالِماً ويقتلوه ، فقوّض عليه أَخثم بيته ثم قال : يا آل أُمِّي ، وكانت أُمّه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إنّ بني السِّيد قالوا لأَخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الديـة فوالله لا نقبلها أبـداً . فجعـل لهـم أَجلاً إن لم يمُت مدلِج فيه دفع إليهم سالِماً فقتلوه بـه . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيـوم مـات مدلِـج ، فقتلوا سالِماً ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أَخو بني عبد الله بن دارِم ، وهو ابن الطَّيفان : [من الطويل]

أَسالِمُ مـا مَنَّتْك نفسك بعدما أَتيت بني السِّيد الغواة الأَشائما ؟
أَسالِم قـد منتك نفسك أَنمـا تكون دِياتٌ ثـم ترجعُ سالِما
كذبـتَ ولكـن ثائـر متبسِّل يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارِما[6]

---

1 أفناء : أخلاط .
2 يريد بالحق هنا القصاص .
3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم .
4 رائم : محبّ آلف .
5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السّدر . والصَّمّان : جبل في أرض تميم .
6 تبسَّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أسالِم ما أُعْطى ابنُ مامـةَ مِثلَها ولا حاتِمٌ فيما بـلا النّاسُ حاتِما

أسالِم إن أُفْلتَّ مـن شرِّ هذه فوائِلْ فِراراً إنّما كنـت حالِما

وقـد أُسلمتْ تيمٌ عدِيّاً فأُرْبعَتْ ودلّتْ لأُسباب المنيّـة سالِما[1]

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلاّم ، وزاد فيها أبو عمرو : [من الطويل]

دعوتم إلى أمـر النّواكـة دارِما فقـد تركتكـم والنواكَـةَ دارِمُ

وكنتَ كذاتِ البَوِّ شُرِّمت استُها فطابقتَ لّمـا خَرّمتك الغمائمُ[2]

فلـو كنت مولى مسلت ما تجللت بـه ضبع في ملتقى القوم واحِمُ[3]

ولَم يـدرك المقتولُ إلاّ مجرّه وما أُسأرت منه النسورُ القَشاعِمُ[4]

عليك ابنَ عوف لا تدعـه فإنّما كفاك موالِينا الذي جـرَّ سالِمُ

أتذكر أقوامـاً كفـوك شئونهم وشأنـك إلاّ تركَـه متفاقِمُ

قال : وقال سويد بن كراع في ذلك : [من الطويل]

أرى آل يربـوعٍ وأفناء مالكٍ أعضُّوك في الحربِ الحديدَ المُنَقَّبا[5]

هـمُ رفعوا فأسَ اللجام فأدركت لَهاتَك حتّى لم تَدعْ لك مَشْرَبا[6]

فإن عُدْت عادوا بالتي ليس فوقها مـن الشرِّ إلاّ أن تبيتَ محجَّبا

وتصبح تُـدْرى الكُعْكُبيّةَ قاعِدا ويُنتَف من لِيتَيْك مـا كان أزغبا

تدرى : تمشط بالمِدرى كما يفعل بالسناء ، والكعكبيّة : مِشطة معروفة .

فهـل سألوا فينا سَواءَ الذي لهم وهـل نحـن أعطَينا سِواه فتَعْجَبا[7]

1 أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنّت ؛ من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا في المربع . دلت : من التدلية . والأسباب : الجبال .

2 البوّ : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدرّ . وشرمت استها : شققت . وطابقت : أذعنت وبجعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلاّ تشمّ .

3 زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله ، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . تجلل الفحل الناقة : علاها . الواحم : المشتهية للضراب .

4 أسأرت : أبقت . نسر قشعم : مسنّ .

5 المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضّه .

6 فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

7 سواء وسوى واحد .

ويروى :

فهل سألونا خَصلة غَير حقّهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع في هجائه إيّاهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متوارِياً حتّى كُلِّم فيه ، فأمّنه على ألاّ يعاوِد ، فقال سويد بن كراع : [من الطويل]

تقـول ابنةُ العوفيّ ليـلى ألا تَرى ... إلى ابن كـراعٍ لا يـزال مُفَزَّعا

مخافةُ هذيـن الأميرين سهَّدتْ ... رُقـادي وغَشَّتني بياضاً تفرَّعا

على غير ظلمٍ غيرَ أنْ جـارَ ظالِمٌ ... عليّ فجهـزْتُ القصيدَ المفرَّعا

وقـد هابنـي الأقوام لما رميتُهم ... بفاقِـرةٍ إن هـمَّ أن يتشجَّعا[1]

أَبيتُ بأبـواب القـوافي كأنّما ... أُصادِي بها سِرباً من الوحش نُزَّعا[2]

أُكالِئُها حتّـى أُعَـرِّسَ بعدما ... يكون سُحَيْرٌ أو بُعَيْدُ فأهجعا[3]

فجشّمني خوفُ ابن عثمان رَدّها ... ورِعْيَتَهـا صيفـاً جديداً ومَربَعا

نهاني ابنُ عثمانَ الإمامِ وقد مضت ... نوافِذُ لو تَرْدِي الصفا لتصدعا[4]

عوارِقُ مـا يَتْركْن لَحماً بعَظْمِهِ ... ولا عظمَ لحـم دون أن يتمزَّعا[5]

أَحقّاً هـداك الله أن جار ظالم ... فأنكـرَ مظلوم بـأن يؤخذا معا

وأنـت ابـنُ حُكّام أقاموا وقَوّموا ... قُرُوناً وأعطَوا نائـلاً غيرَ أقطَعا[6]

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عـدِيّ عن حمّاد الراوية قـال : انتجـع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغَيض بن عامر بن شمّاس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .

2 صاداه : داراه وساتره .

3 أكالئها : أراقبها وأراعيها . وسحيرٌ في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .

4 رداه : رمّاه .

5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأْيِ بن أَنف الناقة بن قُرَيع وأَرعاه ، ووصله وكساه . فلَم يزل مقيماً فيهم حتى أَحيا[1] ، ثمّ ودّعهم وأَتى بغِيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حمّاد : ومَن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي لسويد بن كراع : [من البسيط]

ارتعتُ للزَّورِ إذ حيّا وأَرَّقني ... ولَم يكن دانياً منّا ولا صَدَدا[2]

ودونه سَبْسَبٌ تُنْضى المطيُّ به ... حتى تَرى العَنْسَ تُلْقِي رحلها الأَجُدا

إذا ذكرتُكِ فاضت عبرتي دِرَراً ... وكاد مكتومُ قلبي يَصدع الكبِدا[3]

وذاك منّي هوًى قد كان أُضمَرَه ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نفِدا

وقد أرانا وحالُ النّاس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أُدمانَ أَو بَرَدى[4]

ليت الشباب وذاك العيش راجعَنا ... فلَم نزل كالذي كنّا به أَبدا

أيّام أَعلم كَم أَعملتُ نحوكمُ ... من عِرمسٍ عاقدٍ لَم تَرْأَمِ الولدا[5]

تُصيخ عند السُّرى في البيد سامية ... سطعاءَ تنهض في مِيثائها صُعُدا[6]

كأن رَحْلِي على حُمْشٍ قوائمه ... برمل عِرْنانَ أَمسى طاويا وحَدا[7]

هاجت عليه من الجوزاء سارِيةٌ ... وَطْفاء تحمِل جَوْناً مُرْدَفا نَضَدا[8]

فألجأتْه إلى أَرْطاةِ عانكةٍ ... فَيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما ٱلتبَدا[9]

تخال عِطْفيه من جَوْل الرَّذاذِ به ... منظَّماً بِيَدَيْ دارِيَّةٍ فَرَدا[10]

---

1 أحيا : حسنت حال مواشيه .

2 الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب .

3 عبرتي : في ل : أدمعي .

4 أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .

5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلوك .

7 على حمش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دقاق . عرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحداً : وحيداً منفرداً .

8 مردفاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المتراكم .

9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : انعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلاّ أن يحبو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .

10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الداريّة : منسوبة إلى دارين . فَرَد : منقطع القرين .

حتى إذا ما انجلت عنه دُجُنَّته ... وكشَّف الصبحُ عنه الليلَ فاطّردا
غـدا كذي التاج حلَّته أُساوِرةٌ ... كأنّما اجتاب في حَرِّ الضّحى سَنَدا[1]

وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها : [من البسيط]

لا يُبْعد اللهُ إذ ودَّعـت أرضَهمُ ... أخـي بَغيضاً ولكن غيرُه بَعُدا[2]
لا يبعد اللهُ مَن يعطي الجزيل ومَن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صَلَدا[3]
ومـن تُلاقيه بالمعروف معترفـاً ... إذا اجْرَهَدَّ صفا المذمومِ أو صلَدا[4]
لاقيتُـه مُفْضِلا تَـنْـدى أناملُـه ... إن يُعطك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
تجـيء عفواً إذا جاءت عطيّتُه ... ولا تخالِـطُ تَرْنيقـاً ولا زَهَدا[5]
أَوْلاهُ بالمَفخَـر الأعلى وأَعظَمُـه ... خُلقاً وأَوسَعُـه خيـراً ومُنتَفَدا[6]
إذا تكلّـف أقـوامٌ صنائِعَـه ... لاقَوا، ولَم يُظْلَموا، مِن دونها صَعَدا[7]
بَحْرٌ إذا نَكَسَ الأقوامُ أو ضَجِروا ... لاقَيتَ خيرَ يديـه دائمـاً رَغَدا[8]
لا يَحسِبُ المدحَ خَدْعا حين تَمدَحه ... ولا يَـرى البُخـلَ مَنْهاةً له أبدا
إنّي لَرافِـدُه وُدّي ومَنْصَرتـي ... وحافِـظٌ غيبَه إن غابَ أو شَهِدا

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانياتُ الدّهـرِ حتّـى ... كأنّي خاتِـلٌ يدنـو لِصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ مَن رآني ... ـ ولستُ مقيَّـداً ـ أنّي بقَيْدِ

---

1 السند : ضرب من البرود .
2 بعد : هلك .
3 أكدى : بخل وقلّ خيره . صلد : بخل .
4 اجرهدّت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزّند : صوت ولم يورِ ، ويقال للبخيل : صلدت زناده .
5 الترنيق : التكرير . والزهد : القلّة .
6 يقال في ماله منتفد ، أي سعة .
7 الصّعد : المشقّة .
8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتقتّر [1] للصيد ويَنحني حتّى لا يُرى . ويقال لكلّ مَن أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وَرَّى أمرَه فلَم يُظهِره . ومَن رواه : «كأنّي حابل» فإنّه يعني الذي يَنصِب حِبالةً للصيد . الشعر لأبي الطَّمَحان القَيْني . والغناء لإبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر للمِسجاح بن سِباع الضبيّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ممّا يُغنّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله : [من الطويل]

صوت

أَضاءَتْ لَهُمْ أَحسابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتزّ أنّ خفيف الرمل لها ، وأنّ الثقيل الثاني لغيرها .

* * * *

1 يتقتّر : يتهيأ .

الفهرس